شؤون وشجون

تأليف

الشيخ/ خميس جابر صقر

مدير عام شؤون القرآن الكريم بالأزهر الشريف

وعضو لجنة مراجعة المصاحف (سابقًا)

بيانات الإصدار

عنوان الإصدار: شؤون وشجون.

اسم المؤلف: الشيخ/ خميس جابر صقر.

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية: ٢٠١٦/٣٦٨٤

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف

إهـــداء

إلى كل متمسِّك بمنهج ربه.. متَّبع سنَّة نبيِّه وسلوكيَّات دينه..

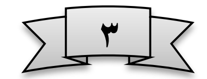
إلى كل باحث عن – الحق – ومسترشدٍ بأهل الفضل..

إلى كل محبٍّ: لوطنه – ومجتمعه – وذويه !!

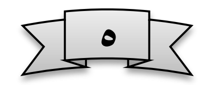
أهدي هذا الكتاب..

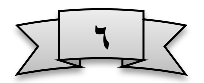
قد أخطئ.. وقد أصيب !! ·· فليكن – العفو – جسرًا يصلني بك،

ويصلك بي.. لنتعانق ونتسامح.. وشكرًا لك.. !



الفهــــرس





بسم الله الرحمن الرحيم

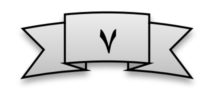
مُقدِّمة

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبى بعده...

وبعد..

الحمد لله الكبير المتعال.. سطَّر الكون لنتأمل فيه عظيم القدرة.. وذرأ لنا ما فى الأرض انتفاعًا وانصياعًا وتعبدًا.. وأرسل لنا الرسل ﴿ **مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ** ﴾.. وسلِّم تسليمًا كثيرًا.. وبعد..

فمنذ وقت – ليس بالقصير – وتدور فى – خلدى – فكرة إخراج هذا الكتاب بدوافع – ملحَّة – لم أعرف لها سرًّا غير أنى أمسكت بالقلم وسطَّرت أفكارى وبثثت خواطرى.. لأعبِّر عن – المكنون – فى صدرى.. من أحاسيس ومشاعر كثيرًا ما أضحكتنى !! وكثيرًا ما أبكتنى !! وتكوَّن لدىَّ – اعتقاد – بأن هذا الفكر وهذا الإلحاح.. إذا لم يجدا متنفسًا أو مخرجًا فربَّما تحوَّلا إلى ماردٍ (متمرِّد) داخل كيان ضعيف ككيانى !! ونفسٍ حزينة كنفسى !! وربما نما الهاجس.. أو حبسنى حابس.. أو طوَّقنى بذراعيه – هوىً – يائس.. لأصير – عندئذ – على طرف جناح.. لا أدرى العاقبة.. ولا أدرك الأمل.. فتذوب القيمة.. وتعظم الفرية.. ويملؤنى الفراغ لأصبح غريبًا.. مغلوبًا.. محبطًا.. بلا روح أو هوية أو حياة !! لذلك عندما نمت الفكرة ودفعنى الإلحاح.. سجَّلت



المكنون فى صدرى.. والقابع فى نفسى.. والمتوغل فى حناياى لأغامر بخواطرى وعواطفى.. وأسرارى !! وبأفراحى وأحزانى.. وشئونى وشجونى !

وهذا الكتاب – أخى القارئ – أقدمه إليك لأعرِّفك بنفسى.. فرُبما ألقاك أو تلقانى..! فغاية ما أتمناه هو ترتيب اللقاء – على درب الحياة – لنشترك معًا فى قراءة سطورها.. وتحييد واقعها.. هيا.. إلى الحياة.... !!

﴿ وَمَا تَوْفِيقِي إِلاَّ بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴾

المؤلف

خميس جابر صقر

قف مكانك.. أيها الإنسان..

التطوُّر فى المجتمعات البشرية أمر وارد حسبما تفرضه سنن الحياة ونواميس الكون على مرِّ العصور والأجيال فالإنسان (خامة) قابلة للتغيير مثله مثل أى كائن حى.. وتجرى هذه السنن حيثما وجد هذا الكائن فالعلاقة متلازمة ولكل شريحة اجتماعية تطورها الخاص بها وطقوسها المتوارثة فقد توجد المجتمعات متزامنة فى وقت واحد ولكننا نجد تباينًا واضحًا بين هذه المجتمعات بدرجات كبيرة إذا قيست بحساب الزمن فسيكون الفارق كبيرًا كمًا وكيفًا.. ولك أن تلاحظ الفارق الكبير مثلاً بين مصباح (الكيروسين) والمصباح الكهربائى لتجد أن لكل مصباح مجتمعه وبيئته ولقد عاش الناس مرحلة زمنية كان (الغرباء) فيها يُعَامَلون على أساس أنهم (أصحاب البيت) واليوم يُعامَل (صاحب البيت) على أنه (غريب) وفى الوقت الذى رفع فيه شعار (الزبون على حق) لم يتمخض الواقع إلا على عكس ذلك فأصبح (الحق على الزبون) والمفروض أن يكون التطور من الأدنى إلى الأعلى ومن الأحطِّ إلى الأرقى غير أن هذا الافتراض قائم على غير بيِّنة فليس من الضرورى (إفراز) مجتعات (صالحة) من مجتمعات (طالحة) والعكس بل إن تغيير العوامل يرجع طبعًا على أساس جغرافية الزمان والمكان وهذا ما حدا بالعلامة ابن خلدون فى مقدمته بالتنويه إلى أن هناك عوامل طبيعية تتحكم فى طبيعة تكوين البشر من حيث اللون والمزاج والأخلاق والدين فهو يرى أن كلا الجانبين فى الشمال والجنوب متضادَيْنِ فى الحر والبرد ووجب تبعًا لذلك أن تتدرج الكيفية من كليهما إلى الوسط فيكون ما بينهما معتدلاً.. فمن سكن الجنوب كان أسود فاحمًا لمسامتة الشمس لرأسه مرتين كل

سنة كأهل السودان وإفريقيا وأهل الشمال هم البيض لما فى مزاج هوائهم من البرد المفرط إذ الشمس لا تزال فى أفقهم فى دائرة مرأى العين أو ما قرب منها فتبيض ألوان أهلها ويتبع ذلك ما يقتضيه مزاج البرد المفرط من زرقة العيون وبرش الجلود وصهوبة الشعور كما أن أهل الحبشة المجاورين لليمن يدينون بالنصرانية.. أما أهل مالى والتكرور المجاورين لأهل المغرب فيدينون بالإسلام.. وقد يصدمنا الواقع بلون من ألوان (التغيير المتطور) لدرجة يصعب معها تخليص أحدهما من الآخر ولا يستطيع طرف (محايد) فصلهما ففى مشارف الألفية الثالثة يفاجئنا أحد العلماء المرموقين هو الدكتور عبد الصبور شاهين بمقولة مفادها: أن آدم عليه السلام ليس بداية لخلق البشر بل هو مسبوق بآخر وآدم مرحلة جديدة فى هذا الخلق ومندرج تحت هذا الآخر وقفز بهذه الفكرة من دائرة (الثابت والمتغيِّر) إلى دائرة (المتغير الثابت) مما أثار ضجة فى جميع الأوساط العلمية لا سيما وأن هذا العالم معروف بطول باعه فى البحث والتحقيق وقد أورد لذلك بعض الأدلة القرآنية منها قوله تعالى ﴿وإذ قال ربك للملائكة إنى خالق بشرًا من طين، فإذا سويته ونفخت فيه من روحى فقعوا له ساجدين﴾ سورة ص الآية ٧١-٧٢ وقوله تعالى: ﴿ **وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ** فإذا سويته ونفخت فيه من روحى فقعوا له ساجدين ﴾ سورة الحجر الآية ٢٨-٢٩.. وقوله عز من قائل: ﴿ **وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ** ﴾، ﴿ **وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى المَلائِكَةِ فَقَالَ**

أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلاءِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾، ﴿ **قَالُوا سُبْحَانَكَ لاَ عِلْمَ لَنَا إِلاَّ مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ العَلِيمُ الحَكِيمُ** ﴾ سورة البقرة الآيات ٣٠، ٣١، ٣٢ واستنبط من شرحه للآيات وجوب التفريق بين خلق الإنسان (البشر) وخلق آدم عليه السلام.. كما أن الخَلْق بخلاف الجَعْل فالخلق هو الإيجاد بعد العدم والجّعْل يعنى التوظيف كوجود النور المجعول فى النهار المخلوق، والظلام المجعول فى الليل المخلوق.. ويكاد هذا التفسير وهو تبعية آدم لمخلوقٍ سابقٍ عليه يوافق به نظرية (داروين) فى النشوء والإرتقاء وأن الإنسان فى الأصل كان قردًا وقوبل هذا كله بالرد وبأدلة ترجح خلق آدم بدايةً وأن اللغة تجيز استعمال لفظ الخلق للجعل والجعل للخلق كقوله تعالى: ﴿وإذ تخلق من الطين كهيئة الطير بإذنى﴾ سورة المائدة الآية ١١٠. فلفظ تخلق هنا بمعنى تجعل وكقوله تعالى: ﴿ **أَلَمْ نَجْعَل لَّهُ عَيْنَيْنِ * وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ**﴾ سورة البلد الآية ٨،٩. والجعل هنا بمعنى الخلق.. وتساءل أصحاب الرد: إذا كان آدم مرحلة جديدة فى الخلق فأين ذهب الإنسان السابق عليه ؟ وأتساءل أيضًا أين حواء من هذا كله ؟ وهى أم البشر وخلقت من ضلع حيٍّ فى آدم وهو امرؤٌ ذو حياة.. وسميت امرأة لخلقها من المرء.. والمخلوق السابق على آدم من أين خلقتْ أنثاه ؟ أما إذا سلمنا بوجود مخلوقات أرضية قبل آدم عليه السلام فهم الجن لقوله تعالى: ﴿ **وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ * وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ السَّمُومِ** ﴾ سورة الحجر الآية ٢٦،٢٧ وقبل الجن كان الحنُّ والبِن فسلَّط الله عليهم الجن فقتلوهم وأجلوهم عن الأرض بسبب فسادهم وسكنوها بعدهم وفى حديث عروة عن عائشة رضى الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ

﴿ خلقت الملائكة من نور وخلق الجانُّ من نار وخلق آدم مما وصف لكم ﴾ رواه مسلم.. وفيه إشارة إلى قوله تعالى: ﴿ **إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ** ﴾ سورة آل عمران الآية ٥٩ إذا سلمنا بذلك فمعروف أن هؤلاء ليسوا من البشر ومع ذلك فالعلم الحديث ما زال عاجزًا رغم ما وصل إليه من علوم حديثة عن إدراك كيفية نشوء الحياة من المادة (اللاحيَّة) وعن سبيل تحرك الطين الذى خلق منه الإنسان كما قال الله تعالى: ﴿ **وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِن سُلالَةٍ مِّن طِينٍ** ﴾ سورة المؤمنون الآية ١٢ إلى مستوى الحياة العضوية المتمثلة فى الخلية الحيَّة والتى منها كانت حواء التى غرست فيها الأنوثة مع أنها خلقت من ضلع غرست فيه الذكورة.. وفى صحيح البخارى الحديث ٩٣٥٣ قوله ﷺ (خلق الرجل من التراب فهمه فى التراب وخلقت المرأة من الرجل فنهمتها فى الرجل ﴾ والمرأة بطبعها تحن إلى صدر الرجل إشارة إلى أصل خلقها.. وإذا كان الحديث قد جرَّنا إلى أصل الخلْق ومبدأ البشرية فإن عالم اليوم يشهد تطورًا خياليًا فى التكنولوجيا الحديثة وأصبحنا نعيش عصر المعلومات والسماوات المفتوحة وجهِدَ فريق من الناس فى حصر المتغيرات والتطورات من فترة زمنية تساوى مثلاً مائة عام ليجد بعدًا ملحوظًا وبَوْنًا شاسعًا بين أول هذا القرن وآخره فقد كان حجاج بيت الله يسافرون على الدواب واليوم يركبون الطائرات والسفن والحافلات وكانت العلاقات الدولية قائمة على إرسال السفراء بحرًا أو برًا واستخدام حمام الزاجل فى إرسال الرسائل.. وكانت المؤسسات الوطنية والدولية تتكدس فى مكاتبها الملفات والقصاصات الورقية.. كما كانت الإحصائيات وجميع الإشكالات

تجمع فى أدراج خشبية متواضعة والتدوين الرسمى بقلم (الكوبيا) كما كان (المسحراتى) فى رمضان يشق الظلام ليستيقظ الناس إلى غير ذلك من أمور.. أما اليوم فإن العالم يشهد تقدمًا عجيبًا وغريبًا وفريدًا وأصبح الضغط على (الأزرار) هو المفتاح السحريُّ لتحقيق أى غرض أو مصلحة وانتشرت أجهزة (الكمبيوتر) وشبكات (الإنترنت) وأصبحوا يتحدثون عن (الهندسة الوراثية) وأطفال الأنابيب والإستنساخ البشرى ولم يعد فى مقدور أحد (الفكاك) من قدره فى استيعاب هذا كله ولكن؟. ترى ماذا سيكون فى القرن القادم إن شاء الله ؟ وماذا سيشهد العالم وقتها ؟ وهل سيصبح الإنترنت والكمبيوتر والتكنولوجيا.. كقصاصات وملفات القرن الغابر ؟ وهل سيكون القلم (الباركر) كوبيا العصر المنصرم فسبحان مدبِّر الكون ومديره يبدِّل ولا يتبدل ويغيِّر ولا يتغير:

الدهر يفجع بعد العين بالأثر	فما البكاء على الأشباح والصور
أنهاك أنهاك لا آلوك موعظة	عن نومة بين ناب الليث والظفر
فلا تغرنك من دنياك نومتها	فما صناعة عينيها سوى السهر
ما لليالى - أقال الله عثرتنا -	من الليالى وخانتها يد الغير
فى كل حين لها فى كل جاريةٍ	منا جراح وإن زاغت عن النظر
تسرُّ بالشىء لكن كى تغر به	كالأيم ثار إلى الجانى من الزهر

وسط بين الركام

من مفردات العدل (تحقيق المساواة بين الناس) عندما تتفق شرائحهم العلمية والعملية وخبراتهم الميدانية فى المجالات المختلفة ومن مفردات المساواة (ترقيةالمستويات الأدنى إلى المستويات الأعلى أو إدناء المستويات الأعلى إلى المستويات الأدنى) لتلتقى عند نقطة معينة تنطبق عليهم فيها القوانين واللوائح والشروط الطبيعية.. يقول المثل الشائع (المساواة فى الظلم عدل) بَيْد أن قائل هذا المثل يئس من إعلاء المنحطِّ أو إظهار الخفىِّ ليرى أن الهبوط إلى الأسفل طبيعى بحكم الفطرة والجاذبية.. وإلا فماذا نسمى (المساواة بالعدل) والمساواة فى أعراف الناس ذات طرفين يتمثلان فى الترقى أو التدنى ولكنى أرى لهما وسطًا ليس بعالٍ ولا بسافلٍ وهذا الوسط لابد من مرور الطرفين به علوًّا وانخفاضًا وهذا الوسط هو المحور الذى تلتقى عنده كل المسافات.. ولكن البحث عن هذا الوسط هو عين (العبث) لأن القيمة العلمية والعملية طرف.. والخبرة والقدرة طرف آخر وتقييم العملية فيهما من أصعب الغايات التى يمكن أن نَسِمَ بها أعمالنا وتحكيمنا بأنه عادل.. ولكن كيف يمكن أن نصل إلى هذا الوسط.. وقبل أن نكبِّل أيدينا فى أغلال المحاولة نقول: أليس الإنسان ينمو بشكل طبيعى دون أن يشعر بهذا التحوُّل المفاجئ وكذلك سائر ذوات الأرواح.. وكذلك النبات ألا ينمو هو أيضًا بشكل طبيعى فيكون بذرة ثم برعمًا ثم سيقانًا وأوراقًا تلتف حول ثمرات طيبة ناضجة وطبيعى أن هذه المراحل لا ترى بالعين المجردة إذا فرضنا أن إنسانًا وضع البذرة فى الأرض وجعلها نصب عينيه حتى تصير حبَّة.. وهل يمكن ضبط رؤية ومراقبة حركة عقرب الساعة

الدقيق وهو يتحرك من الواحدة إلى الثانية مثلاً.. إن ذلك لا يكون إلا عندما يتأكد الرائى من قفز الزمن حوالى ساعة بإشارة من هذا العقرب عن طريق عقارب أخرى تبدو أكثر حركة يسلِّم كلٍ منها إلى الآخر مدة زمنية كالثوانى والدقائق ثم الساعات ليؤكد هذه القفزة الزمنية.. وحتى النمو الطبيعى فى الإنسان هل يمكن ضبط حركة الإحساس به كنموِّ الشعر والظفر مثلاً.. وكنضوج العقل والإدراك. وإلا فما جدوى الاختصار والإيجاز وما فائدة الإسهاب والتفصيل رغم أنها كلها عوامل تصل إلى أغراضٍ معينة عن طريقها نصل إلى تمام الأمور والمسائل فهل كان فى الإمكان فعلاً الوصول إلى الوسط المعْتِم والمبْهَم.. الحق أنها كلها مسائل تقديرية شأنها شأن السهم المنطلق نحو الهدف فهو يقطع المسافات بحدود زمنية محددة لا ليقيم مساره أو يضبط خطِّه واستقامته ولكن لأنه مرَّ بها ووقف عندها وهو على حسب قرب المسافة أو بعدها تكون قوته أو ضعفه وقوة الدفع أو ضعفه فالتقدير هنا تقدير ذهنى إذ يفترض أن القوة أو الضعف تتحكم فيهما مجالات ومساحات وقدرات وأزمان وفى كلٍّ منها أوَّل وآخر ووسط.. فأوَّل القوة يختلف عن آخرها مرورًا بأوسطها وكذلك أول الزمن يختلف عن آخره وعن وسطه.. إذًا فطرفا المساواة ترقيًا أو تدنيًا بينهما وسط هو نفسه له أول وآخر ووسط فكيف يمكن الوصول إلى ذلك ؟ إن محاولة الإصابة الحقيقية للهدف ضرب من الجهل أوْ هى من رجم الغيب وخروجًا من دهاليز المحاولة إلى حقيقة الواقع فلابد من إعلان العجز والتسليم بالنسبيات وأن الوسط كليٌّ بين طرفيْن كلييْن ليس لكل منهما وسط دون معاودة الرجوع للمراتب واللطائف والملامح.. كما أن هذه النظرة النسبية

ضرورية للخروج من المأزق والنفق المظلم الذى رمانا فيه فلاسفة المدارس الوضعية التى تبوح بأنه ليس فى الإمكان التوصل للأشياء إلا بالمدلولات الزمنية واللحظية والمنطقية والشعورية.. حتى (الفازُّورة) القديمة التى حاول بها القدماء استهواء الشخصية بالغريب من المدلولات الكمية مثل قولهم: (قد الكف ويقتل مائة وألف) فهل تدخل فى ذلك عامل الزمن أو عامل القوة والإعجاز أو أن طول عمر هذا المحتوى الذى يماثل (الكف) هو الذى يسع قتل المائة والألف وكيف نفسِّر المسموع من أوتار الآلات الموسيقية (المزدوجة النبرات) وكيف أن هذا المزج بينها خلص من الأصوات المختلطة إلى صوت واحد ونبرة واحدة بحركة وآلة واحدة دون نظر إلى العالى أو النازل أو الرفيع أو (الثخين) ودون النظر أيضًا إلى المقامات المختلفة (كالسيكا والنهاوند والبيَّاتى مثلاً) والبعض يحيل المسائل النسبية إلى الرياضة الوجدانية الشعورية.. ومبلغ علمى أن (الحتميات) تختلف عن (المحتملات) فالأمر الحتمى الواقعى له صدىً فى ذاته وتأثيره عن المحتمل الذى لا يكاد أحد أن يجزم بحتمية وواقعية أحد طرفيه دون الإشارة إلى الآخر ولا يمكن قياس المسائل قياسًا علميًا يقوم على البراهين العلمية التى تعوِّل على الآلة والماكينة إذا كانت المسألة راجعة إلى أمر معنوى أو تفسيرىٍّ أو عضوىٍّ وبهذا يمكن القول بأن الأسلوب الأمثل للوصول إلى الوسطية أو الحتمية أو الواقعية هو (الكلى المحتمل) وعقلاء الناس يؤمنون بالفواصل والفروق والبينيات ويؤمنون كذلك بالتدرج ولكنهم لا يوقنون بازدواجية القُوَى والأفعال ولا يعنى توظيف القدرات المادية أن الأبعاد الحقيقية ثابتة بالمعاينة ولكن لا مانع من المحاولات الجادة المبنية على حقائق علمية يراد

منهـــا إثبـــات المطلـــوب.. ومـــن هنـــا كانـــت الحكمـــة القائلـــة (على المرء أن يسعى وليس عليه إدراك النجاح) إذ النجاح ذاته إذا جدَّ طالبُه فى تحقيقه فإن التسمية الحقيقية له هى (التوفيق) وهو يتحقق بركائز ودراسات معينة لأننا لا نسمى لاعب الكرة الذى يحرز الأهداف ناجحًا بقدر ما نسميه موفقًا ولا نسمى السياسى المرموق ناجحًا بقدر ما نسميه محنكًا – حتى الدهماء من الناس يتفاضل بعضهم على بعض بصفات وأعمال خاصة والمتفوق منهم فى شيء ما يسمى موهوبًا وخبيرًا – حتى التسول هو مجرد فكرة وليس حرفة يستطيع بها فرد إقناع آخر بحاجته فيغدق عليه فكيف إذًا ننطلق بالمسميات على علاَّتها دون مصادر يستخلص منها مرادًا من المرادات.. والوصول إلى الوسط والحلول الوسط وغيرها أمور باتت معروفة وكأنها توضع عمدًا فى (قادوس) الطحين جيدها برديئها ليخرج الدقيق مخلوطًا – أقصد ليصبح الأمر مختلطًا– يستمرئه أى بلعوم حتى لو أن البلد (انقسمت إلى نصفين) كما يقول دائمًا عمداء الجلسات العرفية فإن هذا لا يعنى أنهم فى استطاعتهم الوصول إلى الوسط.. ولن يستطيعوا!. ولعلنا ندرك الحكمة فى قول الرسول صلى الله عليه وسلم: (خير الأمور أوساطها) فإذا أمعنا النظر فى لفظ (أوساطها) للمحنا معنى الوسط ووسط الوسط. ومما يؤثر هنا عن ابن عباس – رضى الله عنهما – أنه طُلِب منه إيراد آيات من القرآن الكريم تدل على الوسطية فاستدل بقوله تعالى: ﴿ **إِنَّهَا بَقَرَةٌ لاَّ فَارِضٌ وَلاَ بِكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ** ﴾ البقرة الآية ٦٨ وبقوله تعالى: ﴿ **وَلاَ تَجْهَرْ بِصَلاتِكَ وَلاَ تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلاً** ﴾ الإسراء الآية ١١٠ وبقوله جل شأنه: ﴿ **وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا**

لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا ﴾ الفرقان الآية ٦٧. وربما نكون قد أدركنا معنى وسطية الأمة المحمدية – بين سائر الأمم – وأخيرًا: هل ستبحر سفينة العدل والمساواة والوسطية فى بحر غير لجِّىٍّ لا تبتلعه الأمواج ولا جراجرها.

لو جئت نار الهدى من جانب الطور ... قبست ما شئت من علم ومن نور

فيضية القدح من نور النبوة أو ... نور الهداية تجلو ظلمة الزور

حتى أضاءت من الإيمان عن قبسٍ ... قد كان تحت رماد الكفر مكفور

فالبحر قد عاد من ضرب العصا يبسًا ... والأرض قد غرقت من فوْر تنُّور

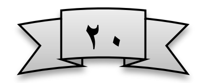
والشمس إن ذكرت موسى فما نسيت ... فتاه يوشع قمَّاع الجبابير

مانى كان = ومانى كنت

تبدو حوَّاء فى نظر المحلِّلين والمراقبين (ظاهرة) صحية على جريان الدم فى عروق الحياة وتجديد الحياة والنشوة عند البائسين والتعساء بل أكثر من ذلك فحواء فى نظر هؤلاء المحلِّلين لم تستغلَّ الاستغلال الأمثل واللازم لإنعاش الاقتصاد الدولىِّ والمحلىِّ ولم تستخدم الاستخدام الحقيقى لتوجيه السياسات والصناعات والرياضة والمرأة هى مبتكرة الموضات وعارضة الأزياء هى (المانيكان) الجذابة الحالمة وينظرون إليها من خلال نظرتهم لشجرة الدر (الحاكمة المدللة) ونفرتيتى (الجميلة دائمًا) وجوزفين (الملكة اللعوب) ينظرون إليها من خلال الملكة (فيكتوريا) الرحيمة.. والمشئومة أيضًا (مارى أنطوانيت) كما أنها (كاترين) ذات الأنياب الحادة.. والملكة (إليزابيث) المغرورة، والغانية (ديانا بواتيه) وإيزابيلا (قاهرة العرب) وهى أيضًا تساوى ألف رجل مثل الملكة (زنوبيا) وكليوباترا (الهلوك) والمحاربة (سميراميس) بل و(بلقيس) ملكة سبأ وهذه النظرة إن جاز تسميتها (بالنظرة الجنسية) فهى تعنى دخول المرأة فى معترك الحياة بشتَّى صورها وألوانها من هذا الباب وليس غيره حتى منذ نهاية العصور الوسطى (عصور الظلام) كما يطلق المؤرخون عليها حيث كان ولابد من تغيير هذا النمط (العبثىِّ والهمجىِّ) إلى النمط المتحول نحو إنشاء الدولة ومحاولة وضع القوانين وسنِّ الدساتير وإسكات جميع الآلات الحربية أو على الأقل (المهادنة والتعبئة) لإخراج تنظيمات جديدة وموظفة.. وكانت المرأة بطبيعتها (تستميل) قلوب الأبطال من المحاربين والسياسيين والمفكرين بسلاح الإغراء الذى لا يخيب والذى يجعل من البطل المغوار (فريسة سهلة الإصطياد) ولكنها

فريسة قوية فتاكة مفتولة العضلات وهى الفريسة الوحيدة التى عن طريقها تصل المرأة إلى بغيتها وضالتها فى مقابل بسيط وبسيط جدًا بالنسبة لها وهو (ليلة ساخنة أو قبلة حارة أو حضن دافئ) وبالطبع فإن الأسود تتقاتل وتتصارع عند رؤيتها (للبؤةٍ خليعةٍ رافعةٍ لذيلها) والطالبة لأكثر الآساد قوة وبطشًا.. وهكذا كان المتصارعون على حلبات الرغبة يسعوْن خلف هذه (اللبؤة) ذات العين الناعسة والنهد المشرق والقوام الرائع والروح المرحة وعرفت المرأة ذلك فى كل رجل فاجتمع عندها خيره وشرُّه وسرُّه وجهرُه وقوَّته وضعفه وجرأته وخجله وغباؤه ودهاؤه فلم تجد صعوبة فى الاستحواذ عليه فى مقابل بذل شيء مَّا تمن به عليه لتحصل من ورائه على الدولة والسلطة والمجد والمال والشهرة ولتضعه بجانب خاتم إصبعها الصغير واستغلت هى الرجل أكثر مما استغلها هو وطمحت فيه أكثر مما طمح فيها..

والمرأة بكل المقاييس ضعيفة ورقيقة لكن مبعث قوتها من هذا الضعف ومقياس عظمتها من هذه الرِّقة وهذا الدلال إذ أن كل قطعة فى جسدها تساوى الكثير وتجلب الكثير وليس من العجيب ولا المستغرب أن نعرف أن حجم المكاسب التى تحققها المرأة فى أى دولة من دول العالم فى دور اللهو والحانات وحلقات القمار وصالات الرقص تُعَدُّ بالملايين (دولارات واسترليني ومارك وينْ وجنيه) ولأن المرأة هى البقرة الحلوب التى تحقق هذه المكاسب فهى وحدها (عالميًا) تدير (بنوك الذهب وسبائك الذهب) وهى التى تدير مكاتب السياحة وتعرف أسرار الصرافة وأسعار العملة وأوراق البنكنوت.. هى وحدها التى تعرف مقياس (ريختر) لأنها هى التى تملك زلزلة قلوب العاشقين والمغرمين



وطالبى الرغبة.. وهذا بالطبع لا يبدو خافيًا على أحد وهذا ما يجعلنى أتساءل ؟ ما دام هذا بيِّن وظاهر فلِمَ الوقوع فى براثن النساء وحوزة النساء ولعل هذه الأطروحة الساذجة يجاب عنها بقول المثل الأيرلندى (المرأة هى الغالبة دائمًا).. والمثل البولندى الذى يقول (ابتلع الشيطان امرأة فلم يستطع هضمها) ويقولون عن المرأة فى اليابان (الشيطان أستاذ الرجل وتلميذ المرأة).. ومن أكثر الأمثال إقناعًا المثل المصرى القائل (شورة المرأة إن صابت فبخراب سنة) وإن المرأة تتعلم البكاء لتكذب كما يقول الرومان.. والمرأة عند الفلاسفة والطبائعيين من أسوإ المخلوقات فهى عند سقراط (حرب ليس فيها صلح إن أحبَّت أكلت وإن أبغضت أهلكت).. أما نيتشه فله رأيه الخاص حيث ينصح الرجل بقوله (لا تدخل على المرأة إلا والسَّوْط فى يدك) ثم يقلب أبقراط الحكيم الصفحة عند آخر سطرٍ فيها يقول فيه (المرأة هى المرض)..

وهذه حقيقة يعيها العقلاء فالمرأة كعادتها تريد الرجل أسدًا وتحبه قطًا أحيانًا أخرى وهى خبيرة بنظرة الرجل وتحولاته بل وتعرف هواجسه من طبقات صوته وابتلاع ريقه ورغبته فى طعامٍ معيَّن وشراب معيَّن وهى صاحبة اللحظة التى تورث الحزن الطويل..

فمن أغرب ما رأيت وحاورت شابًا من إحدى محافظات الوجه القبلىِّ وكان طالبًا بالجامعة حباه الله وسامةً وجمالاً.. أتى هذا الشاب من بلده إلى القاهرة لاستكمال دراسته الجامعية وأقام عند جدته لأمه بحىِّ السيدة زينب وتعلَّم مهنة (ترزى أفرنكى) بجانب دراسته وكان هذا الشاب (زميلاً دراسيًا) لى.

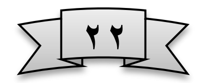
أخرج يومًا من حافظته صورة لطفل صغير عمره حوالى عشرة أشهر وأخذ ينظر فى هذه الصورة والدموع تذرف من عينيه بغزارة ودار بيننا هذا الحوار:

سألته: ماذا بك يا (...) ولماذا تبكى هذا البكاء ؟ (وأبرز لى الصورة) وأجابنى: أنظر إلى هذه الصورة وقل ماذا ترى؟ - نظرت إلى الصورة! فقلت له: إنها صورة طفل صغير لعله ابن قريب لك أو ابن أحد إخوتك..

ثم استطردت قائلاً: هل حدث لاقدر الله له مكروه ؟.. أجاب: لا هو والحمد لله على قيد الحياة وهو بخير.. وهو ابنى أنا !!! سألته: هل أنت متزوج ؟ قال: لا. قلت له هل وقعت فى خطأٍ والعياذ بالله ؟ فقال: نعم ولا أدرى ماذا أفعل.. (دهشت من هول الصدمة وسكتُّ)..

ثم قلت له: ولكن كيف حدث ذلك وأليس فى الإمكان أن تتزوج بأمه؟ قال: لا.. قلت: لماذا ؟ قال: لأنها متزوجة وعلى ذمة رجل.. قلت له: يا (...) المسألة تحتاج إلى توضيح..

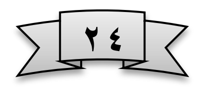
(فأخذ يحكى لى هذه الحكاية) قال: عندما حضرت إلى القاهرة منذ عامين لإكمال دراستى الجامعية وأقمت عند جدتى كانت تسكن أمام شقتنا زوجة لرجل يعمل (ميكانيكى) رأتنى فتقربت منى شيئًا فشيئًا حتى أعلمتنى بأنها تحبنى وتريد أن تنجب منى ولدًا وكانت تحدد لى أوقاتًا فى غياب زوجها لأمارس معها (الخطيئة) وكانت تقول لى: أنها تتمنع على زوجها بطرق مختلفة حتى حملت منى وتأكد ذلك لها تمامًا وأنجبت بعد ذلك الطفل وأخرجت له شهادة ميلاد واسمه فيها منتسبًا إلى أبيه (الزوج المخدوع)..؟ أخذت منه الصورة بسرعة مرة أخرى وأعدت النظر فيها لأتفرَّس ملامح الطفل الذى يشبه (الزميل)



فرددتها إليه ولم أستطع أن أتكلم بأى شيء ! فأجهش فى البكاء وقال: إبنى ولا أستطيع البوْح بذلك فكيف عندما أراه يكبر ويشب وهو يظن أنه ابن رجل آخر بشهادة ميلاد منسوب فيها إلى هذا الآخر لا أدرى ماذا أفعل..؟ ثم سكت فقلت له: فعلاً هذا أمر لا يستطيع أحد الإجابة عليه.. ولم يُنْسِنى كرُّ الأيام هذا الموقف الأليم وما زال هذا الشخص فى مخيلتى والحديث يطوف بخاطرى.. وما أظن أن هذه (العاهرة) شقيت شقاءه ولا تعذبت عذابه أو تألمت آلامه لأن الولد فى النهاية ولدها ولا يعنيها أنه من (فلان أو علان) هذا كله ليس مشكلة فى نظرها فهى فى النهاية أم الولد وحسبها ذلك كما قال أبقراط فعلاً (المرأة هى المرض) ولكنها مرض الموت.. وإذا كانت هذه طبيعة شاذة فى بعض النساء فهناك على النقيض من ذلك نساءٌ طُبِعْنَ على الطهر والعفاف وإذا أردنا أن نمثِّل لهنَّ فلست أرى أعظم من موقف هند زوجة أبى سفيان فى مبايعة الرسول ﷺ للنساء حينما قال لهن: [ولا تأتين ببهتانٍ تفترينه بين أيديكنَّ وأرجلكنَّ] مصداقًا لما جاء فى القرآن الكريم فى سورة الممتحنة { يا أيها النبى إذا جاءك المؤمنات يبايعنك على أن لا يشركن بالله شيئًا ولا يسرقن ولا يزنين ولا يقتلن أولادهن ولا يأتين ببهتان يفترينه بين أيديهنَّ وأرجلهنَّ ولا يعصينك فى معروف فبايعهنَّ واستغفر لهنَّ الله إن الله غفور رحيم } سورة الممتحنة الآية ١٢. فما أن سمعَت هذا حتى انتفضت وقالت: أَوَ تزْنى الحرَّة ؟ مستنكرة لمجرَّد أن تفكر المرأة فى الإقدام على هذه الجريمة.. ونلمح من بنود المبايعة أن الرسول ﷺ قد أحاط فيها بكل التفاصيل التى يمكن للمرأة من خلالها أن تتسلل إلى المفاسد والفواحش فإذا ما اجتَنَبَتْ ذلك حقَّ لها أن تبايع

وقد كان.. وكانت المرأة العربية تعرف أن حرِّيتها فى حفاظها على شرفها وعفافها وعرضها وحيائها وليس كما عليه النساء الآن من أن الحرية هى عكس ذلك تمامًا – فالحرَّة لا تأكل من ثدييها – والحرّة لا تجعل من مفاتنها عرضة ونهبًا للعيون الجائعة والشهوات المولِعة الجامحة.. والحرَّة لا تُطلِق لنفسها العنان حتى لا تقع فى بؤر الفساد الكامنة فى نفسها من حيث الشهوة والمال والجنس.. والمعروف أن المرأة عندما تشتمل على من (يحتويها) ويحميها فإنها فى الواقع تحتوى به على مائة رجُل وتسمو به على عقل ألف رجل لأنها تعرف جيدًا كيف تصلُ عن طريق هذا (الكوبرى) إلى البرِّ الآخر لترى اا (دون جوان) و (ألفيس بريسلى) و (كازانوفا) و (دينيس روسوس) والعندليب الأسمر والشامى واليمنى.. سَلْ أىَّ امرأة عن زليخا امرأة العزيز لتسمع منها آهاتٍ حرَّى وحكايات خاصة فالعمر عند المرأة لا يضيع ولا يجب أن يضيع لأنها تملك كل ما يمكن أن تجلب به الحظَّ والسعادة والأكل حتى الشبع والشراب حتى الارتواء بَيْدَ أنها لا ترتوى بالعذب وحده ولا يُشْبعها (الهامبورجر) وحده ولكنها الوحيدة التى تستطيع أن تصنع لنفسها (هودجًا) ترتفع إليه الأيدى وتستطيع أن تطبخ لنفسها (إكسيرًا) تجلب لنفسها به السعادة يستحيل أن يحصل على سرِّه (جالينوس)..

المرأة جدول صغير يستمد عنصره من محيط.. بل هى قصاصة بين دفتين تحمل فى طياتها (أكداسًا) من غوامض الفلسفة هى بحر لجىٌّ يغشاه موج من فوقه موج.. لو لم يكن هناك إرواء لشهوتها لما خضعت هى داء يعافه الدواء.. وربما تكون جرثومة تبتلع البكتيريا أو نارًا تشتعل بالكيروسين وهى الناقصة التى



أذهبت لبَّ الرجل الحازم.. يقولون: وراء كل عظيم امرأة ولو أنهم أنصفوا لقالوا أيضًا: ووراء كل حقير امرأة وكذا كل قاتل وكل مارق وكل سفيه!. ألم تجعلْ (بلعام) وكان مستجاب الدعوة (مُسْخَةً) حينما دعا على قومه من فوق الجبل الذى كانوا يقدسونه فاندلق لسانه على صدره ولقى جزاءه بميتةٍ كافرةٍ والعياذ بالله وفيه أنزل الله تعالى قرآنًا يُتلى ليكون عبرة وعظةً للناس قال تعالى فى سورة الأعراف الآية ١٧٥، ١٧٦ ﴿ **فَانسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الغَاوِينَ** ﴾ ﴿ **وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ذَّلِكَ مَثَلُ القَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ القَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ** ﴾.. ولقد استطاعت المرأة أن تسخِّر الرجل ليصبح (مانيكان رجالى) يعرض ملابسه وجسمه (لتُغْرِى) به نفسها لأنها لا ترضى أن (يُغْرَى) بها وحده فصيَّرته خليعًا عربيدًا عديم النخوة والرجولة..

ابتسمت لى امرأة ذات مرة فأسعدتنى ابتسامتها فكتبت فى ذلك شِعْرًا وظننت أنها خصَّتنى بذلك ولكنى رأيتها (تقهْقه) مع غيرى ورأيته كاد يُجَنُّ من السعادة!. وخفت عندئذٍ من أن يكون الرجال هم الذين ابتلوا بنقص العقل!. ولكن سرعان ما وجدت امرأة أخرى تبكى أمامى فأشفقت عليها ولكنى وجدتها فى مساء نفس اليوم وقد وضعت على وجهها (المساحيق) وتتثنى فى (مشيتها) وتهزُّ أردافها فقلت: إبتسامة + دمعة = امرأة.. فلا تعجب أخى القارئ من كائنٍ مؤنث جعل من الحق والباطل رجلان وفريقان ودولتان تقوم

كلٌّ منهما (بتصفية) الآخر لحسابها فهى حق وباطل وغرور وتواضع هى نور وظلام ونكدٌ وانسجام واستهزاء واحترام ومانى كان.. ومانى كنت.. .. ..

فــإن تسألــونى بالنســاء فــإننى بصــير بــأدواء النســاء طبيــب

إذا شــاب رأس المــرء أو قــلَّ مالــه فلــيس لــه فى ودِّهــنَّ نصــيب

يــردْن ثــراءِ المــال حيــث علمْنَــه وشرْخ الشباب عندهن عجيب

عالم.. يهود يهود

هل يمكن لنا أن نتصوَّر ولو على سبيل الجدل أن يصبح العدوُّ حبيبًا وأن يتحوَّل الغريم إلى صديق حميم خاصة وأن هناك مثلاً شائعًا يقول (ما محبة إلا بعد عداوة) وهذا المثل ربما يصدق على البعض وهم قلة ولكن ليس فى كل الأحوال ومع هذا فالمثل باقٍ على حاله دون تغيير أو تبديل ويبدو أن الجو النفسيِّ لقائل هذا المثل كان مفعمًا بالإخلاص والتفانى.. أو ربما كان ساقطًا فى قاع (الجهل المركب) لأن مجرد نسيان العداوة من وجهة نظره يُعَدُّ محبة مطْلقة خاصة إذا كان العدو من طراز (ثقيل) وإلا فكيف نسمى المحبة التى بغير عداوة.. وهل لابد من العداوة أولاً حتى تعقبها المحبة – إن هى أعقبتها – إن كل شيء فى هذه الحياة قابل للتغيير والتبديل إلا فى أمور بعينها لا يُستطاع التهوين من شأنها ولا التقليل من خطورتها ولا يمكن من خلالها أن يصبح العدوُّ حبيبًا أبدًا مهما كانت الظروف كعداوة صاحب الحق ممن اغتصب حقه أو احتلَّ أرضه أو حاول طمس هويته أو أهان كرامته أو أهال التراب على إنجازاته أو تعدَّى على عرضه.. وقد مضى علينا زمن ليس بالقصير نسمع عن تلك (العصابة الإسرائيلية) التى ظلَّ أحبارها وكهنة معابدها يروِّجون لفكرة (أرض الميعاد وشعب الله المختار) وعلى لسانهم جاء القرآن حاكيًا أسلوبهم وطريقتهم فى الحياة قال تعالى: ﴿ **ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ** ﴾ آل عمران الآية ٧٥.. ولأن جرأتهم فاقت كل حدٍّ فقد ادَّعوا ظلمًا وزورًا أنهم أبناء الله وأحباؤه فكان أن حاجَّهم الله تعالى بقوله: ﴿ **وَقَالَتِ اليَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ**

قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ المَصِيرُ ﴾ المائدة الآية ١٨.. وقالوا إنهم أحفاد الأنبياء وهم الذين قتلوا الأنبياء بغير حق قال الله تعالى: ﴿ **ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ** ﴾ البقرة الآية ٦١.. كما أنهم ابتدعوا فى حق الجليل عز شأنه افتراءات – حاش لله تعالى – أن يوصف بها أو بما يشبهها.. ومع هذا كله حاولوا الظهور أمام العالم بأنهم الضعفاء وبأنهم الذين يمدون أيديهم بالسلام حاولوا ذلك وملء عيونهم الدموع يندبون حظهم العاثر الذى أوقعهم فريسة فى أيدى العرب.. فالعرب فى نظرهم وكما صوَّروهم أمام العالم هم الخونة والقتلة والسُّوقة ومصَّاصو الدماء.. وبذلك نال اليهود عطف وشفقة المجتمع الدولى.. ولكن العرب أفاقوا على ضربات اليهود الشرسة فى الخامس من يونيو ١٩٦٧م وبعد حرب عاتية من جانب واحد انتصر فيها اليهود جاءت مطالبة العرب بالاعتراف بدولتهم المزعومة بعدها أراد الله تعالى – لحكمة يعلمها – أن يحفظ موازين القوى فى الأرض فكانت معركة ١٩٧٣م وأرسل الله عز وجل على اليهود (الطاعون المصرى) فصنع فيهم ما صنع (طاعون أرض كنعان) بعدها اضطروا للاستجابة لنداء السلام – رغم أنه سلام كسيح – إلا أننا قلنا: لا مانع ولعل وعسى !. ولكنهم بعد استعادتهم لقوتهم تاقت نفوسهم إلى الحرب وأفعالهم تنبئ عن ذلك لأنهم مطبوعون على الشر والحقد وبدا لهم الآن فى ظل الصحوة الإسلامية العالمية أن يعيدوا إلى الأذهان فكرة ملكيتهم لأرض فلسطين التى ورثوها عن أجدادهم الأنبياء وأن القدس هى عاصمة هذه

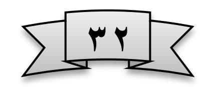
الأرض التى يملكونها ونسجوا حول ذلك خيوطًا من الكذب والتلفيق خاصة بعد أن صدَّقوا أنفسهم بمقتضى (وعد بلفور) المشئوم.. والذى عقَّب عليه العرب بقولهم (أعطى من لا يملك لمن لا يستحق) وبهذا المفهوم أصبح لهم دولة فى أرض العرب وحاولوا فرض الأمر الواقع بكلِّ خِسَّة ونذالة وقاموا بذبح الشعب الفلسطينى الأعزل !. فهل يُعقل أن يكون هذا الإرهاب من صنع أبناء الأنبياء فضلاً عن أن يكونوا أبناء الله وأحباؤه ! أم أنه من صُنع أبناء القردة والخنازير ! أما الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم فهم منهم براء.. إن صناعة الفجور والتهتك وهدم القيم والأخلاق صناعة يهودية ونشر الرذائل والمفاسد والخلافات (أوسمة) على صدور قادتهم.. لقد سجَّل اليهود أحقادهم الدفينة وأوهامهم الباطلة فى بروتوكولات لحكمائهم وحاخاماتهم أَوْدَعوا فيها كل (خبائثهم) وقذاراتهم لجعل العالم كله (لعبة فى أيديهم) وميراثًا يتوارثونه فيما بينهم وعقدوا مؤتمرات يهودية ناهزت الثلاثة والعشرين مؤتمرًا منذ عام ١٨٩٧م وحتى عام ١٩٥١م وخططوا فيها لوضع حجر الأساس لتأسيس (مملكة صهيون العالمية) وهذه المخططات تهدف إلى (توسيع) هذه المملكة (تكتيكيًا وعقائديًا وثقافيًا) بشتى الصور والرؤى والمواد والفرص المتاحة مثل أندية (الروتارى) و (الماسونية) و (الوجودية) و(الطوطمية) ومما زعموا أن موسى عليه السلام ألقى (التلمود) على بنى إسرائيل من فوق (طور سيناء) وحفظه عنه هارون ثم تلقَّاه بعد ذلك يوشع فإليعازر حتى وصل إلى حاخاماتهم !. ولكن الحقيقة أن (التلمود) هذا هو عبارة عن موسوعة تضم كل شيء عن خرافات وهواجس بنى إسرائيل لعنهم الله.. ويتضمن جميع (أنظمتهم) التشريعية

ومقررات (الهَلَكَا) وحكايات (الهجارى) ومواثيق (المشْنا) و (الجُمَارة) وهما جزءا التلمود المقدس عند اليهود.. ولأن اليهود لا يقنعون بمكاسبهم السريعة لتحقيق غاياتهم (الجبارة) فهم أيضًا يرسِّخون فى أذهان (العالم) أن مدة ضياعهم وشتاتهم فى شتَّى الدول المختلفة كان (نكبة) يتحملها العالم بأسره منذ الشتات الأول: على يد (نبوخذ نصر) البابلى الذى قام بتدمير (أورشليم) والهيكل سنة ٥٨٦ ق.م والشتات الثانى: الذى عاصر المرحلة (الهللينية) والتى حدثت بعد قرنين من السيادة الفارسية والتى بدأت بفتوح الاسكندر وقد نجحت طوائف منهم فى الإفلات من خطر (القوط والهون والتتار) حينما اجتاحت جنوب روسيا، والشتات الثالث: (الرومانى) والذى بدأ مع الثورة المكابية ولكن التمرد اليهودى على الرومان عرَّضهم لمذبحتين كانت الأولى عام ٧٠ م والمسمَّاة بـ (مذبحة تيتوس) التى قتل فيها أغلبهم.. ولكن الهاربين عاودوا تمرَّدهم مرة أخرى سنة ١٣٥م فقوبلوا بمذبحة (هارديان) النهائية إن دوائر المعارف العالمية صوَّرت بجلاء اختلاف اليهود فيما بينهم لدرجة العداء والتفرقة العنصرية بين طوائف (الإشكناز) من يهود أوروبا و(السفارديم) من يهود البلقان والشرق الأدنى و(الفلاشا) من يهود (إثيوبيا) إضافة إلى اليهود الشرقيين.. هذه (التركيبة) العجيبة من الأجناس المختلفة التى تفتقر إلى الوئام والتلاحم بل وتتبادل الاتهامات فيما بينهم كما قال فيهم القرآن ﴿ **بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى** ﴾ الحشر الآية ١٤ مما جعلهم فى صورة (معقدة) غير أنهم يستعملون (المهادنة) عند زحف الخطر عليهم بأوامر من رجال الدين (التلموديين) ونُصْحُ هؤلاء لهم بأن عقارب الساعة لا تعود إلى الوراء واليهود

أصـحاب ذاكـرة (قويـة) فسـرعان مـا يستحضـرون (أدوات) الخـلاف بـين خصومهم كما أنهم أوفياء بمن يعاضدهم ويؤازرهم فى بث المشكلات بين هؤلاء الخصوم ولكن ذاكرة التاريخ لـن تنسى زحف (الأفعى) اليهودية مـن شمال (سلانيك) المتمثلة فى يهود (الدونمة) بتركيا والذين ارتدوا ثوب الإسلام ظاهرًا واحتفظوا بيهوديتهم باطنًا بزعامة (سباتاى زيفى) المولود بأزمير التركية فى يوليو عام ١٦٢٦م والذى ساعدته وعاونته على ذلك اليهودية البولندية (بولونيا) الجميلة.. وصديقه (جوزيف بيلوسوف) والد إحدى زوجاته.. وعُزِلَ الخليفة (العثمانى) السلطان عبد الحميد فيما بعد وألفت جمعية (الاتحاد والترقى) السِّرية برئاسة (أجاويد باشا) التى أعلنت الحرب الخفيَّة والعلنية على الخلافة حتى جاء دور أحد أبطالها الخنزير المرتد (مصطفى كمال أتاتورك) والذى ربَّاه (خاله) حيث كان أتاتورك هذا مولودًا غير شرعى.. واستولى هذا المارق على الحكم عام ١٩٠٨م مستعينًا بقوات الجيش الزاحف من سلانيك إلى (استانبول) والذى ألغى الخلافة من الوجود وأعلن الحرب على الدين واللغة والقرآن حتى (الطرابيش) استبدلها بالقبعات مما سمِّى بعد ذلك (بحرب القبعات) ولا حول ولا قوة إلا بالله!. اليهود ظاهرة (مرضية) فهم أشد خطرًا على الإسلام بل وعلى المسيحية وهم الذين كانوا وراء (محاكم التفتيش) بأسبانيا وهم الذين (وثَّنوا وصنَّموا وطقَّسوا) كل أساليب الحياة فى المحافل والمآتم والاقتصاد والإعلام و(البيزنس) وغير ذلك.. .. والآخر بالنسبة لليهود شخص غير محترم ولا يؤبه له ولا يرقى إلى أن يكون يهوديًا ولا دية له إن قُتِل بِيَدِ يهودى بل سيُعدُّ هذا شرفًا له والعكس هو الصحيح وللبيت الإسرائيلي تصميم من نوع خاص إذ

لابد أن يبقى عند حائط بيته ركن مكشوف (إشارة إلى خراب الهيكل) فى أورشليم حتى إنهم يعتقدون أن إعادة بناء الهيكل أصبحت وشيكة لذا فهُم يتطلَّعون إلى (ترميم) هذا الركن المكشوف مع إعادة الهيكل!. أما عن سرِّ (النجمة السداسية) فقد زعموا أنها كانت مرسومة على ترس كل محارب فى جيش داود - عليه السلام - وهم يطلقون عليها (مجنُّ داود) وهذا خطأ حيث يوجد هذا الرسم فى معظم الفنون الزخرفية العالمية نظرًا لسهولته فهو عبارة مثلثين متساويي الأضلاع رأس كل منهما عند قاعدة الآخر وحسْب.. والحروب عند اليهود كلها مقدسة لأنهم (المغتَصَبون دائمًا — المبَادون دائمًا — الممزقون دائمًا — المعَادون دائمًا ؟) وهذا ظلم كبير واقع عليهم وحتى يُدفع الظلم لابد من محاربة الظالمين فى حروب مقدسة مستمرة.. وقد نسبوا إلى سيدنا موسى عليه السلام كلامًا فى تلخيص (أحكام الحروب فى الديانة اليهودية) فى التوراة ما نصه:

[إذا خرجت للحرب ضد عدوك ورأيت خيلاً ومراكب وقومًا أكثر منك فلا تخف منهم لأن معك الرَّبُّ آلهك الذى أخرجك من أرض مصر وعندما تقتربون من قتالهم يتقدم الكاهن ويخاطب الناس ويقول لهم: إسمع يا إسرائيل: أنتم قربتم اليوم من الحرب ضد عدوكم لا تضعف قلوبكم لا تخافوا ولا ترتعدوا ولا تخشوا وجوههم لأن الرب إلهكم سائرٌ معكم لكى يحارب عنكم ويخلِّصكم من أعدائكم.. ثم يخاطب العرفاءُ الناسَ قائلين: أىُّ رجل بنى بيتًا جديدًا ولم يسكنه فليذهب ويرجع إلى بيته لئلا يموت فى الحرب فيسكنه رجل آخر، وأىُّ رجل غرس كرْمًا ولم يذق بواكيره فليمض راجعًا إلى بيته حتى لا يموت فى الحرب



فيتمتع به رجل آخر، وأىُّ رجل خطب امرأةً ولم يأخذها فليذهب ويرجع إلى بيته لئلا يموت فى الحرب فيأخذها رجل آخر ثم يعود العرفاء إلى مخاطبة الشعب قائلين: أىُّ رجل خائف أو ضعيف القلب فليذهب ويرجع إلى بيته لئلا تتخاذل قلوب إخوانه مثل قلبه.. وعند فراغ العرفاء من مخاطبة الشعب يعيِّنون رؤساء كتائب على الجند.. وحين تقترب من مدينة لكى تحاربها فادْعها إلى الصلح فإن أجابتك إلى الصلح وفتحت لك فكل الشعب الموجود فيها يكون للتسخير ويُستَعبَد لك.. وإن لم تسالمك بل هبَّت لحربك فحاصرها.. وإذا ساقها الرب إلَٰهَك إلى يدك فاضرب جميع ذكورها بحدِّ السيف وأما النساء والأطفال والبهائم وكل ما فى المدينة فإنها كلها غنيمة تَغْتنِمُها لنفسك وتأكل غنيمة أعدائك التى أعطاك الرب إلهك.. هكذا تفعل.. بجميع المدن البعيدة منك جدًا التى ليست من مدن هذه الأمم التى هنا وأما مدن هذه الشعوب التى يعطيك الرب إلهك نصيبًا لك فلا تستبق منها أيَّة نسمة بل تبيدها إبادة الحيثيين والأموريين والكنعانيين والفرزِّيين والحويين واليبوسيين كما أمرك الرب إلهك.. حتى لا يعلِّموكم أن تعملوا حسب جميع أرجاسهم التى يعملونها لآلهتهم فتخطئوا إلى الرب إلهكم] لقد حوَّل اليهود جميع خرافاتهم إلى (مسلَّمات) واعتقدوا أنهم خلاصة العالم وسادة الدنيا بما (تميَّزوا) به من حكمة وفطنة وتدبير.. وهذه (عنتريات) فاضحة ومخجلة ولكننا مع الأسف لم نستوعب الدرس الكافى لأننا نتيح الفرصة لليهود للتوغُّل فى حياتنا ومسيرتنا وأهدافنا بتمكينهم من فرض (ثقافاتهم) علينا حتى إن الشباب الجديد أبدى نواجذه لكل ما هو أصيل وأعلن رفضه لكل ما هو قويم وإن خالف الرأى العام وحافظ

على دينه وأخلاقه فهو رجعيٌّ ومتخلف، أما إذا قلَبَ المائدة فى وجوه الجميع فهو متحرر ومن حقه أن (يعبِّر) عن رأيه بأسلوبه.. ولقد شاهدت فى أحد برامج التليفزيون للطلائع (حوار مع الكبار) فتاة تطرح سؤالاً عجيبًا تقول فيه: أريد أن أقتنع بأبى وأمى!. هكذا قالتها بالنص الصريح.. وهمس الجميع كيف هذا ؟ ولكن الدكتورة المحاضرة (المتبرجة) شكرت الفتاة على شجاعتها وطالبت الجميع بإفساح المجال للتعبير وحذَّرت من أى ردٍّ فعل تجاه هذه الفتاة وأمثالها ثم أخذت فى الكلام وصفق لها الجميع..يقولون:اليهود يقومون (بغزو) الفكر الإسلامي وأتعجب كيف هذا ؟ وهل يمكن للمبتدعين (إهدار) وإفساد أصحاب (الدساتير) العليا والأصول الثابتة بالكتاب والسنة ! ولماذا لم يتأثر اليهود أنفسهم بأخلاقنا وآدابنا!. أين مكمن القوة فيهم ؟ وأين مكمن الضعف فينا ؟ السؤال حائر.. والإجابة أشد حيرة ؟؟ ..

وقال علىٌّ فى التعازى لأشعثٍ وخاف عليه بعض تلك المآثم

أتصبر للبلوى عزاءً وحِسْبَةً فتؤجرُ أم تسلو سلوَّ البهائم ؟

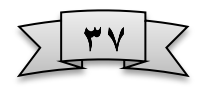
لغتنا العربية والزحف الأحمر

دائمًا هى لغة (متأنقة) حافظت على عفافها وما زالت– ردحًا من الزمان – إعتورتها رياح التغيير وناوشتها معاول (الهدم) ولكنها أصرَّت على البقاء واستطاعت بقواعدها الراسخة (الثابتة) حَمْل جميع الأعباء والأثقال والمستجدَّات العصرية مما حدا بعلماء اللغة العربية فى المَجْمَع اللغوى الغوص فى محيطها لاستخراج لآلئها وأصدافها لتأليف المسمَّيات (الحديثة) والمكتشفات العلمية الوارد منها والمحلِّى.. ورغم استقدام ألفاظ (أجنبية) تمكنت من (التعايش السِّلمىِّ) مع اللغة العربية إلا أنها لم تف بالغرض ولم تقم بتوصيل الرسالة المنوط بها توصيلها إلى المجتمع العربىِّ فى غالبيته فشعرت تلك الألفاظ (الأجنبية) بالاغتراب ولم يستمرئها بعدُ من سلمت سجيَّته وانسجمت وتناغمت مع الحروف مخارجه بعد أن عرف (البدائل) بَيْدَ أن العربية لا يضيرها تقديم ولا تأخير فى ألفاظها.. كما لا يؤثِّر فيها جعْل حرف مكان آخر أو حذف لفظٍ معيَّن يقوم غيره مقامه.. وهى أيضًا لا تحتاج إلى تطويع أو تهذيب وهى مؤلفة على نسقٍ طبيعى ونمطٍ بلاغىّ لا تستطيع أى لغةٍ أخرى أن تزاحمها أو تسايرها أو تجد (ثغرة) فيها لتسدَّها.

ولكنى أرى القوم لم يحالفهم الحظ فى حفظ قواعدها وفهم مراميها أو مبانيها فادَّعوا (تميُّزهم) بالثقافة الأجنبية و (تفوُّقهم) فى العلوم واللغات (الأوروبية) فتغيَّرت تبعًا لذلك ألفاظهم ونظرتهم وسلوكيَّاتهم – ضعفًا منهم ونقصًا – فهم يرون أن الثقافة الأجنبية أشدُّ تحرُّرًا من القيود التى (تُكبِّل) بها اللغة العربية التى يحكمها الدين والخُلُقُ الحميد – ويكفى أن يكون هذا عائقًا

لهم عن الإبداع – على حدِّ زعمهم.. حتى الشِّعر طالبوا بتحريره من قيود الأوزان والقافية والبحور المختلفة.. ويحدث هذا كله دون خجل أو مواربة ودون اعتراف منهم بالفشل أو حتى التسليم بالعجز وضعف الذاكرة وهذا فى الواقع إن دلَّ على شيء فإنما يدل على سوء النية والقصد.. كما يدل فى المقابل على الامتثال والعبودية لكل ما هو أجنبى ومما يوجع القلب فعلاً هو التجرُّؤ على (المتمسِّكين) باللغة وقواعدها والمحافظين على (تنقيتها) من الغريب والعامِّيِّ.. والمطهرين لأجوائها من الوباء المحيط بها وأصبح هؤلاء من المحافظين على اللغة (مثار سخرية واستهزاء) خاصة فى الأفلام السينمائية (المبتذلة) والتى يظهر فيها (المأذون) أو (المدرس) فى شكلٍ رثٍّ (مبتذل) يبعث على (التقيؤ) وهو (يتلفَّظ) بألفاظٍ عربية غاية فى (التقعُّر) وهو فى حالة من (التشنُّج) الصارخ ويظل هكذا ملوِّحًا بيديه حتى تظهر بطلة (الفيلم) أو بطل (الفيلم) فى صورة جميلة (تجذب) القلوب الضعيفة (الممتلئة) حقدًا وغيظًا ونفورًا من هذا الـ (.. ..) المتخلِّف ليتكلَّم (الأبطال) بلغة أخرى وجاذبية أخرى و (موسيقى) تصويرية من نوع آخر (ومشهد كهذا كفيل بتغيير أمور كثيرة عند المشاهد) وأصبح (تضييق) الخناق على اللغة العربية ومعلميها وأربابها أمرًا مباحًا (مكفولاً) لجميع (المثقفين والمبدعين والمستنيرين) وكأن غيرهم على العكس من ذلك!. وآه من خبث الطوِيَّة ولقد أصبح حب الظهور سمة من سمات العصر والأمر لا يحتاج إلى جهد كبير فعلى كل من أراد إظهار (ثقافته وبراعته وبُعد نظره) فعليه فقط أن (يَدُسَّ) بين كلامه لفظًا (أجنبيًا) يعبِّر به عن تفوُّقه ونجابته ورغم هذا فهو ينطق اللفظ خطًا (جهلاً منه وعدم إلمام

كامل باللغة التى يتنطَّع ويتمسَّح بها) إن محاولة الانقضاض على اللغة العربية بهذا الشكل (العشوائي) والانتقاص من قيمتها لَهُوَ بالفعل جريمة كُبرى لا تُغتفر ومحاولة قذرة للتشفِّى من قيود القِيَم والفضائل وتمزيق ثوب الكرامة العربية بل وتلطيخ هذا الثوب (الناصع) بالسَّواد (النَّاقع).. ولم نشك ولو للحظة واحدة فى أن إعجاب هؤلاء النفر بالأجانب أصبح (مفرطًا) بل ومعديًا لدرجة جعلت كثيرًا من أصحاب الفنادق والمطاعم الكبرى وكثيرًا من المؤسسات التجارية حملت واجهات مبانيها أسماء أجنبية مقتبسة من الأفلام والمسلسلات والكتب (الماجنة) ولكن اللجوء إلى هذا الأسلوب الجديد وتلك المسمَّيات الغريبة لا يعنى ضيق مفردات الألفاظ والمسمَّيات العربية حتى إنها لم تعد تكفى ولا تفى بالمطلوب.. بل لأنها (عقدة الخواجة) ومن الملفت للنظر حقًّا أن الاهتمام بقراءة نشرة الأخبار أصبح أيضًا من الناحية اللغوية والإعرابية (هامشيًا) وأكاد أشفق على بعض قارئي هذه النشرات سواء كان هذا فى الإذاعة أو التليفزيون فالقليل منهم هو الذى يهتم بالمحافظة على ضبط الكلمات والتشكيل والنطق الصحيح أما أكثرهم فيتبع قاعدة (سَكِّنْ تَسْلَمْ) فلا تكاد تخلو لفظة أو جملة أو تركيبة لفظية من الوقف عليها بالسكون دون الإشارة إلى حركتها التى (تعيِّن) موقعها الإعرابي فى الجملة كما لا يشعر هذا البعض بأدنى حرجٍ وهو يصل الكلمات (ساكنة) ولا يهتم عادة بحركة ونطق تاء التأنيث (المربوطة) والتى يوقف عليها بالهاء فى مثل: وثيقة – سلطة – محادثة الخ.. والأدهى من ذلك أن بعضهم ينطق اللام الشمسية المدغمة مثل اللام القمرية المظهرة مثل: الطريق – النيل – الطائرة الخ.. وهذا على عكس مقدِّمى ومذيعى النشرات بإذاعة



لندن فإنه يوجد خلف كل قارئ منهم (مصحح) ولقد سمعت ذات مرة تصحيحًا لإحدى قارئات النشرة بتلك الإذاعة (الشهيرة) ولعل من أكثر الأمور غرابة هو نطق حرف الجيم دون تعطيش عند قراءة القرآن الكريم (أى باللهجة القاهرية) حتى إن كثيرًا من (المعلِّمات) الفاضلات فى المدارس والمعاهد يخجلن من نطق الجيم (معطَّشة) رغم أنَّهنَّ يقمن بتعليم النشء وكان الواجب أن تراعى الأمانة خاصة فى كتاب الله عز وجل.. وما زلنا على الرغم من ذلك نطمع أن تتدبَّر الإذاعة (المرئية والمسموعة) الأمر بدافع من الغيرة القومية وعلى هدى الصالح العام الذى نتوخَّاه جميعًا وهذا واجب مقدَّس لا هوادة فيه.. وعلى الإذاعة أيضًا أن تتواصى بالعربية الفصحى وتعمل جاهدة على إتقانها أداءً وإعرابًا ليُغيِّر المثقفون الرأى فيها ويجدِّدوا الثقة فيها .. ولقد آن للذين يتعلَّلون بالشعب ومجاراته فى اصطناع (العاميَّة) أن يمسكوا عن هذه (النغمة) التى لا تجدى نفعًا فضلاً عن (الفشل) الذى يلُفُّها خاصة وأن المطالبة (بفشوِّ) العامية صنيعة الجهل وسوء النية وبات الذين يشدُّون من أزرها من عديمي الانتماء والوفاء.. ولا أدرى لمصلحة من هذا كله ؟ فاللغة العربية هى لغة القرآن الكريم الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.. المحفوظ فى الصدور والمعوَّل عليه فى التشريع الإسلامي بل إنه المصدر الأول للتشريع.. والحق أن لغتنا العربية قوية المِرَاس واسعة الأطناب يحتاج الدارس لها إلى فهمٍ خاصٍّ وإحساسٍ خاصٍّ فنحن أمام حروف تؤدى بترابطها إلى المعانى والمعانى إذا تجاورت صَلَحَت للتوصُّل بها إلى غرضٍ أو عرض قضية أو فصل فى حكم كما أنها تعبير عن مرادات معينة تؤدى فى النهاية إما إلى حرب أو سلام أو تبرئة أو اتهام فهى

إذن مجموعة من الصِّيَغ أو المعانى والجُمل تُحدث ما لا يحدثه الصاروخ أو الغوَّاصة فتجدها فى الآفاق وفى الأعماق.. وفى الجواهر والأعراض والرَّحم بينها موصولة.. فبين الحروف قرابة كالعمومة والخؤولة والأبوَّة والبنوَّة.. والحرف كالجسم يدلُّ بصفته على شيء له مفهوم ودلالة وحينما تمتزج الألفاظ وتتداخل مراحل (التطوُّر اللغويِّ) إلى منتهاها فإن معناه ارتقاء المشاعر والأحاسيس وتنمية الأفكار واكتشاف المعلومات.. فاللغة بناءً على هذا قيمة تُنْبِئ عن إمكانات صاحبها وقوَّة استنباطه وحجَّته وحصافة رأيه وسلامة فكره:

أنا البحر فى أحشائه الدرُّ كامن	فهل ساءلوا الغواص عن صدفاتى
أرى كلَّ يوم بالجرائد مزلقًا	من القبْر يدنينى بغيرْ أناةِ ..
أيهجرنى قومى – عفا الله عنهم	إلى لغةٍ لم تتصل برواةِ..
سَرَتْ لُوثةُ الإفرنج فيها كما سرى	لعاب الأفاعى فى مسيل فراتِ..
فجاءت كثوبٍ ضم سبعين رقعة	مشكَّلة الألوان مختلفاتِ..
إلى معشر الكتاب والجمع حافلٌ	بسطت رجائي بعد بَسْطِ شَكاتى
فإما حياة تبعث الميْتَ فى البلى	وتنبت فى تلك الرموس رفاتى
وإما ممات لا قيامة بعده	ممات لعمرى لم يُقَس بمماتِ

نفايات أدبية..

المتوقع دائمًا من وجهة نظر العقلاء أن لا يصل التحدِّى العقائدى أو الإبداعى إلى الخروج عن الخط الأحمر حتى وإن كان المتحدِّى يملك من وسائل الترويج والتعبئة لفكره وصناعته ما يستطيع به الوصول إلى العقول والأفكار (السطحية) وما يهيئ له الانتشار والذيوع لأنه يتوقع دائمًا الردَّ الحاسم وربما الموجع من أصحاب الأفكار والعقائد (السليمة) فتجد دعوته فى النهاية صدودًا عامًا فيتصدَّع بناؤه الإبداعي ويظهر الوجه القبيح لإبداعه المزعوم ومن ثم يُلقَى بجهده وتمحيصه وفكره فى سلَّة (المهملات).. ولسنا نحن المسلمين بصدد الدفاع عن عقيدتنا الراسخة (المتوازنة) التى تسع الجميع من أصحاب الأفكار والإبداع (المنصف) بعد أن أرْسَت قواعدها أصول ثابتة بالكتاب والسنة.. خاصة وأن رياح التحدى هذه المرَّة وفى تلك الآونة بالذات لم يأت من أى (معسكرات) شرقية أو غربية وإنما يأتى من قلب الأمة وعلى أيدى من رضعوا ألبان (العلمانية) وشربوا من كأس (الحرِّية الاعتقادية) حتى الثمالة والغرب على أى حال لم يعد يكترث بنا بعد أن بثَّ سمومه وجنَّد جنوده وحشد حشوده ووزَّع أدوارهم ودفع بهم إلى قلب الأمة الإسلامية وظنَّت العلمانية أنها ألقت عصاها واستقرَّ بها النوى على أرض الواقع كما ظنّنت أنها فرضت (هيمنتها) على الفكر والإبداع فى العالم خاصة (العالم الإسلامي الملتزم) الذى (يقدِّس) فيه المسلمون (القرآن والسنة) وهما مبعث الحياة فى مخاطبة الوجدان والشعور وتنمية المشاعر النبيلة فى هذا العالم.. فحاول بعضهم بثَّ فكره فى إطار أدبيٍّ أو دينيٍّ – كما يزعمون – ظنًّا منهم أنهم بهذا (يجدِّدون) الدم الأدبى والدينى لربط الدين بالأدب الحديث والمعاصر فإذا كان غيرهم فى محاولات يائسة قد فصل الدين عن السياسة فلا شكَّ أنه لن يستطيع – فى مفهومه – أن يفرِّق

بين الأدب القرآنى والشعور الوجدانى المنبعث من خلط المادتين معًا (مادة قرآنية روحية– ومادة وجدانية شعورية) وحاول الشاعر الفلسطينى (محمود درويش) أن يجسّد هذا النمط الجديد ليعرضه فى سوق (الإلحاد) الممقوت فكتب قصيدة = أعنى نثرًا أدبيًا = عَنْوَنَ له بهذا العنوان.. (أنا يوسف يا أبى) ثم أنشأ يقول: أنا يوسف يا أبى.. يا أبى إخوتى لا يحبوننى.. لا يريدوننى يا أبى.. ويعتدون علىَّ ويرموننى بالحصى والكلام.. يريدوننى أن أموت لكىْ يمدحوننى.. وهم أوصدوا باب بيتك دونى.. وهم طردونى من الحقل.. هم سمَّموا عنبى يا أبى.. إلى أن يقول: هل جنيت على أحد عندما قلت (إنى رأيت أحد عشر كوكبًا والشمس والقمر رأيتهم لى ساجدين).. إلى هذا الحدِّ من الجرأة وصل ما يسمى بالإبداع الفكرى والأدبى ومما يندى له جبين أقل الناس إسلامًا أن هذه المنشورات تمَّ تلحينها ليتغنَّى بها مطرب لبنانى.. يدعى هو الآخر (مارسيل خليفة) على موسيقى (الجاز).. ومن عجيب المفارقات أنه فى صبيحة يوم الجمعة ٢٥/١٠/١٩٩٦م وفى برنامج (صباح الخير يا مصر) استضاف أحد المذيعين شابًا يزعم أنه شاعر.. فقال له الإذاعي: ماذا قلت فى قصيدتك ؟ فردَّ عليه بكلام من إنشائه بعده تعقيب يذكر فيه مطلع آية قرآنية ثم يعود إلى كلامه بعدها يكمل جزءًا آخر من نفس الآية ويأخذ بعد ذلك فى الإضافة والحشو حتى يأتى على آخر الآية وادَّعى صاحبها نفس الإدعاء وهو (التجديد الأدبى) أو (القوالب الأدبية الجديدة) كلُّ هذا يحدث فضلاً عن آخرين تركوا كل شيء خلف ظهورهم واستداروا يبحثون عن الخوض فى القرآن الكريم ذاته.. ويشككون فيه بحجة حرِّية البحث والإبداع الفكرى وبعضهم يحاول الآن فتح ملفات الأنبياء والمرسلين يحاولون فيها من خلال بحوث خاوية من الدلالات باسم الإبداع وحرية الفكر دراسة التحاليل النفسية للأنبياء – صلوات الله

وسلامه عليهم - ولا ريْبَ أن الفجيعة كبيرة وأن الخرَق بات يزداد اتساعًا.. وأصبح ما بقى من ضمير الأمة عرضة للتمزيق.. وأرى بُعد البوْن بين الأدب الحقيقى وبين التحديث الأدبى الخالى من الروح والخيال والجمال.. بَيْدَ أن كبار الشعراء تأثروا ببلاغة القرآن وإعجازه فتركوا الشعر حياءً من بلاغة القرآن الكريم لأن فيه نبع الحياة وخلاصة الإرشاد والتقويم دون ازدواجية فى التعبير أو المعايير أو الأقيسة المختلفة.. إن البراهين التى يقدِّمها أصحاب النفايات الأدبية والثقافية على ضرورة (تعصير) الآداب والثقافات بل والفتاوى لَهِيَ أوْهَى من خيط العنكبوت ولم تجد قبولاً عامًا ومن ثمَّ فإنه بات من الضرورى أن ندرأ المفاسد قبل أن نجلب المصالح وذلك عن طريق تعميق الفكر الإسلامى والارتقاء بمستوى الدعاة على جميع المستويات الدينية حتى لا يصبح المجال فسيحًا أمام المغامرين والمقامرين وأعداء الإسلام المأجورين فهل تصدق أيها القارئ أنى سمعت أغنية بعنوان (ذرنى ومن خلقت وحيدًا) لمحمد الموجى فى العاشر من رمضان ١٤٢٠هـ ١٩٩٩/١٢/١٧م..

قالوا: سهرْت وفى فؤادك حرقةٌ	تدمى وألف تساؤلٍ يتردد
وعلى جبينك قصة مكلومة	تروى المآسى للجميع وتسرد
ودموعك الملأى بألف حكاية	رسمت على خدَّيك نارًا توقد
أنا يا صحاب مشاعر موتورة	للثأر تسعى والمسالك توصد
أنا يا صحاب مدامع محمومة	تهمى من الألم المميت فتبرد
وأبيت تلحقنى معرَّة ذلتى	وبكاء أحبابى هناك استنجدوا

ســــوق البنـــدر..

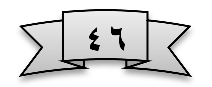
الأسواق عالم كبير متصل الحلقات ومتنوع الأساليب والمنظومات ومتعدد الجوانب والطرقات.. فيه يكون الخير والشرُّ والدعاء و (القرُّ) نعم: هو عالم غريب عميق الغرابة الساعة فيه تحكى كل غريب وتشهد كل عجيب وتلعب بعقل كل أريب.. وأعجب من سوق البندر بمدينتى دمنهور ما رأيت ففيه تمتلئ (أكياس) البائعين و(أدراج) التجار بالأموال بينما تخلو فيه (جيوب) المشترين تقريبًا من كل شيء عدا بضعة قروشٍ قليلة.. سوق البندر كأنه السوق الأوروبية المشتركة إلا أنه أكثر منها شهرة حتى إنه تفوَّق على أسواق التعاون الحكومية فواراها التراب ووأدها فى مهدها فلا تكاد تسمع فيها إلا همسًا.. عوامُّ السكان فى دمنهور يسمونه (سوق ملوخية) ومثقفوهم يطلقون عليه (البياصة) ولقد حاولت أن أراجع هذه (المسمَّيات) من واقع (القاموس) علَّنى أهتدى إلى سبب هذه الكثرة من الأسماء والعلة من تعدد هذه الأسماء.. فوجدت أن البندر ربما يكون لفظًا تركيًا ويعنى الحضر ضد البدو والريف.. أما البياصة كما فى باب الصاد فصل الباء (البوص): هو السبق والرَّمى والتقدم والاستعجال والاستتار والهرب والإلحاح واللون المتغير والبَّوْصَاء: عظيمة العجز.. وبوَّص تبويصًا: عظمت عجيزته وسبق في الحلبة وصفا لونه.. ووقع منه حاص باص: أي اختلاط لا محيص عنه.. وحَيْصَ بَيْصَ وحيْصًا بيْصًا: ضيَّقتم عليه حتى لا يتصرف فيها " القاموس المحيط " للفيروز ابادى ج٢ ص٤٣٥.. أما ملوخية ففى باب الخاء فصل الميم: الملْخ: السَّير الشديد والتردُّد فى الباطل وإكثاره وجذب الشيء قبضًا وعدًّا والتثنِّى والتكسُّر والجماع وزنح الطعام ولعب الفرس وشُرْبُ التيْس بوله والملاخ والملاخة والمليخ: البطئ الإلقاح والفاسد وكذا الضعيف وما لا طعم له.. القاموس ج١ ص٥٣١ والملوخية أيضًا هى نبات يطبخ عند عامة المصريين ضارب إلى الخضرة وهو لذيذ الطعم والمذاق

ومن الملاحظ من عرض المعانى لهذه الأسماء أن سمات هذا السوق متناقضة ومتضاربة تتفق في أشياء وتختلف في أشياء أكثر ولكن قبل الغوص في هذه المتناقضات وأغوارها وأبعاد صناع القرار فيه لابد من معرفة خريطته العامة داخل المدينة فالسوق عبارة عن مستطيل شبه دائرى تتفرع من داخله عدة مداخل رئيسية إلى الشوارع العامة تبلغ حوالى تسعة تتوزع منها هى الأخرى خمسة مداخل جانبية (تصبُّ) كلها في بعض دخولاً وخروجًا تحف بالباعة والتجار.. والسوق تحده أربعة شوارع كبيرة وعامة وهى: شارع صلاح الدين من جهة الشرق وشارع أحمد عرابى من جهة الغرب وشارع الخيرى (بور سعيد سابقًا) من جهة الجنوب وشارع ٢٣ يوليو من جهة الشمال مع جزء مشترك بين شارع عرابى وشارع ٢٣ يوليو مما يحاذى (مجمَّع المحاكم) أمام الواجهة عند مدخل القضاة.. ومن الغريب أن هذه الشوارع متباعدة والمسافة بينها ليست بالقليلة إلا أنك حين تكون في (قلب) السوق تكون قريبًا منها جميعًا وسوق البندر لم يقم بتصميمه (مهندس) ولكن الذى قام بتصميمه فى الواقع هم أصحاب المحلات التجارية الكثيرة والبائعين والقصابين والعطارين وبائعى الأسماك وأصحاب محلات الأدوات المنزلية والألمنيوم والنحاس والملابس البلدى والأفرنكى والبذور والخردوات والمخابز والأحذية والأسماك المملحة (الفسيخ والسردين) ومحلات (العسلية) وحظائر (الحمير) وساسة الخيول والكونترجية وبائعى التمور والحصير والغرابيل والصناعات الخشبية (المطارح والألواح ومصائد الفئران) و (الطبالى) والمناخل و (القباقيب) ومحلات الدجاج وبائعى أم الخلول والملوحة والعلافين والمقاهى وغيرها.. هؤلاء هم الذين رسموا هذا السوق وهم (صناع القرار فيه) ومجموع حجم المبالغ التى يتم التعامل بها فيه تبلغ حوالى ٣.٥ مليون جنيه يوميًا.. أما تعداد الداخلين فيه والخارجين منه فيبلغ حوالى ٢ مليون فردًا هذا فضلاً عن السماسرة والدلالات والصبية

الذين (يتحكمون) فى التوفيق بين البائعين والمشترين ونقل السلع وعرضها على الزبائن والعامَّة.. وفى هذا السوق العجيب (يُباعُ) كل شيء حتى (الذمم) وما أكثر (الذمم) الخَرِبَة فى سوق ملوخية الذى تنبعث منه رائحة غريبة هى خليط من (روائح شتى لا يستطيع أحد تمييز بعضها عن بعض) وكثيرًا ما تُعقَد فيه الصفقات وتُخلَع على (الزبون) فيه الصفات وتختلط فيه الفقيرات بالموسرات والصالحات بالفاجرات والضَحَكات بالعَبَرات.. وهو عبارة عن مسرح كبير يحكى كل شيء ويتحدث عن كل شيء ولا تكاد تجد لقدميك فيه موضعًا ولا يمكن أن تقع عينُك فيه إلا على شيء معين أو وجه معين أو سلعة معينة أو لافتة أو متجر أو غير ذلك مما يعُجُّ به هذا السوق (سوق البندر)..!!!

ولعل من أكثر البضاعة رواجًا فى هذا السوق هو (الكذب) فالأَيْمان فيه تُكال وتوزن وتشير الإحصائيات (المسموعة والمرئية) إلى ارتفاع مستوى (الأيْمان بالطلاق) بنسبة كبيرة يليها والعياذ بالله (الحرام من الدين) ثم (قطع الذراع) وابتكرت البائعات (الريفيات) يمينًا آخر وهو قولها: (وعينى ونضرى) وهكذا يتخلل هذا كله (اليمين بالله) والحديث فى هذا لا ينتهى.. وقس على ذلك توزيع الألقاب على (الزبائن) مثل: (يا محترم — يا بيه — يا حضرة — يا أفندي — يا باشا — يا حاج — يا كابتن — يا بركة — يا خلِّ — يا ريس الخ) ومن آفات هذا السوق (السرقة) فقد تُسرق أموالك بسبب ارتفاع الأسعار ومن جيبك أحيانًا ومن سَهْوِك أحيانًا أخرى فأنت مسروق مسروق.. يا ولدى.! ولكن يبقى سؤال عن أهم الشخصيات التى كان لها (بصمات) كبيرة ومؤثرة فى هذا السوق حتى إنها استطاعت (الإبقاء) عليه وأجرت (الدم) فى عروقه حتى ظلَّ (محتفظًا) بشبابه وحيويته ونشاطه حتى الآن (مات بعضهم وما زال البعض الآخر على قيد الحياة) حتى إن تأثيرهم بلغ مداه حينما أراد الدكتور عادل إلهامى محافظ البحيرة سابقًا فى

بداية (التسعينات) أن يقوم (بتنظيم) السوق وتغيير معالمه حتى يظهر فى شكل (حضارى) فما كاد يُعلِن هذا حتى كان لهؤلاء (أصحاب القبضة الحديدية) كلمة واضحة وهى (لا لهذا التغيير.. ولا لهذا التنظيم) ! وقد كان.! ولا يستطيع أحد يدخل هذا السوق من أحد شوارعه أن يخرج منه بل تسوقه (الأمواج) البشرية دائمًا إلى الأمام وتدفعه للخروج من شارع آخر وإن نسيت فلن أنسى رموز هذا السوق من أمثال الحاج طه (صانع الطرابيش) ومقره بجوار مخبز كعبو والحاج عبد الحميد النحراوى (شيخ الجزارين) بجوار الحاج محمد رحومه (صانع العباءات والملابس البلدى) ومن رموز هذا السوق الكبير (عم كاشف) بائع الخبز وكان محله (علامة مميزة) ورائحة الخبز تنتشر فى عدة شوارع تصل إليه عن طريقها وبجواره مؤسسة الحاج خليل (للأدوات المنزلية) كما كان يوجد (تربيعة) خيشة للخضروات الطازجة ومحل (ملوخية) للمواد الغذائية وهو أكبر محل فى هذا السوق المسمَّى باسمه.. حتى الشيخ (عبد السلام المأذون) صاحب محل الأدوات المنزلية وكان يرتدى الزى الازهرى والشيخ إبراهيم الدفراوى صاحب محل الخردوات وكان مأذونا يرتدى الزى الافرنجى وكانا من رموز هذا السوق والحاج متولى (شيخ العطارين) ومحلات مسامير (للأسماك المطبوخة) والحاج طه (صاحب محل النشوق) فضلاً عن محلات الفوِّى والقصاص للفول والطعمية وأبو جاموس للحلويات ومحل (عم قصُّه) وهو فى شارع مائل يسمى (منزل قَصُّه) وعم رجب الاصولى بائع الكتب وعم حنفى (البيطار) وسوق أباظه الشهير وعطفة (لحوم الأكارع والأوصال) ومحلات (دبغ الجلود) ومحلات (بيع ألواح الثلج) وكان جدى السيد صقر رحمه الله (شيخ تجار الزيتون والنارنج) بهذا السوق وفى قلب سوق البندر (مسجد سيدى مجاهد) أحد العارفين بالله كما يوجد بهذا السوق (مقهى المسيرى) وفيه مجتمع البنائين والعمال من جميع القطاعات والصناعات.



ويبدو أن عمْر هذا السوق ضارب فى جذور التاريخ ومرتبط عظيم الارتباط بمدينة دمنهور (الأصلية) وكانت عبارة عن (كوْرَةٍ) من (كوْرَاتِ) إقليم البحيرة (القديمة) الذى يشمل الآن منطقة (القلعة وميدان السكة الحديد والصاغة ومسجد التوبة) ويمكن القول بأن سوق البندر يُعَدُّ أثرًا عظيمًا من آثار دمنهور ومتحفًا بشريًا يحوى كل أنواع البشر والخلائق وكم أفنى هذا السوق كثيرًا من الناس وطوى كثيرًا من القرون وعاصر كثيرًا من الملوك والحكام وشهد الكثير من الحروب والمعارك والثورات وودَّع كثيرًا من الأجيال وسوف يأتى يوم ينفضُّ فيه كل سوق وتنتهى فيه كل أمة وينقضى فيه كل عمْر وتفنى الدنيا بأسرها..وسبحان من له الدوام والبقاء.. .. !!

هل فى الزمان لنا حكم فنشترط ... أم تلك أمنية فى طيِّها قنطُ

نبكى على غير شيء ثم يضحكنا ... ما ليس لنا فيه بُقيا فنختلط

وكيف نرجو من الأيام عافية ... وصحة المرء مقرون بها السَّقط

نرعى من الدهر غيثًا نبته أسف ... للرائدين وَرَوْضًا زهره شطط

فلا يغرَّنك من دهرٍ بشاشته ... فإنما هو بشر تحته سخط

فاقذفْ بنفسك فى أقصى مطالبها ... إن النجاح بسعى المرء مرتبطُ

يوم من الدهر أهوى لو بذلت له ... ما شاء فى مثله لو كان يشترط

قتل الرحمة..

أقدم اعتذاري بين يَدَيْ قارئ هذا المقال لهذا الخلل العارض فى عنوان مقالى هذا ولولا انتشار وذيوع هذا (المسمَّى) حاليًا على ألسنة كثير من الأطباء وكثير من المؤلفات (الطبية) لما جرؤت على وضع مثل هذا العنوان الذى لا يمكن أبدًا أن يطابق المضافُ المضافَ إليه فيه.. ولكن أخى القارئ: تعال لأحكى لك القصة من أولها....

جاء بمجلة (سانتفيك أميركان) أن معظم الأمريكيين يؤيدون حق المرضى فى الحصول من أطبائهم على جرعة دوائية قاتلة.. وترى بعض الهيئات الطبية السماح للأطباء بتسجيل عملية (الانتحار) كاتحاد طلبة الطب الأمريكيين واتحاد العاملين فى المستطبات المختصة برعاية المحتضرين المشرفين على الموت.. وأعطوا لهذا الموضوع مسمَّيات أخرى أقل بشاعة مثل (تيسير الموت) و (البحث عن سبيل أفضل للموت) وحُقِّقت فى ذلك بحوث علمية كما فى مجلة العلوم فى العدد العاشر أكتوبر ١٩٩٧م وتم القيام بعمل كل الوسائل والمحاولات لتقنين وتشريع هذا القتل (الغير لذيذ) ومن الحرِّية ما قتل.! وحاولت مجلة (حوليات الطب الباطنى) تبرير ذلك بنشر تقارير علمية حول الأمراض المزمنة مثل السرطان وأمراض القلب – والعياذ بالله – والذين لا يعانون من الأمراض المبرحة وحسب.. بل إنهم مصابون بالاكتئاب النفسى والقلق وهى صعوبات تفوق احتمال هؤلاء المرضى إذ هم يشرفون على الموت ويحتضرون وتنعدم فرصة الشفاء بالنسبة لهم.. فهم مساقون إلى الموت حتمًا..! وما دام الحال كذلك طبقًا لما تضمنته دراسات مراكز تحسين العناية بالمحتضرين فإن بعض الهيئات الطبية تؤيد السماح للأطباء بتسهيل عمليات الانتحار أو على الأقل تمكين المريض من الانتحار بمساعدة الأطباء.. أى معالجة الألم بالقضاء على المتألم

تلبية لرغبته ورغبة ذويه وأشارت مجلة (نيواكلند) الطبية إلى قيام بعض الأطباء بوصف جرعات دوائية مميتة لمرضى كانوا يعانون نقص المناعة المكتسبة (الإيدز) ومع ذلك فإن هيئات المحلفين فى أمريكا تقضى بمحاكمة أى طبيب يساعد أى مريض على تأمين موت هادئ داخل مراكز الطب التى تأوى هؤلاء المرضى كما قضت الهيئة المذكورة بتقديم الطبيب (كيفور كيان) الملقب بـ (طبيب الموت) إلى المحاكمة عندما شكوا فى تقديم مساعدة منه لانتحار امرأتين مريضتين.. وإن كانت ثبتت براءته بعد ذلك وعلى كلٍّ فالأمر لم ينته بعد وتعد هذه المسألة وهى قتل المريض مسئولية جنائية يعاقب عليها على الأقل الآن.. ومن هنا جاءت فكرة (القتل بقانون) لمؤيدى أصحاب هذا المذهب ولكن: ما هى نظرة الإسلام وعلماء الشريعة والطب من المسلمين ؟

لقد أجمعوا جميعًا على تحريم هذا القتل أو التسهيل أو إنهاء العلاقة بالحياة على هذا الشكل.. وقضوا بأن حكمة الله تعالى تطلبت ذلك لأنه تعالى كما أنعم عليه بالصحة والعافية فله الحق فى أن يصيبه بالأمراض والأوجاع فهو عز وجل مصدر كل شيء وخالق كل شيء وهو القادر على رفع البلاء عمن أراد ولذلك فإن الإسلام حثَّ على التداوى والأخذ بأسباب الشفاء والعلاج وصولاً إلى الصحة وضمانًا لبقاء واستمرار العافية.. والعلاج الطبى سنَّة سيد البشر محمدﷺ حيث يقول: ﴿ **إن الله لم ينزل داءً إلا أنزل له شفاءً علمه من علمه وجهله من جهله** ﴾ رواه الإمام أحمد عن ابن مسعود.. وعن جابر بن عبد الله قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ﴿ **إن كان فى شيء من أدويتكم خير ففى: شرطة محجم أو شربة عسل أو لذعة نارٍ توافق الداء.. وما أحب أن أكتوى** ﴾ متفق عليه.. وقوله عليه الصلاة والسلام ﴿ **يا عباد الله تداوَوْا فإن الله ما خلق داءً إلا جعل له دواءً** ﴾ متفق عليه.. فالحفاظ

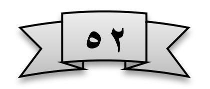
على النفس البشرية ضرورة حثَّت عليها الأديان السماوية ولا يعدُّ إزهاق الروح مسوغًا للطبيب بحجة وضع حد لآلام المريض فلقد أفتى الإمام ابن حزم رحمه الله فى مسألة كهذه فقال: فيمن قتل إنسانًا يجود بنفسه للموت قال على: روينا عن طريق أبى بكر بن أبى شيبة حدثنا يحي بن أزهر حدثنا زهير عن جابر عن الشعبى فى رجل قتل رجلاً قد ذهبت الروح من نصف جسده.. قال: يضمنه.. قال على: لا يختلف اثنان من الأمة كلها فى أن من قربت نفسه من الزهوق بعلة أو بجراحة أو بجناية بعمد أو خطأٍ فمات له ميت فإنه يرثه ورثته من الأحرار وأنه إن قدر على الكلام فأسلم وكان كافرًا وهو يميز بعد فإنه مسلم يرثه أهله من المسلمين وأنه إن عاين وشخص ولم يكن بينه وبين الموت إلا نفس واحد فمات من أوصى له بوصية فإنه قد استحق الوصية ويرثها عنه ورثته فصحَّ أنه حيٌّ بعد بلا شك.. إذ لا يختلف اثنان من أهل الشريعة وغيرهم فى أنه ليس إلا حيٌّ أو ميت ولا سبيل إلى قسم ثالث فإذا هو كذلك وكنا على يقين من أن الله تعالى قد حرَّم إعجال موته وغمَّه ومنعه النفس فبيقين وضرورة ندرى أن قاتله قاتل نفس بلا شك.. فمن قتله فى تلك الحال عمدًا فهو قاتل نفس عمدًا ومن قتله خطأً فهو قاتل نفس خطأً.. وعلى العامد القَوَدُ أو الدِّية أو المفاداة.. وعلى المخطئ الكفارة والدِّية على عائلته وكذلك فى أعضائه القَوَدُ فى العمد، المحلى لابن حزم.. قال تعالى: ﴿ **وَلاتَقْتُلُوا النَّفْسَ الَتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقّ** ﴾ الأنعام. الآية ١٥١ وقال تعالى: ﴿ **كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا** ﴾ المائدة. الآية ٣٢ ويعتبر طالب الموت أو الموصى به أو الشارع فيه آثمًا لقول الله تعالى:﴿ **وَلاَ تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا** ﴾ النساء. الآية ٢٩ ويعَاقَب الطبيب القاتل معاقبة المجرمين بنص قانون العقوبات الذى جاء فيه

(وكما هو معلوم أن التشريع الجنائى منظوم فى ثلاثة أقسام: أولها: جرائم الحدود وثانيها: جنايات القصاص والدِّية.. وثالثها: التعازير.. فيما لم يرد بشأنه نص ويضعه ولىُّ الأمر ملتزمًا بأصول السياسة الشرعية) ولأن حفظ النفس البشرية وصيانتها مطلب إسلامى فإن الإسلام قد حذَّر من إتلافها أو إهلاكها قال تعالى: ﴿ **وَلاَ تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ** ﴾ البقرة. الآية ١٩٥ وقال: ﴿ **من قتل نفسه بحديدة فحديدته فى يده يجأ بها بطنه يوم القيامة فى نار جهنم خالدًا مخلدًا فيها أبدًا** ﴾ رواه الشيخان.. وقوله ﷺ ﴿ **من قتل نفسه بشيءٍ عُذِّب به يوم القيامة** ﴾ رواه أبو قلابة عن الجماعة.. وإذا كانت الشريعة قد حدَّدت عقوبة قاتل النفس فلقد تعرضت كذلك لقاتل نفسه على ما أوردناه من أحاديث بل وأكثر من هذا حتى وإن كان الإنسان على وشك الموت ففى الصحيحين من حديث الحسن بن جندب عن عبد الله بن البجلىِّ قال: قال رسول الله ﷺ: ﴿ **كان رجل ممن كان قبلكم وكان به جرح فأخذ سكينًا نحر بها يده فما رقأ الدم حتى مات قال الله عز وجل: عبدى بادرنى بنفسه حرَّمت عليه الجنة**﴾.

وإذا كان المقتول ميت بأجله فهذا طبيعى إلا أن القاتل تعجَّل موته ولهذا كان من محاسن الشرع أن منع وحرَّم الميراث لمن قتل مورِّثه كما قال صلى الله عليه وسلَّم : ﴿ **لا يرث القاتل** ﴾ ومن المعروف أن الرئيس الأمريكى السابق (ريتشارد نيكسون) لما أصيب بالسرطان أمر أطباءه بقتله ففعلوا ذلك وقالوا: إنهم أقدموا على ذلك رحمة به من آلام المرض.. ولكن حادثة كهذه لا يقرها الإسلام كما قلنا ولأن كل عضو بالإنسان له حقوق فكيف بالنفس وهذا المبدأ المقر فى الإسلام تركه لنا نبينا ﷺ ميراثًا نتوارثه وحكمًا نحكم به ونتحاكم إليه ففى حجة الوداع قام رسول الله ﷺ خطيبًا فى الناس قائلاً: ﴿**أيها الناس إن**

دماؤكم وأموالكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا فى بلدكم هذا فى شهركم هذا.. ألا هل بلغت ؟ اللهم فاشهد كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه ﴾ وهذا شعار الحياة الكريمة لكل إنسان سبق بها صلوات الله وسلامه عليه كل قادة وزعماء لجان حقوق الإنسان قبل قرون أربعة عشر من الزمان ولذلك استشهد الشيخ الجليل السيد سابق بأن (أول هذه الحقوق وأوْلاها بالعناية حق الحياة.. وهو حق مقدس لا يحل انتهاك حرمته ولا استباحة حِماه) ويقول رحمه الله كذلك: (وذلك أن القتل هدم لبناء أراده الله تعالى.. وسَلْب لحياة المجنى عليه واعتداء على عصبته الذين يعتزون بوجوده وينتفعون به ويُحرَمون بفقده العون ويستوى فى التحريم قتل المسلم والذمى وقاتل نفسه).. قال ﷺ : ﴿ **من قتل معاهدًا لم يرُح رائحة الجنة وإن ريحها يوجد من مسيرة أربعين عامًا** ﴾ رواه البخارى..

واتفقت الشرائع السماوية على معاقبة الجانى بمثل ما فعل ففى القرآن الكريم قال الله تعالى: ﴿ **وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُوْلِي الأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ** ﴾ البقرة. الآية١٧٩ ففى الشريعة المُوسَوِيةَّ جاء فى الفصل الحادى والعشرين من سفر الخروج: (أن من ضرب إنسانًا فمات فليُقتل قتلاً وإذا بغى رجل على آخر فقتله اغتيالاً فمن قدَّام مذبحى تأخذه ليُقتل.. ومن ضرب أباه وأمه يُقتل قتلاً.. وإن حصلت أذية فأعط نفسًا بنفس وعينًا بعين وسِنًّا بسنٍّ ويدًا بيد ورجلاً برجل وجرحًا بجرح ورضًّا برَضٍّ).. وفى الشريعة المسيحية: يرى بعضهم أن قتل القاتل لم يكن من مبادئها مستدلين على ذلك بما ورد بالإصحاح الخامس من إنجيل متَّى من قول عيسى: [لا تقاوموا الشرَّ.. بل من لطمك على خدِّك الأيمن فحوِّل له خدَّك الآخر أيضًا.. ومن رأى أن يخاصمك ويأخذ ثوبك فاترك له الرداء أيضًا.. ومن سخَّرك ميلاً واحدًا فاذهب معه اثنين



].. ويرى بعضهم الآخر أن الشريعة المسيحية عرفت عقوبة الإعدام مستدلين على ذلك بما قاله عيسى عليه السلام: [ما جئت لأنقض الناموس.. وإنما جئت لأتمم] وقد تأيد هذا النظر بما ورد فى القرآن الكريم قال تعالى: ﴿ **وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ** ﴾ آل عمران. الآية ٥٠. وإلى هذا تشير الآية الكريمة { **وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالأَنفَ بِالأَنفِ وَالأُذُنَ بِالأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ** ﴾ المائدة. الآية ٤٥.. وحتى فى قتل الخطأ لم يعف الله تعالى القاتل من المسئولية وأوجب فيه العتق والدِّية.. قال تعالى: ﴿ **وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلاَّ خَطَئًا وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَئًا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ إِلاَّ أَن يَصَّدَّقُوا** ﴾ النساء. الآية ٩٢.. ولقد أفاد الدكتور أحمد طه مؤلف كتاب الطب الإسلامى بأن الإسلام لا يقرُّ القتل الرحيم.. لأن مجرد تمنِّى الموت لضرٍّ أصابه منهيٌّ عنه.. يقول الرازى: يجب على الطبيب أن يواسى ويشجِّع المريض حتى ولو كان مشرفًا على الموت لأن قوة الإنسان مستمدة من روحه المعنوية والمؤمن يرى فى المرض تكفير للذنوب ومحو للسيئات فضلاً عن ضرورة التسليم لأمر الله تعالى قال ﷺ: ﴿ **ما يصيب المسلم من نصب ولا وصب ولا همٍّ ولا حزن ولا أذى حتى الشوكة يشاكها إلا كفَّر الله بها عنه من خطاياه** ﴾ وقال عليه الصلاة والسلام فى حديث أنسٍ رضى الله عنه: ﴿ **لا يتمنين أحدكم الموت لضرٍّ أصابه فإن كان لابد متمنيًا فليقل: اللهم أحينى ما كانت الحياة خيرًا لى وتوفَّنى إذا كانت الوفاة خيرًا لى** ﴾ وعلى هذا فدعوى التخليص من الحياة دعوى مرفوضة حتى المشوَّهين والمعاقين لا يجب قتلهم للرحمة لأن هذا أول البغى ولو حدث ذلك لجاز قتل العجزة وكبار السِّن وعديمى الفائدة وصولاً إلى

بناء (المدينة الفاضلة) الأفلاطونية التى يرى من خلالها الإبقاء على كل ما هو مفيد والانتهاء والتخلص من كل ما هو ضعيف وعاجز..

فلا أظن بعد هذا أن نغيِّر منهجًا عظيمًا راقيًا بفكرٍ منحطٍّ ثملٍ.. والإسلام يحفظ الإنسان وكرامته حتى ولو كان جنينًا فى بطن أمه فنراه يمنع (الإجهاض) إلا فى حالات شديدة الخصوصية والإلحاح قد تودى بحياة الأم لو بقى الجنين فى بطنها.. فالرجوع إلى الحق فضيلة.. وسُحْقًا لأفكار الملحدين الضالين..

قال الله تعالى: ﴿ **وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ * فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِن ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَى لِلْعَابِدِينَ** ﴾.. الأنبياء. الآيات ٨٣، ٨٤.

إنى رأيت عواقب الدنيا فتركت ما أهوى لما أخشى
فكَّرْتُ فى الدنيا وعالمها فإذا جميع أمورها.. تفنى
وبلوتُ أكثر أهلها فإذا كل امرئ فى شأنه يسعى
أسنى منازلها وأرفعها فى العزِّ أقربها من المهوى
تعفو مساويها محاسنها لا فرق بين النعى والبشرى
ولقد مررت على القبور فما ميَّزت بين العبد والمولى
أتُرَاك تدرى كم رأيت من الـ أحياء ثم رأيتهم موتى

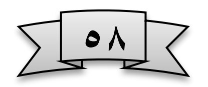
كابوريا النوايا الحسنة..

يساورنى شعور دائم بأن هناك (ألغامًا) موقوتة زرعت فى عقول المسلمين وفى أفكارهم ولا أشك لحظة فى أنها (ستنفجر) يومًا مًّا عاجلاً أو آجلاً غير أن التوقيت المناسب والملائم لم يحن حتى الآن على الأقل بالنسبة لنا وليس لأعدائنا الذين (أحكموا) خططهم وصوبوا (فوَّهات) مدافعهم تجاه الشرق المسلم.. ولهؤلاء الأعداء عملاء ورموز فى بلاد المسلمين يأتمرون بأوامرهم ويتبعون (أسلوبهم) فى محاولة (لتغريب) الفكر والعقل و(تغييب) المنهج الإسلامى ودسِّ السُّم فى العسل ولا يصعب عليهم أبدًا بث هذا (المجون) فى بلاد رسمت حياتها على كل ما هو غريب وأجنبى و(صناعة برَّة) بعد أن أفلس الجميع ولم يعد فى مقدور أحد أن يعلق على شيء بنعم أو بِلا ولا يستطيع الإعلام علاج (المصاب) بقدر ما يضع (غطرة) الخجل على رأسه لأنه تأخر كثيرًا عن الانفتاح على حدِّ قولهم وإن كان يمنح الحرية للرأى والرأى الآخر بشروطه وبطريقة فيها (لىٌّ و تطويع) للحقائق لتناسب الفكر والأشخاص والمفاهيم المرسومة والمعروفة سلفًا و(على نفسها جنت براقش) إذ كان المفترض هو الانشغال بالحفاظ على الهويَّة ومحاربة مالا يلائم الدين والخلق والطبع السَّوى.. ولسنا فى حاجة إلى عرض المآسى التى استسلم لها الجميع الآن رغم فظاعة حجمها وانحدار مستواها الذى تسبب فى تشكيل مجتمع غير عابئ بالمسئولية أو الوطنية وتم تسليم القياد لمن جهلوا أبعاد الحقائق ومواطن الشبهات وكما يقولون: (الأنصاص قامت والقوالب نامت) ولقد سبق الرسول ﷺ الجميع حينما تنبأ بأن قيام الساعة مشروط بأن يتوسد الأمور غير أهلها كما فى الحديث: [إذا وُسِّد الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة] والملحوظ

الآن أن ملاحقة كل ما هو أصيل ونبيل لم يعد (صناعة أوروبية وحسب) بل إن الأمر عمَّ وطمَّ فى كل الدول الإسلامية والعربية.. ونجح أعداء الإسلام فى نشر الأكاذيب على أنها حقائق والحقائق على أنها أكاذيب وطُلِب من الناس تصديقها بحدِّ السيف لكن شيئًا من ذلك لم يغيِّر الإنسان الذى لا يستطيع أحد من خلاله تغيير فطرته وجبلَّته التى صنعها الله على عينيه ولم يعد مستغربًا على الإنسان أن يسمع كل يوم عن كل ما هو جديد فى عالم السياسة والفن والكرة مما يدعو فيه أصحاب المصالح العليا الإنسان بل والبشرية كلها إلى التحرر والانسلاخ من (الجمود والتطرف) وحتى يستدرجوا الناس عن طريق (المداعبة) فهم يحاولون (التلاعب) بأفكار الناس والتلفيق عليهم باختراع (سفارة جديدة) للفنانين والرياضيين تحمل اسم (النوايا الحسنة) وقد ترأست هذه السفارة (صفية العمرى) الممثلة المعروفة وكذلك (عادل إمام) الكوميدى المعروف وبعدهما لاعبة التنس المعروفة (مارتينا هنجز) السويسرية الجميلة.. وعمل هؤلاء السفراء هو بذل الجهد وإبداء (النوايا الحسنة) للدفاع عن المهضومين فى كل مكان فى العالم ولست أدرى هل يصنع الفنانون والرياضيون ما لا يستطيع أن يصنعه صانع القرار ؟. إن هذا التلبيس يراد به (الهروب) من المسئوليات التى يُسأل عنها الحكام فى العالم خاصة بعد أن أصبح الجميع (يغِطّون) فى نوم عميق فى ظل (التواكل والعولمة) فى عالم آحادى الأقطاب.. ولقد هيمنت أمريكا على كل شيء حتى على القيم الداخلية للمجتمعات الدولية تحت عباءة (المجد والثراء والشهرة حق مكفول للجميع) وانتشرت جمعيات حقوق الإنسان لتصب جام غضبها على من لا يعجبها شأنهم، وامتلأت الأسواق بالمبيعات الأمريكية التى لم ينس منتجوها وضع صورة العلم

الأمريكى على الفانلات و (الشورتات) وكل شيء حتى (الحلاقة على الطريقة الأمريكية.. الكابوريا) والجميع يتهامس إلى أى مدىً يمكن أن تستحوذ أمريكا والغرب على الشرق.. ولم تعد الإجابة (حبرًا على ورق) بل إنها أصبحت حقائق ثابتة ترى بالعين المجردة فضرب القيم والأصول والثوابت أصبح حتميًا، والإباحة والديوثة أمر طبيعى لمسايرة الواقع العالمى !. ولكنى أتعجب شديد العجب من وجود تلك القوى الإسلامية والتى تمثل خمس وخمسون دولة إسلامية وتمتلك الثروات والقدرات البشرية كما تمتاز بتعداد السكان المؤثر عالميًا (قدرات وإنتاج وعسكرية) ومع هذا كله فإن هذه الدول تبدو لا حول لها ولا قوة وهذا ما أكده الرئيس الشيشانى الأسبق (بندر بادابيف) رحمه الله حينما سافر إلى تركيا لطلب مساعدتها لتقديم العون السياسى للشعب الشيشانى ولكن أحدًا لم يستقبله أو يرحِّب به أو حتى يستمع إليه وهو يبثُّ الشكوى من (جبروت وطغيان الروس) الذين يعملون على إبادة الشعب الشيشانى لمجرد أنه شعب مسلم يطالب بالحرية والتخلص من سيطرة (الإلحاد الروسى اللادينى) الذى جعل من (جثث) الشهداء هناك معابر للمجد والإصلاحات القومية لروسيا (على حد قولهم) ولم يسمع صوت واحد ينادى بمناصرة المسلمين فى الشيشان ولا حتى (قطيعة روسيا) أو الاحتجاج على هذه الوحشية وقتل الأبرياء مما حدا بالرئيس الشيشانى الذى أدار آلة الحرب الإسلامية (أصلان ماسخادوف) رحمه الله ضد (عتاة الكفر والإلحاد فى العالم) أن يناشد (بابا الفاتيكان) يوحنا بولس الثانى للوقوف مع شعبه (يا حسرة على العباد) ومع ذلك فلسنا ندرى حتى الآن أين الورقة الذهبية التى خُطِّطَ فيها (لتصفية الأقليات الإسلامية) بقرار..؟ هل هى فى يد أمريكا أم روسيا أم هما معًا؟ لسنا

ندرى !! ولماذا اعتذر (بابا الفاتيكان) لليهود عما ارتكبه ضدهم المسيحيون فى (محاكم التفتيش) وذلك عندما زار الأماكن المقدسة فى الأردن وفلسطين وإسرائيل ويوم أن غادر (تل أبيب) يوم الأحد ٢٠٠٠/٣/٢٦م وقبل توجهه إلى مطار (بن جوريون) أعلن هذا الاعتذار.. فهل الشعب الشيشانى لا يساوى شيئًا لمجرد أنه شعب مسلم وهل شهدت الدنيا مثل هذا ؟ انتهاكات ومقابر جماعية واغتصاب ومذابح لقتل الأطفال والعجزة وإبادة عرقية وإحراق قرىً بأكملها.. وما جرائم الصرب عن ذلك ببعيد ضد كل مسلم فى (البوسنة والهرسك وكوسوفا).. لَكَمْ أتمنى والله أن تقوم الساعة حتى يشفى الله غيظ قلوب قوم مؤمنين !. أؤكد أننى لا أشك لحظة فى أننا نعيش زمن الفتنة وربما تكون بداية النهاية ونسأل الله العلى القدير أن تزول من الوجود أمريكا وروسيا ومن والاهما وأن يظهر صلاح الدين جديد وأن تنجلى الغمَّة عن معتصم جديد يأخذ حقوق المسلمين الضائعة ويسترد كرامتهم المسلوبة.. أنه عالم غريب حقًا هذا العالم الإسلامى الذى تترنَّح فيه الأصالة وتقوم فيه النذالة على قدم وساق ممثلة جميع القوى العظمى فى العالم وأمام هذه القوى والحشود يطأطئ المسلمون رءوسهم ويجثون على ركابهم واضعين كرامتهم وعزَّتهم فى الرُّغام.. ولقد أثبتت سياسة (السقوف المنخفضة) أن أمريكا والغرب ما صنعوها إلا العرب والمسلمين ضمانًا للإذلال والاحتلال النفسى والمعنوى وليس من باب فرضية وحتمية التواجد العربى الإسلامى عالميًا وإقليميًا للحصول على دور فى مسرح السياسة العالمية وما يتطلبه ذلك من مرونة واستعداد للتنازلات (المعقولة) شكلاً ونزولاً على إرادة الحكومات الغربية وتفهمًا لأوراق العمل الدولية وترجمة عملية لإظهار حسن النوايا أما النتائج فهى بعد ذلك كله تخضع



للمعايير الدولية (ذات المعايير المختلفة) والحق أنه يستحيل على عاقل أن يصدِّق (هراء وأقاويل الغرب) أو يعيرها أى اهتمام أو يعتقد أن هذا كله جدير بالاحترام فهم قد صفوا العرب والمسلمين فى صفٍّ واحد بحيث لو صفع أولهم لأتت (الصفعة) على آخرهم فهذه الأمم (متراصَّة) ولكن على الطريقة الأمريكية والغربية، ومحترمة ولكن على التقاليد والأنماط الغربية، ومتعاونة ولكن تحت الأضواء الكاشفة الغربية، ومتفهمة وفاعلة ولكن على البساط (السِّحرى) الغربى الذى يأخذ بالألباب !. كما أن هذه الأمم لا يمكن أن تضيع ما دامت فى أحضان الغرب الدافئة الآمنة وليست فى أحضان بعضها البعض مع أنهم الذين صنعوا (صدام حسين) كما صنعوا (موسولينى) وعلى صدر هذه الأمم الرءوم والأحضان الدافئة الغربية الأمريكية وزعت الأوسمة على أمريكا (ست الكل) والروس (صبيان العوالم ومتعاطوا الأفيون) وحتى يتم إحكام القبضة الحديدية نسمع عن (الرادع الأمريكى) و(الواقى الذَّكرى – أقصد الروسى) و (الحكمة الصينى) و (التاج البريطانى) و (الحذاء الإيطالى) واللوز الهندى والجنس التايلاندى ولا نسمع عن شيء إسلامى إلا إذا استثنينا (الفول المصرى) والعباءات الخليجى والصمغ السودانى والمشمش الحموى وهذا الحدُّ المسموح لنا به للدخول (دوليًا) مع الغرب فى سباق (العولمة) و (الجات) بالجيم وليس القات اليمنى.. وهذا قمة الوصول وسرُّ الحصول على مرتبة الشرف العليا (وميت فل وعشرة.. ورقصنى يا جدع) وأصبح من يهمهم الأمر يحسدوننا على هذا الدور الكبير (الذى تم تفصيله لنا خاصة) نحن العرب والمسلمين فى السيرك العالمى الذى يستطيع فيه (الواد شلاطه) أن يقفز من أسفل إلى أعلى بخفة ومرح.. كما تستطيع اللولبية (مريكا) هز (الوسط العالمى على واحدة ونص)

لتحريك الدورة الدموية العالمية وتفصيل (الدساتير) الدولية وتفسير البنود (الممغنطة) فى ظل منظومة عالمية (آخر شقاوة) والمهم فى هذا كله هو (التعايش السلمى) مع (المزاج العالمى) الذى ينطلق من قاعدة حسن النية وحل المشاكل بالطرق السلمية وتنقية الأجواء والبيئات السياسية من (التراكمات) النفسية والدخول فى هذا العالم الواسع المضمون والمبرمج علميًا وتقنيًا والمجدوَل زمنيًا لتعميم (الكابوريا) الأخلاقية والاقتصادية والاجتماعية لكبح جماح الأصولية والليبرالية ودحض محاولات (أسْلَمة العلوم والمعارف) الشاملة التى يحاول الإرهابيون من خلالها التسلل إلى (النظام العالمى الجديد × جديد) ومساواة القلنسوة بالقبعة.. وهذا ما لم يوضع فى الحسبان !! .. ..

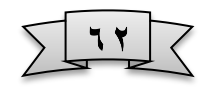
لكل شيء إذا ما تم نقصان	فلا يُغرُّ بطيب العيش إنسان
هى الأمور كما شاهدتها دول	من سرَّه زمن ساءته أزمان
وهذه الدار لا تبقى على أحد	ولا يدوم على حال لها شان
فجائع الدهر أنواع منوعة	وللزَّمان مسرَّات وأحزان
يا غافلاً وله فى الدهر من عظةٍ	إن كنت فى سِنَةٍ فالدهر يقظان
تبكى الحنيفية البيضاء من أسفٍ	كما بكى لفراق الإلف هيمان
لمثل هذا يذوب القلب من كمدٍ	إن كان فى القلب إسلام وإيمان

أهلـــى.. وزمـــالك..

عجيب أمر هذه الساحرة المستديرة التى تنفق عليها الأموال بغير حساب ولا رقيب ولا يمكن أن تتأثر بأى (وعكة) مالية وإذا حدث لها أى مكروه إفتداها الجميع بأرواحهم ولا عجب فى هذا فقد اغتنى بسببها أقل الناس علمًا وإدراكًا وتحملاً للمسئولية وهى أقرب الطرق التى يمكن الوصول عن طريقها إلى (الثراء الفاحش) وليس الثراء العادى.. نعم: هذه هى الساحرة التى جذبت أهل العزم والحزم بـ (مغناطيس) المحبة لدرجة (التعصب وانفلات الأعصاب) فضلاً عن (رعاع الناس وعلوج الصبية) فهى قطعة من (الكاوتش) ولكنها أغلى من (الجوهرة) ومع أنها (تقذف) بالأقدام ولكنها أعلى وأغلى سعرًا من أصحاب هذه الأقدام والكل يجرى خلفها ويلهث بكل إعجاب وترقب (وكل فتاة بأبيها معجبة) وهذا المثل يجرى على مشجعى الأندية بل وعلى كل الحسناوات المعجبات بلاعب أو بآخر أقصد بـ (عريس الموسم وكل موسم) حقًا.. كم هى غريبة هذه الحياة وكم هى عجيبة هذه الدنيا ؟ ولست والله أدرى أين السرُّ الكامن خلف هذا الحب الجارف لقطعة (الكاوتش) هذه ؟ ومع ذلك فإنى لا أنتقص من قدرها ولا من أقدار لاعبيها إلا أنني (أتألم) جدًا عندما أسمع عن هذه الأرقام العالية (المدفوعة) للاعبى الكرة وهى أموال بالملايين والحصول على الاستغناء عن أى لاعب يعد انتصارًا عظيمًا ومجيدًا والفضل فيه يعود إلى جهود الكابتن (كاتو) ونضال الكابتن (ميرو) ولباقة السمسار (عيطو) وتدخل كبار المشجعين للنادى الفلانى لتحقيق الانتصار وعقد المؤتمرات الصحفية على الهواء لمناقشة الأمور (الكروية) بينما لا يجد كثير من

الناس ثمن (الطعام) ولولا (الفول والطعمية لصاروا هياكل عظمية).. وبمراجعة (أرشيف) الكرة المصرية نجد أن الملاعب المصرية شهدت على ساحتها الخضراء أندية كبيرة ذات صيت شائع ولاعبين أفذاذ غير الأهلى والزمالك بطلا (المسرحية الكروية) مثل نادى (الترسانة) بلاعبيه الدوليين التسعة ومنهم الكابتن (مصطفى رياض والشاذلى ومحمود حسن وإبراهيم الخليل وأبو العز والحملاوى والجمل الخ) كما شهدت نادى (الإسماعيلي) بلاعبيه المرموقين (على أبو جريشة والسيد عبد الرازق وشحته وأميرو ورضا وأمين دابو ومختار) ونادى (الاتحاد السكندرى) ولاعبيه الكبار ومنهم (عادل البابلى والجارم وشحته الاسكندرانى وعرابى وفكرى مرسى وأحمد عمر ومخيمر) ونادى (الأوليمبى) ومن لاعبيه (البورى والطرفاوى ومحمود بكر وعز الدين يعقوب والقزاز لاعب دمنهور سابقًا) كما تواجدت على الساحة أندية السكة الحديد والطيران والمحلة والقناة والمصرى و (إسكو حمكشه قاهر الأهلى الخ)..

وبعد هذا (الإلماح) السريع عن الكرة المصرية نعود إلى القطبين الكبيرين لهذه اللعبة الشعبية ففى جريدة الأخبار الصادرة فى ١/١/٢٠٠٠م جاء فى ملحق الجريدة الرياضى ما يلى: الأهلى والزمالك قطبان كبيران لا يمكن الحديث عن موضوع كهذا بغير أن نراجع ملفاتهما فى هذا القرن ونفتش فى الصراع الجميل والمرير بينهما على الزعامة الشعبية الذى يحمل فى طياته كل معانى المتعة التنافسية بين طرفين والعذاب والويل والحزن الطويل لمن يخسر فى مواجهة خاصة جدًا وبطولة خاصة جدًا وهى كذلك بالفعل حتى لو أراد البعض أن يهوّن منها بل هى دائمًا أهم عند الطرفين من البطولة الرسمية وهذا الواقع شاهدناه وما زلنا



نشاهده حتى الآن.. وتاريخ الكرة المصرية يبدأ من تاريخ الصراع بين ناديي الأهلى والزمالك ولو كان واحدًا منهما فقط هو الموجود على الساحة لما كان لتاريخ الكرة فى مصر طعمًا لأن المنافسة فى بوتقة المتعة وبدونها لا طعم لأى أداء حتى لو كان جميلاً.. وإذا كان الصراع قد تحول إلى تعصب فإن هذه الظاهرة السلبية السيئة لا تلغى أبدًا متعة الصراع وعذابه وإن كان التأثير السلبى مسَّ الكرة المصرية بشكل عام لأن احتكار البطولة لا يفيد وكلما اتسعت رقعة المنافسة واتسع انتشار النجوم فى أكبر عدد من الأندية زادت الفائدة العائدة على اللعبة.. والحديث المعروف عن كون الأهلى والزمالك الحزبين الحقيقيين فى الوطن العربى اللذين يمارسان لعبة المنافسة والنزاع على السيطرة هو حديث حقيقى أنه فى غياب الحياة الحزبية السياسية تبحث الجماهير تلقائيًا عن أى نوع من الانتماء داخل الوطن الواحد الذى هو الانتماء الأول وإن كنا نسجِّل ظاهرة سلبية خرجت من عباءة صراع الأهلى والزمالك أنهما أكلا انتماء الجماهير للمنتخبات ولو أن هناك مباراة للأهلى أو الزمالك ومباراة أخرى للمنتخب لذهب الجمهور لمباريات الناديين.. ولقد سبق النادى الأهلى نشأة على نادى الزمالك ففى عام ١٩٠٧م تأسس الأهلى وتلاه نادى الزمالك عام ١٩١١م واقتراب توقيت بدء التأسيس أحد عناصر الصراع والمنافسة الشعبية.. طبعًا كما هو معروف اتخذ الأهلى اسم النادى الأهلى للألعاب الرياضية وحمل الزمالك فى البداية اسم نادى قصر النيل ثم نادى المختلط ونادى فاروق وأخيرًا نادى الزمالك (بعد ثورة ١٩٥٢م) واختار الأهلى لون فانلته الحمراء من لون علم مصر الذى كان هو العلم العثمانى فى فترة حكم الخديوى عباس حلمى

الثانى.. وكما يقول الكاتب الصحفى حسن المستكاوى فى كتابه الرائع (الأهلى والزمالك) قصة المنافسة والصراع وأشهر المباريات: كانت ألوان الفانلة حمراء (مقلَّمة) طوليًا باللون الأبيض ثم تحولت إلى فانلات نصفها أبيض ونصفها أحمر وبعد ذلك تحولت إلى اللون الأحمر القانى بحروفٍ بيضاء وكان شعار النادى مذيلاً بتاج الملك وهو رمز الحكم فى الطرف الأعلى وفى الطرف الأسفل كتب اسم الأهلى وفى الوسط النِّسر المحلِّق.. وعقب ثورة يوليو ١٩٥٢م رفع الأهلى التاج عن شعاره واقتصر على النسر.. واختار الزمالك اللون الأبيض على اعتبار أنه لون السلام ولها (ياقة حمراء) ثم استبدلها بخطين أحمرين على الصدر وشعار النادى عبارة عن رامى السهم فى زىٍّ فرعونى وهو يرمز إلى الرغبة فى النصر.. كان أول رئيس للأهلى الانجليزى (ميشيل أنس) الذى كان يعمل مستشارًا فى وزارة المالية.. وكان عزيز عزت باشا أول رئيس مصرى للنادى اعتبارًا من عام ١٩٠٨م وحتى ١٩١٦م.. أما الزمالك فكان أول رئيس له البلجيكى (مرزياخ) وكان رئيسه الثانى الفرنسى (بيانكى) وأول رئيس مصرى كان (حيدر باشا) عام ١٩٢٣م.. وأيضًا فقد سبق الأهلى الزمالك فى تشكيل أول فريق لكرة القدم عام ١٩٠٩م بينما تشكَّل أول فريق للزمالك عام ١٩١٣م.. والتقى الطرفان لأول مرة بصفة ودية عام ١٩١٧م مرتين فاز الأهلى فى الأولى ١:صفر وفاز الزمالك فى الثانية بنفس النتيجة. وتفجَّرت المنافسة بسبب رائد النجومية الكروية وقتها (حسين حجازى) الذى لعب لنادى (فولهام) الإنجليزي بعد أن تفجرت مواهبه فى مصر.. وعندما عاد لوطنه شكَّل فريقًا باسمه واجه الفرق الإنجليزية وكسبها وحقق شهرة طاغية ونجح

الأهلى فى ضمه عام ١٩١٧م وانتقل حجازى مع بعض زملائه بينما انضمت مجموعة للزمالك (المختلط) وقتها.. وقويت شوكة الأهلى والزمالك فنيًا بهذه الثروة والصفقة إلا أن حسين حجازى شاء أن يؤجج المنافسة بين الناديين عندما قرَّر الانتقال للزمالك عام ١٩١٩م ليزداد النادى قوة وتزداد معها درجة التعصب والخصومة بين الطرفين وعاد حجازى إلى الأهلى مرةٌ أخرى عام ١٩٢٤م لسبب بسيط جدًا وهو أن المقرَّ للزمالك لا يتوافر به مكان للعب (البريدج والبلياردو) وبالتالى زاد الأهلى قوة عن الزمالك إلا أن هذا التنقل السريع بين الناديين أجَّج روح المنافسة والصراع وشعبية اللعبة وأخذ كل ذلك يتطوَّر مع مرور الأيام حتى أصبحت المنافسة ضارية فى وقتنا هذا وتأجَّج معها التعصب إلى أبعد مدى !. وتكرر نفس السيناريو فى انتقال عبد الكريم صقر بين الناديين وتوالت المنافسة المحتدمة على خطف المواهب بنفس الدرجة التى نراها حاليًا.. ورغم الاتفاق الذى وصل إليه الناديان وقتها بعدم الدخول فى صراع لخطف اللاعبين من بعضهما البعض إلا أنه -كما يحدث الآن أيضًا- لم يكن للاتفاق قيمة حيث استمرت المحاولات واستمر معها الصراع وبالطبع فقد بدأ الصدام بين القطبين من الطلقة الأولى وبمجرد التأسيس بدأت مسابقة الدورى المصرى يوم ٢٢ من أكتوبر عام ١٩٤٨م وكانت أول مباراة للأهلى ضد فريق اليونان وفاز الأهلى ٥: صفر كما كانت أول مباراة للزمالك أمام المصرى وفاز الزمالك ٥: ١ حتى البداية متشابهة فى النتيجة.. والتقى الأهلى والزمالك معًا لأول مرة فى الدورى موسم ٤٨/٤٩ فى يناير وتعادلا ٢:٢ أما آخر لقاء فى القرن العشرين فكان يوم ٥ من ديسمبر عام ١٩٩٩م وفاز

الزمالك ٢: ١.. هذا وقد لمع من النجوم فى النادى الأهلى المايسترو صالح سليم والخبير الكروى عبده صالح الوحش والشيخ طه اسماعيل والمهندس رفعت الفناجيلى وميمى الشربينى ومختار مختار وأعجوبة الكرة فى مصر محمود الخطيب وحارس المرمى الفلسطينى مروان كنفانى وعادل هيكل كما لمع فى نادى الزمالك يكن ورفاعى وعفت والخواجة وسمير محمد على وفاروق جعفر الذى يوافق مولدى مولده وحسن شحاته وأحمد صالح وعلى خليل.. وللكرة أحكام وقوانين تحكمها قواعد اللعبة ويعرفها الجميع من ضربات الجزاء وضربات البداية والكورنر والفاول والآوت ومصطلحات أخرى معروفة وهى فعلاً ثقافة عامة للجميع.. ولكن الجماهير دائمًا تقلب ظهر المجَنِّ للفريق المهزوم مع أن اللعب فوز وهزيمة ورأيت بنفسى كم تئن الملاعب (بمشاغبات) الجماهير وكيف أن الذوق العام لا يهم أحدًا بقدر الاهتمام غير العاقل بفوز الفريق وكأنه فى معركة وليس فى مباراة كرة قدم ؟. وإذا كان الكابتن (لطيف) رفع شعار: الكورة أجوال فإنما أراد إظهار البراعة والفن فى (الروغان والكر والفر بالكرة لإحراز الهدف داخل شباك الفريق المنافس) وعمومًا فالرياضة فوز وهزيمة وتفوُّق وإخفاق ولو أن الكارت الأحمر يصلح لطرد (المشاغبين) إلى خارج أسوار الملعب لكان أفضل وأجدى فى حلِّ المشكلات الطارئة وما تحولت بيوت (مشجعى الأهلى والزمالك) إلى حلبات مصارعة وأماكن للمنازعات بين زوج أهلاوى وزوجة زملكاوية والعكس وقد تصل الأمور إلى الطلاق !. وأيضًا لو كان هؤلاء (المشجعين) يفهمون أن الرياضة تهذب الخلق والطباع ما كنا نرى ظاهرة (صبغ الحمير) قديمًا فى مدينتنا بلون الفريق أقصد فانلة الفريق المهزوم من

المشجع المنافس.. ولعل الأمر يحتاج إلى تدخل سريع لقاضى الأمور المستعجلة.. ؟

وكم ذا بمصر من المضحكات　　كما قال فيها أبو الطيب..

أمور تَمُرُّ وعيش يُمِرُّ..　　ونحن من اللهو فى ملعب

وشعب يفر من الصالحات　　فرار السليم من الأجرب

الجِرَايَة.. والجُبْن..

ما أعجب (تركيبة) الإنسان فى هذه الحياة، وما أعظم دوره فى هذا الوجود وما أشدّ ضراوته وأثره البيِّن فى حركة الحياة.. فهو (معجز) التكوين له ظاهر وباطن وعقل وحسٌّ ووجدان ومشاعر وأحاسيس وغرائز.. فهو عالم ملئ بالأسرار والغرائب والعجائب.. هو سياحة داخلية تتحرك وتفكِّر وتبرهن وتسجِّل وتؤثر بـ (ميكانيكا)إلهية.. ومع هذا كله فأصل خلقه (حفنة من تراب) ونهاية خلقه هو هذه (الحفنة) فأعجبْ به من تراب جرت فيه الحياة (بمقادير) الله الخالق العظيم.. ولأن الإنسان أرضىُّ الخلق والمقام ترابىُّ الجوهر طينىُّ الأصل فإن جميع شئونه وحياته مستمدة من هذه الأرض، فهى مستودع رزقه ومخزن طعامه وشرابه وصدق الله العظيم { منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى } طه: الآية ٥٥.. كما قال تعالى كذلك ﴿ **وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ عِندَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلاَّ بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ** ﴾ الحجر: الآية ٢١.. والإنسان كائن حىٌّ كان بكلمة الله وحَيَا بإرادة الله ونما بعناية الله وصُيِّر مخلوقًا تامًا بحكمة الله فعاش فى كنف الله على وفق ما أراد له مولاه فكان عيشه وبقاؤه فى هذا الوجود آية من آيات الله فى هذا الكون الهائل { **فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ** * **فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ** ﴾ القارعة: الآيتان ٦،٧ فالعيش من المعيشة وهى عين الحياة ولم ينسَ المدبِّر العظيم أن يدبِّر لعبده عيشه فى هذه الحياه (فهندس) الأرض (وضمَّخ) التربة (وسيَّل) الماء (وأنفذ الأمر) فكانت الثمرة الطيبة الملوَّنة ذات (طعم وريح ومذاق) لهذا الإنسان وقال له ولغيره { كلوا من طيبات ما رزقناكم } البقرة: الآية ٥٧.. ولكن ما أصل العيْش ؟ أهو الطعام والشراب أم

هو الحياة أم هو شيء آخر له خصوصية وظهور ؟. حينما أخذت أفكِّر فى الأمر شعرت (بالجوع الشديد) والحاجة الملحَّة إلى تناول الطعام.. ولما سألت عن ذلك قيل لى: إن الفكر والتفكر (يحرق) كثيرًا من طاقة الإنسان ولا تعود الطاقة إلا بعد تناول الطعام والشراب.. فقلت: إذن هذا يشبه وقود السيارة التى لا تتحرك إلا به، وكعلف الدواب، وكالنسيم فى الحياة ولا شك عندى الآن أن الطعام مادة (العيش) فى هذه الحياة ولو لم تكن النفس تشتهيه والجوع يلهب شهوتها ما تناول أحد هذه (المادة) التى بها قوام الحياة.. وعليه فالعيش هو الحياة والحياة هى العيش والعيش من المعيشة والتعايش والمعايشة بجامع المخالطة والمواءمة والمشاركة ولكن العيش الحقيقى هو عيش الآخرة أى خلودها ونعيمها ولذائذها ولقد فهم ذلك صحابة الرسول ﷺ فقالوا: اللهم لا عيش إلا عيش الآخرة.. فارحم الأنصار والمهاجرة. وعندنا فى مصر نطلق على الخبز (العيش) وهذا لفظ مسوق لهذا الغرض الذى هو مادة الحياة.. غير أن العيش فى فصيح اللغة يسمى (خبزًا) وبه جاء التنزيل قال الله تعالى ﴿ **وَقَالَ الآخَرُ إِنِّي أَرَانِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْزًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ** ﴾ يوسف: الآية ٣٦..وفى الحديث الشريف (أكرموا الخبز).. ..

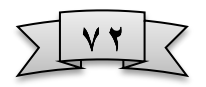
وبالبحث فى مادة: خُبْز.. بالقاموس المحيط مجلد ٢ ص٢٤٩ وجدت الآتى: الخبز وبالفتح ضرب البعير بيده الأرض والسَّوْق الشديد والضرب.. ومصدر خبز الخبز يخبزه إذا صنعه وكذا إذا أطعمه الخبز، وبالتحريك الرَّهَل والمكان المنخفض المطمئن من الأرض خَبَزُون: محركةً غير منصرف منفتح الوجه وهى بهاءٍ، ورجل خابز: ذو خبز، والخِبَازة: حرفة الخبَّاز، والخُبزة: هى الطلمة

وبلا لام جبل مطل على ينبع، والخبيز: الخبز المخبوز والثريد.. وانْخَبَزَ: انخفض.. والخبيزات: جمع وفى المثل: (كل أداة الخبز عندى) .. استضاف قومٌ رجلاً فلما قعدوا ألقى نطعًا ووضع عليه رحىً فسوَّى قطبها وأطبقها فأعجب القوم حضور آلته ثم أخذ الرحى فجعل يديرها فقالوا له: ما تصنع ؟ فساق المثل.. واختبز الخبز: خبزه لنفسه.

أمَا وقد بان هذا وانكشف فلا مانع من إضافة الخبز إلى العيش على حدِّ المثل المصرى الشائع الذى جمع بينهما (أعط العيش لخبازيه ولو أكلوا نصفه) ويضرب للحاذق فى الصنعة الذى يتقن حرفته ويضمن لك على الأقل نصفها سليمًا جيدًا على آخر قد يضيِّعها كلها فلا يبقى منها شيئًا ؟. ولكن الخبز له مسمَّىً آخر قد يبدو غريبًا ولكنه موجود فى مجتمعات خاصة تختلف أزمانها وأماكنها.. فلقد كان جيل الأجداد يطلق على الخبز لفظ (الجراية) وسمعت هذا اللفظ كثيرًا ولولا دخول الإذاعة والتليفزيون لظل اسم (الجراية) شائعًا بين الناس.. وبعض المؤسسات الحكومية التى تكثر فيها الأيدى العاملة (والمنتفعين) مثلاً كالمستشفيات العامة والمصانع بل والقوات المسلحة اصطلحوا على هذا المسمَّى (الجراية) وهى مجموعة من الأرغفة المصنوعة من دقيق البرِّ أو الحنطة يُتفق على تسليمها لكل فرد عاملين كانوا أو من المرضى أو من الجنود.. ولِىَ مع الجراية قصة (تمتزج فيها الدموع بالضحكات) وإليك أخى القارئ هذه القصة.. فحينما التحقت بالقوات المسلحة يوم الأحد ١٩٧٣/٩/٢م تم توزيعى على سلاح (الحرب الألكترونية) ووُجِّهتُ إلى الجبل الأحمر بمدينة نصر بالقاهرة بمعسكر الحرب الألكترونية ضمن عدد كبير من الجنود، وكنت فى فرقة

تحتوى على ٧٦ جنديًا ضمن قوة (الاستطلاع الرادارى) وكان هذا العدد أو هذه القوة لا تفترق أبدًا والتدريبات تبدأ من الرابعة صباحًا باختراق الضاحية وما يليها من برامج أخرى من التدريبات العسكرية وعندما يحين وقت الغذاء يذهب (نوباتجى) من أحد الجنود لإحضار (الجراية) ثم بقية (التعيين) فيقف (العريف) ويوزع علينا الأرغفة (الثلاثة) فإذا ما انتهى من التوزيع وبقى بعد ذلك من بقايا الخبز شيئًا (تصارع) عليه الجميع مستخدمين (البيادات) وهى الأحذية الميرى للضرب والرَّكل والدفع بالأيدى والضربات الرأسية الخاطفة (الروسيَّة) حتى تنتهى هذه (البقايا) فيلتهمها (المحظوظ) بترابها ورملها.. ومع أننى فزت أكثر من مرة بالحصول على بعض هذه (اللقيمات) أو (الخوابير) بلغة إخواننا فى الصعيد ولكنى مع هذا لم أُحرم من ركلة أو ركلتين أو (ضربة كوع) ولكنى ما ضُرِبتُ (روسيَّة) واحدة وهذا شرف كبير بالطبع.. وإن نسيت فلن أنسى يوم أن قام أحد الزملاء من الصعيد وهو مدرس ابتدائى بمزاحمة (العريف) والحصول على رغيف عن طريق (السرقة) فكان جزاء الأخ يونس (السارق) أن حُوِّل إلى مكتب (القائد) وحُلِقَ (نصف شاربه) الغليظ جدًا، ثم دفع به (العريف) إلى داخل (الخيمة الهندى) مشفوعًا (بشلُّوت) ذا صوتٍ فخارىٍّ، ثم جذب يديه من على وجهه فرأينا (نصف الشارب) وانطلقت (الضحكات) الصاخبة مع أغنية (شنبك راح فين راح فين ؟) والزميل يبكى كالطفل وكان فى هذا الدرس رسالة إلى كل من تسوّل له نفسه لسرقة (أى رغيف ميرى) والحقيقة أن (الجراية) كانت تساوى عندنا الكثير وذلك لأن (الجوع) كان من النوع القاسى جدًا وكافر جدًا جدًا فإذا ما نُودِى: (الحكمدار يجمع للجراية) نبتلع

ريقنا من شدة (اللهفة) وكلنا يؤازر الأخ (النوباتجى) المجاهد الكبير الذى جاء الدور عليه فى استلام (الجراية) الغالية.. وجاء دورى (كنوباتجى) (للجراية والتعيين) وكنت فى مساء نفس اليوم قد حصلت على (تصريح) إجازة لمدة ٢٤ساعة وحملت جوالى ووقفت فى (الطابور) ودار هذا الحوار بينى وبين (الشاويش شعبان الصعيدى).. قال: كم عدد القوة ؟ فقلت: ٧٦ فردًا يا أفندم. فقال: كم إجازة ؟ فقلت: لا أدرى يا أفندم. فقال: معك الجوال ؟ فقلت: نعم.. ففتحت (عنق الجوال) وقام بعدِّ الأرغفة ٧٦×٣=٢٢٨ رغيفًا.. ولما بدأت رحلة (العودة) إلى الزملاء تخيَّرت أماكن بعيدة عن العيون وعججت (الأفرول) بالخبز فى (الجيوب) الأمامية والخلفية.. ثم قمت (بدَسِّ) بضعة أرغفة داخل الملابس وحسب !. ووزعت بعد ذلك (الجراية) داخل (الخيمة) بما يرضى الله.. وانتظرت أكافح العيون (المفتَّحة) حتى تناول الجميع (الغذاء) ثم استلقوْا كالقتلى على الأرض (نائمين) من شدة التعب وكانت فرصتى الذهبية لدسِّ (جرايتى) داخل (المخلة) المحكمة. ولكن كانت هناك (عيون) خبيثة تراقبنى دون أن أشعر وبعد ذلك (تهيأت) لنزول الإجازة وقلبى مطمئن.. وعدت من (إجازتي) يوم السبت وانهمكت أبحث عن (جرايتى) داخل (المخلة) فلم أجد أى رغيف فغلب على ظنِّى أن شخصًا ما بعينه اعتدى على (مخلتى) فاتهمته بسرقة (الكاوتش والفوطة) وكان قد سرقهما فعلاً مع (الجراية) ولكنى لم أذكر اسم (الجراية) خوفًا من حلق نصف الشارب الأخضر) وأنصفنى (القائد) وعادت الفوطة والكاوتش.. أما الجراية رحمها الله فلقد ذهبت إلى حال سبيلها دون أن أفشى لها سرًّا.. وأذكر أننا يومًا كنا فى قاعة (المحاضرات) بالمعسكر



وشعرت بالجوع الشديد بعد حوالى الساعة الواحدة ظهرًا فتسللت من (القاعة) قاصدًا الخيمة، وكان بجوارى فيها بعض الأخوة اثنان من الوجه القبلى وواحد من بور سعيد وكان لهم مخبأ سرِّى يضعون فيه (الجراية) فأخذت أبحث فى هذا المخبأ حتى عثرت على ضالتى ووجدت رغيفًا واحدًا والتهمته فى أقل من دقيقة ونصف. وبعد ربع الساعة امتلأت (الخيمة) بالجنود وأخذ الأخ (البور سعيدى) حلمى يبحث عن رغيفه اليتيم داخل (المخبأ) ولكنه لم يعثر عليه فطلب مساعدة زميليه حبشى وصبرى فقاما وقعدا وأخذا يساعدان زميليهما فى إجراء عملية (البحث والتمشيط) فى المكان دون جدوى فصرخ الأخ حلمى فى جميع من حوله متهمًا لهم بالسرقة ومتوعِّدًا بإيقاع أشدّ أنواع العقاب على (اللص) ولكن الذى أزعج ضميرى وقتها أنه اتهم الجميع ولم يتهمنى أنا ! رغم أننى كنت الوحيد فى الخيمة عند حضوره والأدهى من ذلك أننى شاركته (انفعالاته) وحفزته إلى التنكيل بهذا اللص وأصابنى (الجُبْن) الكامل عن أن أعترف (وضحكت فى نفسى على نفسى).. وكم من حادث وقع فى معسكرنا بسبب (الجراية) وكم قُدِّمت الشكاوى لرئيس الأركان العقيد (محمد وحيد) القائد تطالب بزيادة (الجراية) فعجبًا لهذا الرغيف (الماكر) الذى يأخذ بالألباب فمن أجله ديست كرامتنا وبسببه كنا (نطرح) أرضًا فى (حلبة المصارعة) ويتناوب علينا (جنود الصاعقة) بالضرب والرفس والدفع والجمع والطرح بل والقسمة، ومن أجل الرغيف قامت الدنيا وقعدت فى أحداث ١٨،١٩ من يناير عام ١٩٧٧م وحظر التجول فى مصر لمدة ثلاثة أيام.. ويتصور الإنسان بعد هذا كله أنه عظيم وقوى ومفتول (العضلات) كيف وهو بدون الرغيف لا يساوى

شيئًا ؟ إنها الحكمة الإلهية لإعلاء مبدأ الشكر على النعمة، لا سيما وأن الله جل شأنه جعل فى معدة الإنسان تلك (القوة الهاضمة الطابخة) لكل شيء والتى أفرزها (الكبد) مادة طابخة سابغة لهذه (الخلطة) العجيبة.

قال الأصمعى: قال رجل فى مجلس الأحنف بن قيس ليس شيء ابغض إلىّ من التمر والزبد.. فقال الأحنف: رب ملوم لا ذنب له.. وقال مدنى لصديق له: والله إنى أشتهى (كشكشية) من طعام الحساء مصنوع من القمح واللبن ومد بها صوته فخرجت منه ريح فقال له: ما أسرع ما لفحتك يا بن عم.. قال أحدهم:

ألا ليت لى خبزًا تسربل رائبا ... وخيلاً من البرنى فرسانها الزبد

وقال آخر:

ولما غدت أمّى تمير بناتها.. ... وخيلاً من البرنى فرسانها الزبد

لَبَكْتُ بصاعَىْ حنطة صاع عجوة ... إلى صاع سمن فوقه.. يتربَّعُ

ودبَّلْتُ أمثال الأثافى كأنها ... رءوس نقاد قطِّعت يوم تُجمعُ

وقلت لبطنى أبشر اليوم إنه ... حِمَى أمِّنا مما تحوز.. وتُرفعُ

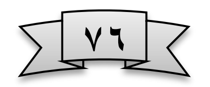
فإن كنت مصفورًا فهذا دواؤه ... وإن كنت غرثانًا فذا يوم تَشبَعُ

القرَّاء.. و أوراق (البنكنوت)..

قراءة القرآن (صوتيًّا) صناعة جادة.. يُعَدُّ (القارئ) من خلال (معاملها) إعدادًا جادًّا ويُغلَّفُ (تغليفًا) أنيقًا حتى يمكنه اعتلاء (تخت) القراءة ويُفتَح له الباب فى مجال القراءة ويوضع اسمه بين المجيدين من القراء.. ويُكوَّن له فريق عمل متكامل من (المحبِّين ومهندسى الصوت وعمال الفراشة) بل وقراء الدرجة الثانية والثالثة حتى يحظى كلٌّ منهم بشرف الجلوس بجواره للقراءة حتى يكون ذلك مَدْخلاً له إلى الشهرة والذيوع.. وهذه (المعامل) التى (يُعَدُّ) فيها القارئ تبدأ من الكتَّاب (خاصة إذا كان المقرئ المعلِّم له من ذوى الحفظ الجيد والأداء المحكم) ثم بعد ذلك يأتى الشعور بالموهبة والحفظ وتبدأ التجربة الحقيقية فى البداية ولا يخلو الأمر عندها من (المصادمات والمدافعات) حتى (يُصْقَل) القارئ صَقْلاً ويصبح حاذقًا وماهرًا فى القراءة ثم يختار لنفسه لونًا من ألوان الأداء ونمطًا من أنماطه المميزة ويصنع لنفسه هيئة يُعرَف بها و (لفَّة عمامة) منمَّقة ومساحة صوت (يعالج) على أساسها طريقته فى الأداء فيقوِّى الضعيف ويخفض القوى.. ويمنع التعسُّف بحثًا عن التلطف ويأتى بالسهل بدل المتكلَّف ويرفع يدًا ويرسل أخرى ويميل إلى اليمين مرَّة وإلى اليسار مرَّة ويداعب أطراف (جبَّته) بأطراف أصابعه ليقول فى النهاية (أعوذ بالله من الشيطان الرجيم).. ثم يُبْحر فى سفينة القراءة عابرًا للقارات والمحيطات ومتفاديًا الصخور والجزر ومتحاشيًا السرعة عند المناطق الزرقاء (العميقة) حتى يصل إلى الشاطئ الآخر بأمان واطمئنان بمهارة الربَّان وحَذْقِ (الملاح) ليقول عندئذٍ (صدق الله العظيم).. ويحكى لنا التاريخ أن المدارس الصوتية (موغلة) فى القِدم ولم يكن (الحِداء) هو النغم المبْتدع والمبْتدأ فى عالم الأصوات.. ولكن سبق ذلك أصوات الريح والمياه والأشجار والحيوانات

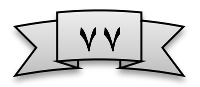
حتى الأطفال عند ضحكهم وعند بكائهم وتحاكت الأصوات حينًا وتشابهت حينًا آخر وتمازجت أحيانًا ثم كان (الحداء) بعد ذلك وتداخلت (النغمات) الشعرية بجرسها وامتلأ (بلاط) الخلفاء والملوك الذين حوَّلوا ديار الخلافة إلى (بلاط ملوك) بالمغنين والملحنين مثل: إسحاق الموصليِّ وسلاَّمة القسِّ وغيرهما حتى شاع اللحن وصُنِعت الآلات والدواليب الموسيقية وعُرِف الدف قبل ذلك بزمان فضبط (الإيقاع) الصوتى ثم أصبح ذلك (صناعة) فازدهى ونما حتى عُرِف بعد ذلك(المقام والدَّوْر والطقطوقة) وصار للأصوات الموسيقية آلات بعينها مثل: العود والكمان والقانون والرق والإيقاع والصاج والدف وبامتزاجها جميعًا صنعت (نغمًا موحدًا) بخلفيات موسيقية موحَّدة لها مَبْدَأٌ ومنتهى تتخللها (كلمات) معينة تُسَاق لأغراض معينة تبعث على الحماس أو تثير الشهوة أو الضحك أو حتى البكاء وأعطيت مسمّىً وهو (الغِناء) بكسر الغيْن وكان هذا مقصورًا على الأغنياء والحكام وكان حينئذٍ مجوَّدًا ومنوَّعًا ثم استحدث بعد ذلك نغم خاص بالفقراء هو مزيج من (الحداء) والموَّال وكثر المولدون لهذا اللون من (المولوديِّة) ونبغ من هؤلاء من أدخل آلات الغناء (الملوكى) مع (الربابة) وتخيَّر القصائد والملاحم المؤثرة ونغَّمها وصنَّعها وقدمها كنموذج لجذب الناس فانجذب لها خلق كثير منهم ثم بسطت الألحان هذه جناحَيْها على كل ما هو جميل وجذَّاب ومؤثر فكانت (الموسيقى) القديمة والحديثة تُدرَّس وتُعَلَّم حتى أصبحت علمًا.... ولكن ما موقف قارئ القرآن من هذا التحوُّل ؟

المعروف أساسًا أن القرآن الكريم يُقْرَأ مجوَّدًا ومرتَّلاً بصوت حسن وأداءٍ سليم وهذا يتطلب أن يكون القارئ ذوَّاقًا لكل ما هو جميل ومحبب إلى النفس ولقد أشار الرسولﷺ إلى ذلك بقوله: ﴿ **ليس منا من لم يتغنَّ بالقرآن** ﴾ أى



يحسن تلاوته وأداءه على الوجه الذى ينبغى أن يكون عليه أداءً وقال أيضًا ﷺ ﴿**اقرءوا القرآن بلحون العرب وأصواتها وإياكم ولحون أهل الفسق والكبائر فإنه سيأتى من بعدى أقوام يرجِّعون القرآن ترجيع الغناء والرهبانية والنوح لا يجاوز حناجرهم مفتونة قلوبهم وقلوب من يعجبهم شأنهم**﴾.. لهذا لم يكن لأىِّ أحد أن يتصدر مجالس القراءة إلا إذا وثق من إمكاناته وحفظه وحيويته كطول النفس أو حسن استخدامه عند قصره وكيفية العرض للآيات مع حسن التصرف عند المرور بآية رحمة أو آية عذاب.. والحقيقة أن مصر وحدها هى التى حظيت بنماذج عظيمة فى مدارس القراءة وأصولها بحيث لا يمكن تكرار مثل هذه النماذج (المحترمة) فى (دولة القراءة والإقراء) ولقد زاد من شهرة هؤلاء القراء (العظماء) ظهورهم فى الإذاعة منذ بداية القرن المنصرم.. وواكب ذلك صناعة (الإنشاد والتواشيح الدينية) والتى (تفنَّن) فيها الشيخ الجليل على محمود (سيد المنشدين) والشيخ محمد الفيومى ومحمد الطوخى وطه الفشنى ومن المعاصرين الصوت (الملائكى) الشيخ سيد النقشبندى والشيخ نصر الدين طوبار ورغم أن هؤلاء عرفوا كمنشدين إلا أنهم أيضًا كانوا من القراء المجيدين (فى العصر الذهبى للقراء).

وبالرجوع إلى (مضابط وملفات) القراء فى مصر وجدت أن عالم القراءة فى هذا البلد (الذى يقوم الأزهر الشريف على حراسته دينيًا ولغويًا وعقيديًا) عالم غريب لا يجوزه إلا الماهر المجدِّد والمضيف الحصيف الذى يستطيع أن يمر بنجاح أمام (كشف الهيئه) الموقَّرة العالمة (بميكانيكا القراءة) والوقوف على مدى الاستعداد (لمباشرة الأداء فى المحافل والمناسبات الدينية الكبرى) ومعرفة



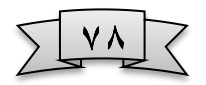
مدى سَمِن الصوت من نحافته أو جرسه وعمقه أو قراره ومساحته أو قوته أو ضعفه مرورًا بالاطمئنان على المخارج اللسانية والحلقية وسلامتها من العيوب الخِلْقية.. كما كان يشترط فى القارئ أن يكون صحيحًا معافىً فى بدنه غير (متعاطٍ) للمكيفات أو سيئ السمعة مثلاً، ومن الضرورى أن يكون صدره سليمًا وأسنانه كاملة خاصة الأمامية حتى (الرباعية والضواحك) فضلاً عن الاستقامة والذوق ودراسة (الموسيقى) ما أمكن، ومعرفة الجوابات والقرارات ومن الضرورى أن يكون (ملمًّا) كل الإلمام بعلم (القراءات) وكيف يوظِّف الأداء (قرآنيًا) لتوجيه سؤالٍ قرآنيٍّ.. ثم كيف يجيب على السؤال (قرآنيًا)، وكيف يبدأ وكيف ينتهى ويختار مرتبة القراءة (قصر أو توسُّط أو مد) مع استبعاد أى قارئ يبتدع فى القراءة مانعًا من (الموانع) الأدائية كالترعيد والترديد والتطريب والتحزين..

والترعيد: هو القراءة بصوت يشبه الرعد فيرتعد صوت القارئ عند الأداء. والترديد: فهو كالترعيد إلا أن القارئ يجنح فيه إلى ترديد وإعادة القراءة بغير داعٍ ويقف على الساكن كالمشدَّد خاصة عند حروف القلقلة والشفوية فيصير فيها ما يشبه الردّ والارتطام.

والتطريب: ما يشبه الطرب والغناء عند القراءة.

والتحزين: وهو ما يشبه البكاء عند القراءة فيزيد فى حركات الغنة أو الإخفاء.

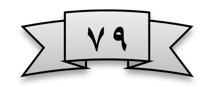
وكان للقدماء من المستمعين قول مأثور فى القارئ الجيد حيث كانوا يقولون: (فلان حِسُّه كويِّس).. وهذه حقيقة لأن القراءة إحساس مرهف



وشعور حثيث لأن القارئ من خلال ذلك يستطيع فهم واستشعار أحوال الناس وإحساسهم من الرِّضا عنه أو السَّخط عليه من خلال (متابعتهم) له وآهاتهم عند القراءة فيعيد أو يزيد أو يستمر أو يُغيِّر وهذا هو جواز المرور إلى قلوب الناس !. والخريطة القرآنية وزعت فيها (أقطار) القرَّاء فى دولة التلاوة العظمى فى زمن (الإحساس الحيِّ) على أرض (الإخلاص) فى بلد (الشجن والنغم الجميل) والأصيل.. وفى محاولة لرصد مميزات وعظمة الأداء عند (الأساتذة) الكبار بحق وقفت أتصفح الملفات وأقرأ الأفكار وأسجِّل الذكريات وأستمع إلى التسجيلات وأناقش العلماء حتى خرجت من هذا كله بهذا التصور الذى أرى أنه الحد الأدنى من حق كل أستاذ منهم..

١- الشيخ / محمد رفعت: إجماع بلا خلاف على (ملائكية) صوته وأدائه وانسيابيته وروحانيته عند القراءة واسترسال (النغم) المفعم واختيار الوقف ومعايشة الموقف والعزف على أوتار القلب والإحساس الراقى والتحليق فى سماء القرآن وصفاء الوجدان وهزِّ المشاعر والأحاسيس.

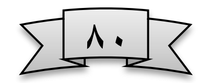
٢- الشيخ / محمود خليل الحصرى: اتصف بالأداء (المجسم) للحروف القرآنية والكلمات القرآنية، واهتم كثيرًا بصناعة وتخريج (الحروف) ملفوفة بالحرير وموشَّاة بالزينة والدُّر على مائدة (الحفظ) فى ظلال (الزيزفون) وأجاد (التقطيع والتوليف) الأدائى وسيطر على الأحكام وأحكم قبضته على المستعلى.. وأخذ بيد المستفل (وأخضع النغم للحكم وليس للعكس).



٣- الشيخ / مصطفى اسماعيل: أجمع القراء على زعامته فى (دولة الأداء) وهو قارئ (مميز) لا يعوقه وقف (صعب) ولا يستهين بوقف (سهل) بل هو قرآنى حتى (النخاع) من فيض صوته وأدائه (نبعت) مدارس صوتية (إسماعيلية) فاضت فى ربوع الأرض فأحيت (موات) القلوب وأجْلَتْ صدأها.. اختار لنفسه (جامعة) صوتية تنقَّل فى (أروقتها) أداءً ومراحًا، وهو رجل (المفاجآت) يصعب على أى حاذق أن يتكهن بنغمة الوقف عنده ويعرف متى (يضبط الفرامل) بأمان وسلام فى أصعب المواقف !. يتجلى أداؤه فى الطوال ويتعاظم فى القصار فهو بحق نابغة العصر وحجة الزمان ووحيد الأوان.. آلت إليه زعامة الأداء لأنه خُلِقَ لها.. فحق له أن يجوز ويحوز ويفوز بسلطانها.

٤- الشيخ / محمد صدِّيق المنشاوى: قرآن يمشى على الأرض محفوف بأنوار القرآن تنظر فى وجهه فتقول: وجه قرآنى وخلُق قرآنى ووقار قرآنى عذب الصوت جمع بين قوة أداء قراء (الصعيد) ونداوة صوت قراء (الوجه البحرى)، ويقرأ القرآن بقلبه فيمرُّ عَبْر (حَلْقٍ) من النور متلمِّسًا (مخارج) الأنوار فيستقرُّ فى أذن (المستمع) حتى ينفذ إلى قلبه ويقرُّ عينًا فيرق القلب وتصفو النفس وتسمو الروح ويستيقظ الوجدان فتنحدر الدموع من (مآقى) الإيمان على وجْنتىْ (الإحسان) فيقول المرء عندها (الله) وكثيرٌ من الناس (عولجوا) قرآنيًا بأدائه رحمه الله.

٥- الشيخ / محمد يوسف البهتيمى: أستاذ (الجوابات والقرارات) يبتدئ هادئًا وينتهى هادئًا وهو بينهما (عملاق) فى الأداء لا يطاوله أحد صعب



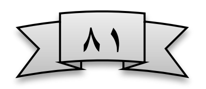
المراس فى قراءته للقرآن، يشق طريقه بروح الشباب ويمشى بأقدام الشيوخ جمع بين قوة الأداء وإحكام الصنعة على الطريقة (البهتيمية).

٦- الشيخ / محمود على البنا: صاحب الصوت (النحاسى) السمين اختار (نغمة) حزينة جميلة حبَّبت إلى (المستمع) البكاء، ووظف إمكاناته (الأدائية) توظيفًا سليمًا.. مال إلى المبالغة أحيانًا عند القراءة (بالإمالة والمد العارض) وهو لايبذل جهدًا فى الأداء (الصوتى) لأنه مُنِحَ قوةً ذاتية فكان أداؤه ونبراته عند القراءة بنفس (القوة) وكان يحسن الوقف دون (تكلُّف) فى النغم.. ويخطِّط للآية قبل الانطلاق بها.

٧- الشيخ / عبد الباسط عبد الصمد: هو فى (أدائه) شباب تحت العشرين سهل الاختيار فى طريقته (حنجرته) قوية (وتريَّة) فى قراءته (بهجة) ومرونة (محققة) ازداد وزنه وحجمه (أدائيًا) غير (متصنِّع ولا متكلِّف) له مقلِّدون كثيرون وله أيضًا (محبُّون) فى كل دول العالم صوته صافٍ ورائع.. بدأ قويًا وانتهى بنفس القوة.

٨- الشيخ / منصور الشامى الدمنهورى: ابن دمنهور الحاذق الماهر بالقراءة صوته ثقيل خفيف.. برع فى فن الأداء رغم قصر نَفَسه، ممتلئ النبرة يشعر (المستمع) كأنه بجواره، حسَّاس فى التعامل مع الحروف استطاع أن (يهضم) أبجديات القراءة فى زمانه وهى (أبجديات) تدرس الآن بالجامعات.

٩- الشيخ / عبد الفتاح الشعشاعى: اشتهر بقوة الأداء وقوة المخارج ويبدو أنه كان متوسط الطول مكتنز اللحم رَبْع القوام قصير الرقبة لأن صوته

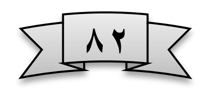


(سمين) وحنجرته تغذى هذا (السِّمن) لهذا كان صوته يشبه (رنين الصلصال بعد إنضاجه بالنار) عميق المخارج (أدائيًا).

١٠- الشيخ / أبو العينين شعيشع: كثير الإخلاص فى الأداء.. ورغم اندفاع صوته بصعوبة ظاهرة إلا أنه (وظَّف) قدراته الخاصة فى الأداء الحسن واجتهد فى (حبس) النفس وتطويع (رنين) صوته الخافت لإبراز حروف الاستعلاء وتنظيم حروف (المد) فكان يقدِّم أعظم (وجبة) فى قراءته للآيات.. ولوحظ أنه بدأ قويًا وانتهى أقل قوة.. ..

١١- الشيخ / عبد العزيز على فرج: (قصَّاص) القراء (ووصَّاف) المؤدين وشارح للموجز.. وموجز للمسهب.. لم يأخذ حظَّه من الحياة وإن اعتلى منبر القراءة.. صوته فخارى ناعم الملمس، يرتفع ويهبط بسلام.. مخرج الهاء عنده قوى ويستطيع أن (يصنع)النغمة عند رءوس الآى (خاصة عند ياء المقصور مثل: الهدى – هوى – النجوى) بطريقة فريدة يصعب تقليده لندرة مساحة صوته عند كثير من الناس فهو كالوتر (الرَّنان المرخىّ) ولا أدرى سببًا (لحنينى العظيم) لهذا القارئ.. ..

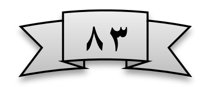
١٢- الشيخ / راغب مصطفى غلوش: (كرنفال) النغم القرآنى، طيِّع الحنجرة متدفق المشاعر.. فى أدائه (بهجة) أكثر من (حُقِدَ) عليه من القراء، صوته طبيعى.. طريقته (إسماعيلية غلوشية) نبراته هادئة أداؤه (انسيابى) موسيقىّ.. يستطيع تخطِّى (الحواجز والسواتر) بثقة ولياقة ومهارة وهو دائمًا فى (الفورمة) إلا انه أحيانًا نادرًا ما يطوِّع (الحكم للسياق الأدائى) إذا احتاج الأمر.. ..



١٣- الشيخ / محمد بدر حسين: ظهر فى جيل (العمالقة) فتعملق وشقّ لنفسه طريقًا سهلاً (معبّدًا) فى الأداء.. حظى بمساحة صوت (وتريّة) أداؤه (يشعر) بالسعادة ونغماته غير (متكلفة) وحروفه (ظاهرة) والراء عنده (خفيفة مرحة) لا يجنح إلى الانفعال لسهولة أدائه وعذوبته وهو لا يستخدم ذراعيه كعادة القراء عند القراءة ولا ينشغل (بالتمايل) يمينًا أو يسارًا إلا نادرًا.. شاهدته فى حفل أقيم بصلاح الدين بمدينة دمنهور فى أوائل (السبعينات) أو قبلها بقليل فلم أبرح مكانى حتى انتهى من قراءته.. من لا يعرفه عن قرب يظنه (متكبّرًا) وهو غاية فى التواضع..

١٤- الشيخ / محمود الطبلاوى: واكب ظهوره بداية (عصر الانفتاح) فكثر القراء وكثرت الأصوات (الخليجية) فأمسك بزمام (المبادرة) التى حفظ بها كيان (الأداء المصرى الأصيل) فأسكت الجميع بأدائه (السّهل) وصوته الشعبى وساعد على قبول الناس له (ملامحه الشعبية) واسمه الإيقاعى وصوته (الممتلئ) ويؤخذ عليه (اختلاس) الراء الساكنة أحيانًا فى لفظ (الأرض) عمل نقيبًا للقراء.. وشعبيته (جارفة) لولا ظهور الشيخ (حصّان)....

١٥- الشيخ محمد حصّان: (أعجوبة) فى فن الأداء.. ويبدو أن (قصر النفس) فى أدائه للقرآن كان (نعمة) لا يحسن غيره من هذا (الجيل) استخدامها فكان (نسيجًا وحده) أداؤه رائع وبيانه جامع ومروجه خضراء وثماره يانعة (وصّاف) للمواقف.. دارس للموسيقى والسيمفونيات.. ظاهر الحروف حريص على المدود والوقوف.. مساحة صوته (بلورية) يأخذ بمجامع القلوب.. وله قدرة رهيبة فى الأداء (يحقّر) بها الكافر (وينضّر) بها وجه المؤمن !. ويتدرّج فى

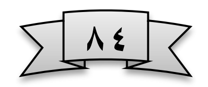


العروض والمواقف مع رفاهية فى (الإحساس) ووعىْ بالمداخل والمخارج.. أمين على كتاب الله ناضج (المشاعر) ظهر (كبيرًا) فجدَّد عصر الإسماعيلية فى دولة التلاوة الجديدة.. ..

١٦- الشيخ /عبد العظيم زاهر: ويعدُّ بحق (فلاّح) القرآن،ففى أدائه بساطة المؤدى مع جذب " الانتباه" طبقة صوته (رخيمة) يثير (الشجن) أداؤه النابع من القلب –كان لى جدٌّ إذا استمع إليه انفطر قلبه– لم يستطع أحد (إلغاءه) من القائمة بَيْدَ أنه كان على قمتها متربعًا كما تربع على القمة أيضا هؤلاء العظماء أمثال: القارىء الشيخ / الشحات أنور ، والقارىء الشيخ / السيد متولى ، والقارىء الشيخ / طه الفشنى ، والقارىء الشيخ / محمد الطوخى ، والقارىء الشيخ / عبد العاطى ناصف. وهم من الحذاق والمجيدين فى دولة التلاوة.

كما ظهرت فى منتصف القرن الماضى أصوات عظيمة تقدمت وبرعت فى فن الأداء حتى ذاع صيتها وجادت قرائحها بالنغم الجميل مع الإلمام بالوقف والابتداء والقراءات،مثل الشيخ / السنديونى والصيفى والنادى والقهاوى.. وهم من الرعيل الأول المؤسس لدولة التلاوة (القرآنية) فى مصر.. وما زالت حتى الآن أصواتهم تنعش القلوب والأفئدة.

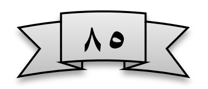
لكنه خلف بعد ذلك خلْفٌ (تشابهت) أصواتهم ونغمات أدائهم ولم يميِّزْ أحد منهم عن الآخر إلا (ضبطه) وإحكامه للقراءة، ومعظمهم يتربع على (التخت) ورأسه تدور حول (الأجرة) وكم دُفِعَ من عربون !.وكثيرًا ما يقع



(التنـــاحر) بـــين القـــراء فى اختيـــار وقـــت (الـــذروة) عنـــد حضـــور (الناس) لتقديم العزاء فى (المآتم)..

وعلى العكس من ذلك كان جيل "الأساتذة" الذين لم يشترط أحد منهم على "أجر معين"، ورويت فى ذلك روايات غريبة وكلها تؤكد أن قرّاء (الرعيل الأول) لم يكونـوا مـن هـؤلاء (الغربـاء) عـن القـرآن رغـم أنهـم يحفظونـه ويؤدونـه ولكـن (لملء الجيوب) وليس لله فيه شيء، وأصبح هناك "سماسرة" يتدخلون لوضع (الترتيبات) النهائية لعقد (الصفقات) بين القرّاء.. ويحصل بعضهم على مبالغ كبيرة تصل إلى حد الألفَىْ جنيه، وابتكر بعض القرّاء الآن أسلوبًا جديدًا فى تحويل الأجرة على البنك بشيك نظرًا لضخامة المبلغ الذى يصل إلى خمسة آلاف جنيه أحيانًا..

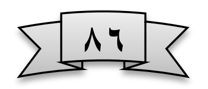
ولقـد اكتشـف (المستمعون) أخـيرًا أن بعـض القـرّاء يفضِّـل قـراءة (أربـاع) بعينهـا لأنـه يجيـد عرضـها خاصـة فى سـورة "يوسـف"عليه السـلام عنـد محطـة (وقالـت هيـت لـك قـال معـاذ الله) وهـذا هـو القـرآن (التجـارى) وكـذلك إكثـار بعضـهم مـن قـراءة سـورة يـس والـرحمن مـع أن القـرآن عظـيم وكثـير لكـنهم لا يتعرضـون للقـرآن (الأحمـر) علـى حـدِّ قـول بعـض (مشـايخنا) أى مـن السـور (المتشـابهة) الآيـات مـع غيرهـا كـالأعراف ويـونس وهـود والعنكبـوت مثلاً ؟. ولقد ظهر فى هذا الزمان جهاز (الصَّوّ) الذى يعالج " قصور" القراء عند الأداء وأصبح الآن من (ضرورات) القراءة، وكم ضربت كفًّا بكفٍّ عندما كنت أستمع إلى قارئ يقف على لفظ (فاسْعَوْا) من قوله تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلاةِ مِن يَوْمِ الجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا**



الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ... إلخ الآية ﴾ لأسمع بعد الوقف صوت: عَوْ عَوْ عَوْ..وآخر سمعته يقف على لفظ (مثواى) من قوله تعالى: ﴿ **إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ** ...إلخ الأية ﴾ لأسمع صوت: واى واى واى.. وهكذا مما ذهب بجلال الأداء وجمال التلاوة وحسبنا الله ونعم الوكيل.

ومما أنذر بزوال دولة القراءة (ظهور) قراء الجماهير الذين يقرءون القرآن بغير أحكام وليس فيهم (آداب حملة القرآن) وأصبحوا يشترطون على (الطعام والشراب والعرابين)،بل وتجرءوا على كتاب الله تعالى فأدخلوا عليه من (القراءات) ما ليس منها مثل القارئ (عنتر مسلم) وبعضهم يقرأ (بالتقليد) دون دراسة لهذا العلم الغزير من علوم القرآن..

والأدهى من ذلك وأمرُّ أن كثيرًا من (الناس) ليس لديهم (ثقافة) قرآنية، بمعنى أنه (يلهث) خلف القارئ المخالف (ويجرى خلف) صاحب النَفَس الطويل أو (الأكتاف العريضة) أو (الصوت الجهورى) وأصبح هؤلاء الناس (لا يحسنون) الاستماع ولا يلتزمون آداب المستمع وأصبح الأمر (مأساة حقيقية) بعد أن أصبح ورق (البنكنوت) هو الأولى بالتقديم عن القراءة.. ولا تسلْ بعد ذلك أخى القارئ عن (رؤساء القراءة وزعماء الأداء!!) فهؤلاء عملوا لله أما هؤلاء فعملوا للأوراق المالية..وحسب !!



ومــن يــدرك مــذاق الحــب مــنى ويرهـــف فى مقـــالتنا سماعـــه

إذا لم تـــرو نبتـــك كـــل وقـــت يضـيع و هـــذه الــدنيا إضــاعه

وكــم مــن مظهــر عليــاء نفــسٍ ويفســـد حبّـــه الـــدنيا طباعـــه

ولــو أن الفــتى فى النــاس يبقــى عـــزيزًا لا يمـــدُّ يـــد الضـــراعة

يتــاجر فى الهــدى بمقــام صــدقٍ ويجعــل حبــه البــارى البضــاعة

ويعلـــم أنمــــا الدنيــــا متــــاع ولـيس تــدوم فى الــدنيا جمــاعة

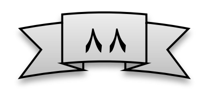
ويـــــذكر فــــقره فيقــــول ربى ويـــذكر يســـره فيقـــول طاعـــة

يظـــل مـــؤيدًا باللــــه ربــــى عزيـــزًا يرفـــع الـــرحمن باعـــه..

تراجيــديــا..

لست ممن يحيلون الأمور (إذا تفاقمت وفقدت جدواها) إلى الظروف والأقدار والأحوال لأن الإنسان يستطيع (تهيئة الظروف) الملائمة لمراده وأهدافه العامة، أما عن الأقدار فهى بأمر الله تعالى (وقدر الله لا يأتى إلا بخير) والأحوال تتقلب تبعًا لمجريات (الأحداث) على العموم.. ولست ممن (يحمِّلون) الأمور فوق طاقتها إذا كان ثمة (إمكانية) من إحداث (تغيير طبيعى) فى مقدور الإنسان إنفاذه، والقدر على أى حال ليس (شمَّاعة) يعلق الإنسان عليها خطاياه ومثالبه.. وليست كل الظروف والأحوال (يُنَاط) بالإنسان العاقل (إلقاء اللوم عليها دائمًا) وإلا فما (ميزة) العالم على الجاهل، والعاقل على المستهتر، والمسلِّم على المنكر والجاحد.. الأمر إذًا ليس من باب (إلباس طاقية الظروف والأحوال إلى الأمور التى ينبغى الوقوف عندها والتفكر فيها) و الإلمام بمخاطرها ومواقعها.. وإلا فالقدر باب عظيم يلتزم المؤمن بالتسليم لأمر الله فيه والتفويض إلى الله فيه، وفرق كبير بين قضية (إيمانية) وأخرى (إنسانية) بين أمر علوىٍّ وآخر سفلىٍّ ..

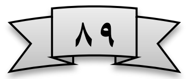
فلو أن المرء نجا من آفات نفسه وهواه وتحامل على نفسه وكبح جماح شهواته فلا ريب أنه موصول بالله تعالى..فإذا ما نزل به أمر الله تعالى أو حلَّ عليه (قضاؤه) فإنه على هذا (التأسيس) الإيمانى لن يفقد صوابه أو رشده ولو احتمالاً لأنه أمر نزل من علياء ولا مفر من إمضائه وقضائه..ولا يمكن لصاحب المعدن (النفيس) والهمة العالية أن يفسر (ضائقته) بأنه (مرور من عنق الزجاجة) بل عليه أن يراجع و يقيِّم أعماله وخطوات حياته، وإلا فكسر



الزجاجة أفضل من ضيق وضنك (عنقها) وعليه أن يبحث عن مؤونة (يموِّن) بها عمله وما سُلِب من يقينه مادة أو معنىً فيستعيض عن ذلك بتقديم شيء كبير يملأ به الفراغ من التقصير فى الطاعة أو عدم (الحيدة) التى تتطلبها المواقف (الجادة) ولابد من أن يتوجه الإنسان ليس إلى ما بعد المرور من عنق الزجاجة ولكن ينظر إلى عنق الفرج وإبط النجاة ووجه الأمل وأيدى العمل وأقدام (الثبات).. ومع هذا فإنى فى الحقيقة لا أنكر أن الأمر ليس بهذه (السهولة) وأن يمتنع الإنسان مثلاً من إلقاء اللوم على من آذاه أو تسبب فى (عذابه) أو صيَّره إلى أمور غير محمودة العاقبة وإلا فإن الرسول "ص" حينما حث الأبناء على بر الآباء بقوله: { طاعة الوالدين من طاعة الله } وقوله: ﴿ **كل الذنوب يؤخرها الله إلى يوم القيامة إلا عقوق الوالدين فإنه يعجله فى الحياة قبل الممات** ﴾ لم ينس أن يذكر الآباء بقولهﷺ : ﴿ **رحم الله والدًا أعان ولده على برِّه** ﴾ ويستنبط من هذا أن (العقوق) باب لِولُوُج (العاق) فى النار بينما لا يكون العقوق عقوقًا ابتداءً إذا ما ربى الوالدان ولدهما على الشر وغرسا فيه نوازع (الفساد) لأنهما هيآه لذلك وكما قيل:

وينشأ ناشئ الفتيان منا على ما كان عوَّده أبوه

أؤكد فعلاً أن (النسيان العام) للأذى ولمن آذى ليس سهلاً ولكن ذلك فى الواقع الذى لا يقبل (الجدال) يصقل الإنسان ويظهر قوة وأصالة (معدنه) ومن البديهى والطبيعى أن حب الوالدين أو أحدهما ليس لأنهما أنجباه مثلاً ولكن لأنهما ربياه وحفظاه من الضياع والشتات فضلاً عن تآلف القلوب وطبيعة الفطرة ولذا فإنى (تأثرت) ذات مرة من (فتوى) عرضت علىَّ يقول صاحبها



فيها: إنه كان نصرانيًا فأسلم وحسن إسلامه وله أم ماتت على (دين النصرانية) وهو يدعو الله لها بالرحمة ويسأل: هل يستمر فى دعائه.. وهل سيكون هذا الدعاء مقبولاً عند الله تعالى.. أم لا ؟ فاندفعت بالإجابة بقول (نعم) إشفاقًا عليه لفرط حزنه عليها وبرِّه بها ولأن النبىﷺ كان إذا مرَّ بقبر أمه (آمنة بنت وهب) وقف عنده ودعا لها (مع انها لم تدرك الإسلام وكانت من أهل الفترة) ولكن عالمِا جليلاً أفتى بعدم جواز ذلك وأن تكريمه لها لا يكون إلا فى حياتها أما بعد موتها على غير الإسلام فلا يقبل الدعاء بحالٍ، واستدل بعدم وجوب الصلاة على المنافقين بقول الله تعالى: ﴿ **وَلاَ تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا** ﴾ التوبة:٨٤ وكذلك تبرئة سيدنا إبراهيم الخليل عليه السلام من أبيه بعدما تبين أنه عدوٌّ لله بمنطوق قول الله تعالى: ﴿ **وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لأَبِيهِ إِلاَّ عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لأَوَّاهٌ حَلِيمٌ** ﴾ الآية ١١٤ سورة التوبة.. غاية ما يمكن القطع به فى هذا هو أن الله تعالى علَّمنا ووصلنا بمن يعلِّمنا وجنَّد لنا من يعيننا على ما تعلَّمنا ولم يكلِّفنا عناء البحث بل إنه تعالى هيَّأ لنا الأمور كما صيَّر لنا الأخذ المباح من كل ما فيه الخير والمعروف ودبَّر أمر فهمه بالتلقى والفهم والعلم وقال لنا فى النهاية: { فاعتبروا يا أولى الأبصار } الآية ٢ سورة الحشر.. وتبقى بعد ذلك (حجج) الواهمين ضعيفة وليست (دامغة) فالمغزى العام للتسليم لأمر الله أمر يقينى يراد به إقرار الإيمان فى القلب ومن وصل إلى هذه الدرجة فإنه لا يحيل مالا يرضاه إلى مولاه حياءً وخجلاً وإنما تضعف النفس إذا انسلخت من هذا الفهم ولم تصل إلى هذه الغاية ويقولون: إن ظاهرة الندم ظاهرة (صحية)

يصير الإنسان بعدها حريصًا واعيًا مستفيدًا من الأخطاء (وربما صحَّت الأجساد بالعلل).. وأقول: هل من الضرورى أن تصحَّ الأجساد بالعلل أم أن (المنطقى) هو أن تصحَّ (بمسببات) الصحَّة.. وتُعلَّ بمسببات العلة وهذا حقيق بالطبع تصوُّره !. أما تفسير الحكمة السالفة فإنه من باب الأمل يُفتَح بعد إغلاق !. ووميض النور الذى يظهر بعد ظلام، والسعادة القليلة التى أتت بعد عناء صارت عظيمة مبهجة للنفس وإلا فالسعادة التى تعقب السعادة لا تصل إلى هذا المستوى !. ومن هنا فإنه لا حجة لمن زعم أن (المقادير) هى التى تفعل ما تشاء ما لم يفهم أولاً أن (المقدّر) كصنيع الهىِّ عام فى كل شيء لأنه لا يوجد شيء بغير (تقدير) وللإنسان فيه على كل حال تغيير وتفسير.. وهذا يذكِّرنى بأمر شغلنى مدَّة من الزمن وأخذت أفكِّر فيه وقتًا طويلاً ولكنى لم أهتد إلى الصواب إلا بعد سنين.. ومفاد هذا الأمر أننى فى عام ١٩٧٨م كنت عائدًا من القاهرة فى قطار الحادية عشرة والنصف صباحًا بعد أن أديت (الامتحان) فى مادة (المنطق) بكلية الدراسات الإسلامية وكنت وقتها مقيدًا بالصف الثانى ووجدت (مقعدًا) بالقطار فسارعت بالجلوس عليه وكان بجانبى رجل شيخ أخذ يحكى عن (الناس) وما كانوا عليه فى الماضى من الإخلاص والوفاء والحرص على حسن (السمعة) وحفظ العهد !. بينما كان خلفى رجل آخر (مشلول) يتساقط (ريقه) على صدره وبجانبه امرأة لا بأس بها هى امرأته وكانت تتكلم بلسانه وتتحدث نيابة عنه وقالت والدموع تملأ عينيها: إن زوجى أحيل إلى المعاش بعد مرضه (المفاجئ) وكان موظفًا بالحكومة وأخذنا (نبحث) عن الإجراءات التى (تكفل) لنا الحصول على (المعاش) فقالوا لنا: إن الأمر يحتاج

إلى (السفر) إلى الوزارة بالقاهرة وتقديم أوراق (معينة) فذهبنا فقالوا لنا: ليس بأيدينا عمل شيء حتى (ترسل لنا المصلحة التى كان يعمل بها استمارات وأوراق وملف الخدمة) وعدنا إلى الإسكندرية وشرحت لهم الموقف (كل هذا والرجل يصحبنى فى كل مكان حسب التعليمات) بوجود صاحب (المعاش) شخصيًا؟. فقالوا لنا: كيف يعيدونكم إلينا وهم المسئولون عن كل شيء وبأيديهم الملفات وكافة الأوراق ليس بأيدينا تقديم أى مساعدة إلا بقرار إحالة من الوزارة ثم بعد ذلك نعمل اللازم فعدنا إلى القاهرة ورجعنا كما ذهبنا (بلا شيء) وأخذت المرأة تدعو على الجميع وكلنا يقول: آمين.. قالت المرأة هذا ثم أخرجت (فوطة) صغيرة (لتجفف) بها ما سال على صدر زوجها (المشلول) وهى تبكى وتقول: ليس لنا إلا أنت يا رب !!.. ورغم هذه البداية الأليمة فى هذا القطار الذى بدأ يتحرك ومعه تحركت (عين) امرأة شابة بالدموع الغزيرة مما دعا رجلاً أسمر اللون بجوارها ليسألها: هل هناك شيء حدث ؟ وتحفَّز الجميع للنظر فى أمرها ولكنها سرعان ما أخرجت (ورقة من جيب صدرها) لتقول للرجل: إقرأ هذا الجواب.. فتناوله منها وقرأه ثم قال: هذا جواب طلاق من المحكمة !. فساهم الجميع بمجاملة بسيطة وعاجلة وقالوا: - لا حول ولا قوة إلا بالله – وكرَّرتها مرارًا.. فسألتها امرأة فى مواجهتها من المقعد وقالت لها: ماذا جرى يا ست ؟ فأخذت تبكى أكثر وأكثر وهى ترتعد وترتعش (ومع ذلك فإن هذا المنظر لم يقلل من جمالها أو من وسامتها ثم أخذت تحكى قصتها قائلة وهى تحرك يدها اليمنى بمنديل قماش (تجفف) به عينيها (الجميلتين): كما ترون أخذنى لحمًا وتركنى عظمًا (كما يا رب خلقتنى) ثم عادت للبكاء !. وطيِّب

الجلوس (خاطرها) فقالت: لقد جرَّدنى من كل شيء لولا (الناس) الطيبين ممن يعرفونى جمعوا لى حق تذكرة القطار لأعود إلى أهلى (المتبرئين) منى.. فقال لها أحدهم: من أى بلد أنت ؟ فقالت: من (...) ولست أدرى ماذا سيفعلون بى بعد هذا ؟ فقال لها زوج السيدة المواجهة لها: ولكن ماذا جرى يا ابنتى لهذا كله وأنت حتى الآن فى سن صغيرة ثم أدركها بقوله: كم عمرك ؟ فقالت: عشرون عامًا وكنت أقيم مع أسرتى بدمياط حيث وقعت فى حب شاب أغرانى بكلامه ووعدنى بالزواج ولكنه (طلب منى إنكار هذا الموضوع حتى تحين الفرصة المناسبة لتنفيذ ذلك) وحجبت الأمر عن الجميع حتى حدث ما لم أكن أتوقعه قابلنى ليقول لى: الآن أستطيع أن أبلِّغك بأننى (جاهز ومستعد) للزواج بك.. فقلت له: وأين سنعيش ؟ فقال: فى القاهرة. فقلت: القاهرة !. ولماذا فى القاهرة بالذات ؟ فقال: لأننى كما تعرفين أعمل هناك وقمت (بحجز) غرفة وصالة فى (الدرب الأحمر) فأعددت نفسى للسفر معه دون علم أسرتى (الباحثة عنى فى كل مكان إلا القاهرة) لأنهم لم يتوقعوا ذلك وحتى لو بحثوا فيها فكيف يجدوننى !! وتم عقد الزواج، والحق أننى انشغلت عنها بأفكار (أخرى) حيث صوَّرت لى أنها (خبيثة النية سيئة الخُلُق) إذ كيف بها أن تفعل هذا بأسرتها وتبيع (كرامتها وشرفها) بثمن بخس من أجل (شهوة فارغة) خيِّل إلىّ أنها كانت (تتمرَّغ) فى أحضانه وتلثمه (بالقبلات الشرهة) والأحضان الحارة.. هكذا خيِّل إلىّ الأمر وصوِّر الموقف بأن نداء الشهوة ونشوة (الإثارة) حكمت على هذه (الهلوك) بالإعدام الأخلاقى والتربوى !. لكننى أفقت على قولها: عشت معه على (الحلوة والمرَّة) وكل (أملى) أن أعود إلى (أهلى) ومعى زوجى ولا مانع من

أن أُضرب أو أُهان فى مقابل (أن تعود المياه إلى مجاريها) خاصة بعد أن (حملت منه وأنا الآن فى الشهر الرابع) ثم صمتت وكأها تلوم نفسها أو أنها كانت تخشى توجيه (اللوم) لها.. ولكن فى الحقيقة كانت هذه النهاية التى وصلت إليها (نهاية طبيعية) لهذا الأمر (غير الطبيعى).. وكان من حديثها الطويل قولها: إنها بعد هذا فوجئت بأن هذا الزوج (ليس هو السند ولا الحامى وإنما هو شهوانى) أَوْدَعَ (شهوته وأفرغها فى أحشائها وأفضى بطاقته وعنفوان غرامه فيها).. وأنتج هذا (حملاً) ينتظره مستقبل (مجهول) ؟. وغاب الزوج عنها فجأة كما قالت وبحثت عنه فى كل مكان وبلغها أنه (سلَّم) نفسه للقوات المسلحة وتم تجنيده ولكنها كما زعمت تذكرت أمرًا كانت قد نسيته فى (زحمة) الأفكار والمتاعب وفتحت (حقيبتها) القديمة وأخرجت منها ورقة بحثت عمَّن يقرؤها لها فور علمها بغياب الزوج فعرفت أن الورقة هى عبارة عن تنازل منها لزوجها عن كامل (حقوقها) وفى آخر الورقة توقيع بالبصمة فأخذت تصرخ ولكن لا مجيب !!

قالت والهياج (يحمُّها) واللواعج (تنهشها): لقد قال لى إنها ورقة تخص إثبات حقها فى (العفش) تقصد قائمة الجهاز (السوقى) وفى النهاية كان الطلاق والحمْل والهوان: وحقًا قالوا:

وجُرْمٌ جرَّه سفهاء قوم   وحل بغير جارمه العذاب

المهم أنها عادت فى قطار الحادية عشرة والنصف وأخرجت بعد طول وقت وعناء قطعة من قرص (المعمولة) وقضمت منها (قضمات) بسيطة ولا أشك إلاأنها (لسعة الجوع) لأن مثلها لا يهنأ له طعام ولا شراب ولا يرقأ له دمع، ظنها البعض (سيئة الحظ) وأخذوا (يطيبون خاطرها) ولكنى أخذت (ألومها وأعاتبها) لأنها فى نظرى كانت (آثمة منحلَّة) ولم يكن صوتى أقل ارتفاعًا من صوت (بائع الكوكاكولا) ولكنها راحت فى النهاية (تلُوك) شفتيها بلسانها وهى تنظر إلى أسفل مرَّة وإلى (خارج شباك القطار) مرة أخرى وعاد الصمت بين (جلوس المربع الذى كان يجمعنا) رغم الأصوات المزعجة من حولنا.. وسألت نفسى: ما ظن الإنسان بنفسه.. أهو هكذا (عبوَّة) شهوات ونزوات أم أنه (إنسان) يعنى إحساس واعتقاد وسلوك وفهم أهو ذلك (الحيوان) المناضل من أجل (الجنس والطعام والملهِيات) والحصول على (الملذات) بأى طريق أم أنه الإنسان العاقل الواعى المحترم؟. إن الأمر يتطلب وقفة مع النفس البشرية المفترض فيها أن تكون كريمة ونزيهة وعاقلة.. ينطبع فيها الحق وتتآلف فيها الأمزجة الصالحة حتى يمكن التفريق بينها وبين ما هو (أعجمى) من سائر المخلوقات والفصائل الأخرى غير (الناطقة).. الحياة أعجوبة وألعوبة وأكذوبة من يصدِّق نفسه فيها لابد وأنه واقع فى المهالك وطالب اللذائذ فيها ساقط في (المهوى) وأعظم الناس نعيمًا فيها (واهم ومغيَّب عن الحقيقة) ضراوة الحياة قاسية وطعمها مرٌّ (المذاق) وشرابها (آسِنٌ) لذا قال النبى ﷺ فيها ﴿ **حُفَّت الجنة بالمكاره وحُفَّت النار بالشهوات** ﴾ الحياة (أرجوحة) تعلو وتهبط وتميل هنا مرَّة وهناك مرَّة ولا تثبت

على حال.. غير أنها مع ذلك مزرعة للآخرة ولا مزرعة سواها.. وحظُّ الإنسان فيها هو (القوت) وأمَّا أمله فهو فعلاً (العمل) .. ..

يـا مـن هـواه أعـزه و أذلـنى	كيـف الوصـول إلى طريقـك دلَّـنى ؟
وصـلتنى حـتى ملكـت حشاشـتى	ورجعـت مـن بعـد الوصـال هجـرتنى
أنـت الـذى حـلَّفتنى وحلفـت لى	وحلفـت أنـك لـن تخـون فخنتـنى
وحلفـت أنـك لـن تميـل مع الهـوى	أيـن اليمـين وأيـن مـا حـلَّفتنى
لأقعـدنَّ علـى طريقـك واشـتكى	كشبـه مـظلوم و أنـت ظلـمتنى
ولأدعـونّ عليـك فى غسـق الـدجى	يبلـيك ربـى مـثل مـا أبليتـنى

ومن الولائم ما قتل..

درج أعداء الإسلام وخصومه فى الآونة الأخيرة على (تجنيد) فريق من (الكتاب العلمانيين والملاحدة) واستئجارهم لضرب الإسلام والتشكيك فى مفهومه العام ومحاولة هدم معاقله ومؤسساته الدينية.. كما أنهم لم يتورعوا عن وصف الإسلام بأنه (عديم الصلاحية) ولا يصلح كدين لتشخيص الداء ووصف الدواء وأطلقوا على كل من دافع عن الإسلام بأنه (أصولى) أو (إرهابى) وأعداء الإسلام هؤلاء (يستأجرون) هذا الصنف من البشر (الخائن لدينه وعقيدته ووطنه) ويغدقون عليهم الأموال بسخاء ويمنحونهم صفات شتى وأسماء براقة يضحكون بها عليهم مثل (مفكر – مبدع – أديب) وهم (يراقبونهم) بعناية (لتنفيذ) مخططاتهم وملاحظة دورهم الذى من المعروف (أنهم قبضوا ثمنه) ولهم اختيارات موفقة كل التوفيق فى العناصر المختارة لضرب الإسلام وجلُّهم من (أصحاب العقد النفسية) والجرائم الخلقية بل إن بعضهم (منحلٌ أخلاقيًا ومصاب بالشذوذ منذ طفولته) كما وردت بذلك التقارير والمتابعة ومراجعة الملفات !. ولعل من أهم العوامل الباعثة على (تزييف الحقائق) وبيع الضمائر هو العامل (المادى والإلحادى) ومعهما لا يمكن دفن الرءوس فى الرمال وحسب، وإنما الاستعداد الكامل لتلقى الضربات والركلات (والبصق على الوجوه) ما دام ذلك فى مقابل (ولا عزاء للكرامة) ؟. المتفائلون يرون أن لهذه (الموجة الإلحادية والعلمانية) نهاية، والمتشائمون يرون أنها البداية وأمثلهم طريقة يعتقدون أنها (زوبعة فى فنجان) سرعان ما ستنتهى لأنه فكر يقوم (على غير أساس وليست له بحالٍ أى أرضية) ولولا وعورة ودهاليز (الفكر

الإلحادى) هذا لأمكن الإجهاز عليه رغم (الفائض الكبير الذى يرصد للإنفاق عليه) منذ وقت مبكر جدًا.. أما المعتدلون فيرون أنها (بداية البداية) وستنجلى عن حرب ستصل إلى (الدموية) لأنها وإن كانت (مجرَّد موجة) إلا أن هدفها (ضرب الإسلام وثوابته الأساسية) وخصوم الإسلام بالفعل يريدونها حربًا (حامية الوطيس) وسريعة الحركة مع بداية (العولمة والنظام العالمى الجديد) وما إلى ذلك من (مسموعات ومحفوظات) يتم تدريسها فى مدارس إلحادية وترصد لها الأموال وتحدِّد (طابع) العلاقات مع الدول بشرط قبولها (للتعاون الثقافى) والموافقة على (منح المساعدات) المالية وإلزام الحكومات بتعقب جميع (الأصوليين) ومن على شاكلتهم حتى إن الأزهر أصبح هدفًا وأصبح جميع (علمائه) المتمسكين بدينهم أيضًا (مستهدفون) وتلك الرؤية صحيحة.. ومما يؤكد على صحتها أن أعداء الإسلام يعترفون (علانية) بأن القرآن الكريم هو (عدوُّهم اللدود) لأنه عرض لجميع مزاعمهم وافتراءاتهم وفندها كما أن القرآن قطع عليهم كل الطرق التى تؤدى بالعباد إلى الضلال أو الانحراف أو (العلمنة) كما أنهم يعترفون أيضًا بأن القرآن هو دستور السماء وله مكانة (سامية وسامقة) فى قلوب ووعى المسلمين لذا فهو التحدى الحقيقى فضلاً عن أنه يحفظ للمسلمين (الدين والدولة) واللغة والقيم ولم يحدث فيه تغيير أو تبديل ويبدو أنه لن يحدث أبدًا كما أحدثوا هم فى التوراة والإنجيل.. إضافة إلى (فضح) القرآن لأساطيرهم وهدم كل ضلالاتهم وحججهم ومما يدلُّ على هذا أنه فى اجتماع عاجل بمجلس العموم البريطانى برئاسة رئيس الوزراء البريطانى (جلادستون) قال للوزراء: ما دام هذا القرآن موجودًا فلن نستطيع السيطرة على

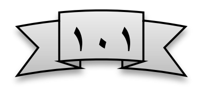
الشرق.. فأمسك أحدهم بالمصحف وكان معه نسخة منه وقام بتمزيقها.. فنظر إليه (جلادستون) بغضب وقال له: يا جاهل ما هكذا أردت أن تفعل من تمزيق أوراقها وإنما وإنما أردت من الإجتماع أن نعمل على محوه من قلوب المسلمين وصدورهم وعندئذٍ سنسيطر على الشرق كله !. ومنذ أن نفخ (إيربان الثانى) فى بوق (الحرب الصليبية) وبدأ فى الإعداد لها عام [٤٨٩هـ - ١٠٩٥م].. وبدأت دعوته تلقى دعمًا (صليبيًا) مع بداية الحملة الأولى عام [٤٩٠هـ - ١٠٩٦] بقيادة القائد الفرنسى (جود فرى دى بويون) وإخوه (بلدوين) والجميع يتربصون بالإسلام.. وحاولوا كثيرًا وما زالوا يحاولون لإضعاف قوة المسلمين (الإيمانية) وإحلالها بقوىً (علمانية) لذا فهم كما اتفقنا قاموا باستئجار (ضعاف النفوس وضحايا الأمراض النفسية) لتجنيدهم والدفع بهم فى مواجهة المسلمين وإذا حدث من مخلصى الإيمان محاولة (لردِّ الاعتبار) أطلقت عليهم (الكلمات الحادة والمسميات الشاذة) أقلها هو وصفهم بالتخلف وأصبحت (نغمة) التطرف الإسلامى (لا تخلو منها نشرة إخبارية) أو محاضرة سياسية وفى نفس الوقت الذى يعلن فيه (الملحدون) عن (تكميم الأفواه) فى البلاد الإسلامية للمبدعين والمفكرين (العلمانيين) ومطالبة العالم الإسلامى بضرورة (التغيير والتنميط الموظَّف لصالح العلمانية) نجدهم على الجانب الآخر يقومون بمحاكمة وسجن (المفكرين) الذين يتحدثون ويكتبون عن (أكاذيب) اليهود ومزاعمهم حول مذابح ومحارق (النازية) فيما يعرف (بالهولوكست) وقد قاموا بسجن (الباحث والمفكر والفيلسوف. الفرنسى المسلم روجيه جارودى) والمفكر (فليمنج) كان مصيره الطرد واللعن والاتهام (بمعاداة السامية) وحوكم هو

الآخر محاكمة غير عادلة ؟. ولا ندرى بعد ذلك لماذا يتشدقون برمى الإسلام والمسلمين بالحجر على الفكر والإبداع.. وصدق الله العظيم القائل فى سورة الأنفال من الآية ٣٦ وحتى الآية ٤٠ ﴿**إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ * لِيَمِيزَ اللَّهُ الخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ الخَبِيثَ بَعْضَهُ عَلَى بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُ جَمِيعًا فَيَجْعَلَهُ فِي جَهَنَّمَ أُوْلَئِكَ هُمُ الخَاسِرُونَ * قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا إِن يَنتَهُوا يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ وَإِن يَعُودُوا فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ الأَوَّلِينَ * وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ فَإِنِ انتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ * وَإِن تَوَلَّوْا فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَوْلاكُمْ نِعْمَ المَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ**﴾.. ومن المؤكد لدى (المتابعين) أن (الطعن) فى الإسلام ورموزه بدأ (جنينًا) يتحرك فى أحشاء (الملحدين) منذ (محاولات سلامة موسى المبكرة) لدحض القيم الإسلامية والرمى (بالمفتريات) على كل ما هو إسلامى وقرآنى.. فى نفس الوقت الذى خرج فيه المدعو (الحبيب بو رقيبه) وكان رئيسًا لدولة تونس ليقول: إن القرآن متناقض ويعارض بعضه بعضًا ولم يعد له فائدة الآن ! ولست أدرى: كيف ترأس دولة وهو لا يعرف شيئًا عن دينه فعلاً لست أدرى ؟! أقول: إن الطعن بدأ جنينًا وانتهى (تنِّينًا) وكأن هذا (الجنين) يتناول لبنًا مسمومًا (مخلوطًا بالكفر والإلحاد) ثم نما وتناول (وجبات) الحقد والكراهية وانتهى بأكل الأخضر واليابس وأقام (الولائم) فى محافل (الماسونية) وانتهى بالوليمة الكبرى القاتلة (وليمة لأعشاب البحر).. وكأن رصيد (الملحدين) كان (مدَّخرًا) منذ زمن بعيد فى خزائن (الزندقة) ووضع عليه

(الزّنار) حتى لا يختلط بمال حلال (وما أظن أن أموالهم من حلال) وصُكَّ بصكٍّ (النجمة السداسية) ليكون له السبق إلى جهنم إن شاء الله ولكن حتى (ننصف) هذا الموضوع حقه فلابد من عرض (النماذج) التى ظهرت حتى الآن على المسرح (الإلحادى) لأداء (دورها) المنوط بها أداؤه ونحاول (الخروج) برؤية واضحة يمكن الاستفادة منها:

أولاً: ظهرت بوادر (الانفجار الإلحادى) عندما (فاجأ) المرتد (سلمان رشدى) وهو هندى الأصل وحاصل على الجنسية البريطانية العالم بكتاب (آيات شيطانية) تجرَّأ فيه على رسول الله "ص" وألصق به (أكاذيب) وأباطيل كثيرة كما تناول الحديث عن الملائكة بما لا يليق بمكانتهم العظيمة.. مما جعل الإمام (الخومينى) زعيم (الثورة الإسلامية) بإيران (يفتى) وقتها بإهدار دمه باعتباره مرتدًا عن الإسلام – والعياذ بالله –..وقامت الدنيا ولم تقعد واتهم المسلمون كالعادة بكل الصفات (الجارحة) ورُمُوا أيضًا (بالتطرف) وهذا الطعن على المسلمين بالطبع ليس بمستغرب ؟.وما زال هذا الـ (سلمان رشدى) متخفيًا وأصابه الله تعالى بالسرطان ولم ينفعه تأييد الغرب وحمايته وإلا لكان الغرب الآن قد هيأ له (حراسة) لا تنام ولكن ؟!

ثانيًا: ثم خلف من بعده المدعو (نصر أبو زيد) وتناول هو الآخر حديثًا عن القرآن و (مفهوم النص) وحاول اتهام علماء الإسلام (بتجريد) النص القرآنى من المفهوم (الأسلوبى والسيميوطيقى والهيرمنوطيقى) وأن هؤلاء العلماء يقولون: إن القرآن لا يخضع للصراعات (الأيديولوجية) أو التوظيف (الأديولوجى)..كما أن هذا الدكتور المزعوم طالب بالتعامل مع القرآن باعتباره



نصًا غير مقدس، وأغمض عينيه عن الحكمة فى نزول القرآن بما يسمى (ترتيب النزول) وبأنه متناقض مع ترتيب التلاوة، ثم (يتعلَّل) بأن هذا لا يجب أن يمر (عبثًا) دون إعادة النظر فى القرآن (كترتيب نزول) وإذا رُتِّب كذلك (فإن الأمر سيأخذ شكلاً جديدًا) ويمكن عندئذٍ (قلب المنضدة) فى وجوه جميع (المفسرين واللغويين) وسيُضرَبُ بمؤلفاتهم (عرض الحائط) وأكد فى النهاية أنه داخل الجنة وهؤلاء العلماء سيدخلون النار..وهذا الكلام ثابت بمجلة العربى الكويتية العدد ٤٥٠ مايو ١٩٩٦م (وهو الآن لاجئ فى هولندا) بعد حكم المحكمة بالتفريق بينه وبين زوجته.. ومن خلال رؤية عينيه الجاحظتين يشعر الإنسان أنه أمام (شرِّير) !.

ثالثًا: وبعد وقت وجيز ظهرت رواية (وليمة لأعشاب البحر) للمرتد السورى (حيدر حيدر) ورسم فيها (أقذر) صورة لأخلاقه وتدنِّيه وزندقته وكفره وصبَّ جام غضبه على الرسول ﷺ والملائكة بل والذات العليَّة ووصف القرآن بأنه (خراء) والرسولﷺ بأنه (زير نساء) كما وصف الله عز وجل بأنه (فنان فاشل) والعياذ بالله – وحاش لله – ولا حول ولا قوة إلا بالله !!!. { كبُرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذبًا } الكهف. الآية ٥ ثم (انبعثت) فور ذلك (شرارة) الغضب لله وأخذ الأمر (شكلاً) غير منطقىّ فى (المعالجة) حتى إن هذا الأمر أصبح (الشوكة التى قصمت ظهر البعير) ولكن من جانب آخر (استيقظ) الحسُّ الإسلامى من جديد ليعلن (رفضه) العلنى (للتحدى والتعدى) الواقع على الإسلام والمسلمين.. وفى مقال للأستاذ جمال بدوى فى

جريدة (صوت الأزهر) العدد رقم ٣٠ الصادر فى ٢١ إبريل ٢٠٠٠م قال فيه تحت عنوان:

(حرِّية الفوضى الفكرية) ما يلى: عندما تتحول الحرية الفكرية إلى طعنٍ فى الدين وتطاول على الذات الإلهية ونشر الكفر والإلحاد.. فإنها تنحرف عن مسارها الصحيح وتتحوَّل إلى فوضى ويصير من واجب أصحاب العقائد الدينية أن يتصدُّوا لهذا الزحف الخبيث دفاعًا عن دينهم وعن نبيهم بوسائلهم الخاصة وعندئذ تحدث الفتنة ويشيع الفساد فى المجتمع.. وبين الإلحاد ونشر الإلحاد خيط رفيع لا يخفى على ذوى الألباب السليمة والعقول الناضجة فالإيمان والكفر مسؤلية الإنسان والله سبحانه وتعالى يقول: ﴿ **فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ** ﴾ الكهف:٢٩ كما يقول: ﴿ **لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ** ﴾ الكافرون:٦ فمن نأى به قلبه عن الإيمان واختار سبيل الكافرين سيحمل وزر ما يعتقد ولكن ليس له أن ينشر كفره وإلحاده على الناس فإن فعل كان من حق ولى الأمر أن يمنعه ويردعه ليحمى المجتمع من فساد دعوته، ومن هنا تتمثل خطورة النشر والإعلان..

ثم يعلق الأستاذ (جمال) على فكر الملحد الجديد (صلاح الدين محسن) وعمره آنئذ (ثلاثة وأربعون عامًا) والذى قام بطبع كتاب على نفقته الخاصة يدعو فيه إلى الإلحاد ويطالب بتأسيس (نقابة للإلحاد) فى مصر كما أذيع هذا الكلام بالإذاعة البريطانية مساء السبت ٢٠٠٠/٦/١٧م وهو مصرى ويحمل مؤهلاً متوسطًا، يقول المعلق فى نفس الموضوع: وبين حين وآخر يخرج علينا كل من هبَّ ودبَّ فيصدر كتبًا تصدم العقائد وتطعن على الإسلام – تحت ستار الحرية الفكرية – وكان آخرها ما جاء فى الأهرام عن ضبط شابٍ أصدر كتابًا

يطفح بالتهجم على القرآن الكريم والرسول ﷺ وتبين من تحقيقات جهاز أمن الدولة والنيابة العامة أن هذا الشاب أصدر ثمانية كتب على مدى ثمانى سنوات بمعدل كتاب كل سنة استقى مادتها الحقيرة من السموم التى يروج لها أعداء الإسلام فى الغرب وأن محتوياتها من الكفر تفوق فى دناءتها ما نشره (سلمان رشدى) فى كتابه (آيات شيطانية) وعثروا فى بيته بمدينة ٦ أكتوبر على ٩٠٠ نسخة من كتبه، تنطوى على ازدراء الدين الإسلامى وتدعو ألى الفتنة الطائفية كما وجدوا آلات طباعة ونسخ وكانت هذه الكتب المفضوحة هى عربون عضويته فى (اتحاد الكتاب) بعد أن قام علماء الاتحاد بفحصها وإجازتها، أما المفاجأة المذهلة فهى أن كل مؤهلات المؤلف الجهبذ فى العلم والثقافة أنه (ساقط ثانوية عامة) !!

(وقد صدر على هذا الملحد حكم بالسجن لمدة خمس سنوات كما ورد بالإذاعة البريطانية مساء الإثنين ٢٦/٦/٢٠٠٠م).

ولأن الساكت عن الحق شيطان أخرس والأمر بالفعل – جد خطير- فقد تفضل الأستاذ الدكتور: عبد العظيم المطعنى فى الحلقة الأولى بالرد على الرواية المشئومة (وليمة لأعشاب البحر) للمرتد سالف الذكر (حيدرحيدر) فى جريدة (عقيدتى) الصادرة فى يوم الثلاثاء ٢٦ من صفر ١٤٢١ الموافق ٣٠/٥/٢٠٠٠م العدد ٣٩٢ بما يلى:

أولاً: إنهم رفعوا الرواية (وليمة لأعشاب البحر) وساووها بالقرآن العظيم.. بمعنى أن القرآن حكى أقوالاً كثيرة عن الكفار من الإشراك بالله وإنكار البعث وتكذيب الرسل وقالوا تأسيسًا على ذلك: هل نلغى القرآن ونصادره قياسًا على المطالبة بمصادرة هذه الرواية وهذه جريمة يقع فيها هذا الفريق من المتعجلين إذ

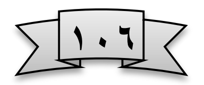
يزعمون لهذا العمل الساقط قداسة وضرورة حياة كقداسة القرآن ودوره العظيم فى حياة الناس، وفاتهم أن القرآن الكريم لم يذكر مقولة واحدة باطلة صدرت عمن يحكى عنهم إلا وعقب عليها بما يكشف عن بطلانها كما فى قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لاَ تَأْتِينَا السَّاعَةُ ﴾ هذا ما حكاه القرآن عن الكفار ثم قال تعقيبًا عليه: { قل بلى وربى لتأتينكم } سبأ /٣، وليس فى الرواية حكاية وإنما هى من صنع كاتبها وليس فيها تعقيب قط على ما فيها من كفريات !. ومعروف للعامة والخاصة أن الكاتب الروائى أو القصصى هو الذى يختار أحداث عمله ويرسم شخوصه ويستنطق كل واحد منهم فهو إذًا فاعل كل حدث فيها، وقائل كل كلمة فيها، إذًا فهو المسئول عن الأحداث والأقوال وليس الشخوص "الوهميين".

ثانيًا: ليس الإبداع إلهًا يعبد من دونه حتى إذا ما تعارضت حقوقه مع حقوق الله تعالى روعيت حقوقه وأهدرت حقوق الله تعالى !!

هذا منكر من القول وزورا نبرأ إلى الله تعالى منه، وليس من شروط الإبداع تحطيم حقائق العلم وتدمير الأخلاق والخروج عن النظام العام فى المجتمع هذه أكذوبة – فما أكثر المبدعين الملتزمين فى كل عصر – وفى العصر الحديث أبدع أمير الشعراء (أحمد شوقى) وشاعر النيل (حافظ إبراهيم) و (على محمود طه) و (إبراهيم ناجى) و (العقاد) و(الرافعى) ومن قبلهم (محمود سامى البارودى) و(المنفلوطى) و(محمد الأسمر) وغيرهم كثيرون كثيرون، وقديمًا أبدع (أبو العلاء المعرى) و(البحترى) و (ابن الرومى) وغيرهم كثير.

ثالثًا: إن خضوع الأديب أو الفنان لنقاد الأدب والفن مقصور على الخصائص الفنية البحتة والقيم الشعورية والتعبيرية المستخدمة فى تصوير الأفكار هذا حق لا ننازع فيه وهو سلوك متبع من قديم الزمان حتى فى العصر الجاهلى أما من الناحية الخُلُقية وما فيه مساس بحقائق الإيمان فليس هذا من اختصاص النقاد - ولكل ذكر أهل - وأهل الذكر هنا هم علماء الدين وحدهم وهم فى مصر علماء الأزهر ومن على شاكلتهم ممن تفقهوا فى الدين بوعى ودراسة منهجية، والأزهر لم يزج بنفسه فى دقائق العمل الفنى أو الأدبى وإنما أفتى ويفتى فى ما يتصل بالشئون الدينية إباحة وحظرًا، صوابًا وخطًا، ولا يملك أحد أن يجرد الأزهر من هذا الحق والواجب المنوط به شرعًا وقانونًا، وما أكثر الأعمال الطفيلية التى خرجت من مطابع قصور الثقافة دون علم الأزهر وتحت يدنا منها الكثير كل عمل لا يخلو من الاستهزاء بالذات الإلهية والرسل الكرام ويدعو دعوة سافرة إلى التفسخ الخلقى، وعلى سبيل المثال نذكر ما يلى:

- (الله فى الأصل كان عصفورًا يزقزق للناس !!).
- (يمكن أن تستغنى عن الله وتكلمنى !!).
- (إنا للنيل وإنا إليه راجعون !!).
- (وداعًا أيها الله !!).
- (لا عاصم اليوم إلا دموعك !!).
- (تعاركنا مع صاحب المقهى، تعاركنا مع صاحب الصهريج، تعاركنا مع الله وخرجنا!!).
- (من الدخان يولد الله.. هات سيجارة !!).



(الأبدية ستدلى أثراءها وتقول: خذوا الله !!).

هذا قليل من كثير يقرؤه شبابنا الآن. فهل هذا إبداع يا سادة ؟؟!!

وهل لو كانت هذه (السفاسف) عرضت على الأزهر فأشار بحذفها لقيل: إن الأزهر زج بأنفه فيما لا علم له به، وكُتَّاب هذه الحماقات بعض المفتونين من الشباب المصرى كتبوا ولم ينشروها على نفقتهم الخاصة بل على نفقة الدولة وتقاضوا عليها بالطبع مكافآت منحهم إياها من خزائن الدولة مسئولون شبه كبار لم يراعوا الأمانة ولم يقيموا للدين وزنًا ولم يروا للعقيدة حرمة !!

ولما كان الأمر فى غاية الخطورة كما قلنا فقد صدر من - مجمع البحوث الإسلامية - بيان من لجنة البحوث الفقهية فى جلسته الاستثنائية والتى حدد لها يوم الأربعاء ١٣ من شهر صفر ١٤٢١ هـ الموافق ١٧ من شهر مايو ٢٠٠٠م والتى خرجت بهذا البيان:

أولاً: إن وزارة الثقافة التى نشرت هذه الرواية لم تستطلع رأى الأزهر الشريف أو مجمع البحوث الإسلامية مع ما ورد فيها من أمور كثيرة تتصل بالإسلام والعقيدة والشريعة وذلك على خلاف ما يقضى به القانون رقم ١٠٣ لسنة ١٩٦١م بشأن إعادة تنظيم الأزهر والهيئات التى يشملها ولائحته التنفيذية والقوانين المتصلة بحماية حق المؤلف وتنظيم وزارة الثقافة مما قطعت فيه الجمعية العمومية لقسمى الفتوى والتشريع لمجلس الدولة بفتواها الصادرة بجلسة ٢من فبراير ١٩٩٤م (ملف رقم ٦٦/١/٥٨) من أن الأزهر الشريف هو وحده صاحب الرأى الملزم لوزارة الثقافة فى تقدير الشأن الإسلامى للترخيص أو رفض الترخيص بالمصنفات وأن شيخ الأزهر ومجمع البحوث الإسلامية وما يتبعه من

إدارات هو صاحب الولاية فى فحص المؤلفات والمصنفات التى تتعرض للإسلام لإبداء الرأى فيها.

ثانيًا: إن الرواية مليئة بالألفاظ والعبارات التى تحقر وتهين جميع المقدسات الدينية بما فى ذلك ذات الله سبحانه وتعالى والرسولﷺ والقرآن الكريم واليوم الآخر والقيم الدينية، ومن ذلك أنها تستهزئ بذات الله مثل وصفه بأنه (فنان فاشل) صفحة ٢١٩ وأنه نسى بعض مخلوقاته من تراكم مشاغله التى لا تحد فى بلاد العرب وحدها صفحة ٢٥٧ وأنه أقام مملكته الوهمية فى فراغ السماوات ليدخل فى خلود ذاته بذاته صفحة ٤٢٦ كما يفترى – المؤلف – على الرسول ﷺ بأنه تزوج بأكثر من عشرين امرأة ما بين شرعية وخليلة ومتعة صفحة ١٤٨ وأنه كان يتزوج من عذارى القبائل بغية توحيدها صفحة٤٢٦،٤٢٧ وأنه حرّف فى آيات القرآن الكريم ونسب إليه ما ليس منه كاتهامهم بقوله: (**إذا ابتليتم بالمعاصى فاستتروا**) صفحة ١٤٨ والرسول ﷺ برئ من ذلك كما أن الرواية تحرض صراحة على الخروج عن الشريعة الإسلامية وعدم التمسك بأحكامها وذلك بالدعوة إلى ضرورة الانفصال عن الدين والله والأخلاق والتقاليد، والأزمنة الموحلة والجنة والجحيم الخرافيين وطاعة أولو الأمر والوالدين والزواج المبارك بالشرع وسائر الأكاذيب والطقوس التى رسمتها دهور الكذب صفحة ٣٤٨.

ثالثًا: إن الرواية خرجت عن الآداب العامة خروجًا فاضحًا وذلك بالدعوة إلى (الجنس) غير المشروع واستعمال الألفاظ فى الوقاع وأعضائه الجنسية للذكر

والأنثى بلا حياء مما يعف اللسان عن ذكرها وكتابة نصها حفاظًا على الحياء العام الذى انتهكته الرواية.

رابعًا: إن الرواية لم تكتف بذلك بل حرضت صراحة على إهانة جميع الحكام العرب ووصفتهم بأقبح وأقذع الأوصاف مما يعف المقام عن ذكرها وطالبت بالخروج عليهم والثورة ولو بإراقة الدماء.

خامسًا: اتضح لمجمع البحوث الإسلامية من كل ما سبق أن ما ورد برواية (وليمة لأعشاب البحر) لمؤلفها (حيدر حيدر) خروج عما هو معلوم من الدين بالضرورة، وينتهك المقدسات الدينية والشرائع السماوية والآداب العامة والقيم القومية ويثير الفتن ويزعزع تماسك وحدة الأمة التى هى الركيزة الأساسية لبناء الدولة، ويضع على عاتق من نشروا هذه الرواية دون استطلاع رأى أهل الاختصاص المسئولية الكاملة عن هذا التجاوز والآثار المترتبة عليه دينيًا واجتماعيًا وذلك على النحو الموضح تفصيلاً بالتقريرين المقدمين من عضوى مجمع البحوث الإسلامية المشار إليهما.. والله ولى التوفيق.

شيخ الأزهر: الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوى

تحريرًا فى ١٣ من صفر ١٤٢١هـ الموافق ١٧ من مايو سنة ٢٠٠٠م

ونحن كمسلمين: لا نتوقع (إنحسار) هذه الموجة بشكل عاجل أو نهائى ولا نحسن الظن كله بكل من قال أو برر أو لطَّف من وقع (الفاجعة) وكان يملك فى الأساس (المنع والتحريم) غير أننا بالضرورة فى أشد وأمس الحاجة إلى إعداد (سباحين) مهرة يستطيعون التصدى للأمواج (العاتية) بل والرسوِّ على شاطئ الأمان بدلاً من أن نبكى الأطلال فلم يعد إسلام المسلم لنفسه

وحسب ـ بمعنى إسلام وجهه لله تعالى والنطق بالشهادتين - بل إن إسلامه مع هذا الاعتبار هو (تحدٍ) للقوى العلمانية التى تحاول بكل طاقاتها (انتزاع الإيمان منه) وتجريده وتفريغه من (محتواه) الدينى ولكن الذى يجب أن نتنبه له هو أن الذى (أطمع) هؤلاء (المأجورين) هو ضعف إيمان كثير من المسلمين الذين تكاسلوا عن أداء الفرائض و العبادات واستحلوا أكل الربا والزنا، وبعضهم يُقبِل بكل بساطة ورضا على النظر (للراقصات والعاريات وبائعات الهوى والجنس) مما أوجد طموحًا (علمانيًا) للغزو والاقتحام ولم يتورع أحد منهم بمجرد (وجود الفرصة) كما قلنا خاصة وأن الأموال جاهزة ومعدَّة، هذا مع وضوح النوايا السيئة لأصحاب الاتجاه (العلمانى الملحد) الذى ينكر كل ما يتصل بالدين والجرى وراء النظريات الهدامة التى جرَّت على أهلها الشر والضياع والجوع، والحق أن هذه النزعة (العلمانية) بدأت (بدائية) وهزيلة وكان أربابها آنذاك يلهثون خلف إقناع البسطاء من المنتسبين إلى الأدب والفكر لأن الأدب فن وإحساس وبأن هذا الفن هو فى ذاته (إبداع) ولا يجب أن يرتبط بمعتقد أو دين فابتكروا مقولة (الفن للفن) حتى لا يجرَّم (فنان ساقط أو فنانة ساقطة) وبما أن الفن للفن فلا يخضع لأى إطار خلُقى أو تربوى، فلا مانع من ظهور المرأة العارية والفنان العارى ولا حرج على لقطة (محرَّمة) فى فيلم سينمائى أو (قبلة حارة) أو حتى (ممارسة الجنس) ما دام ذلك فى إطار الفن للفن، وتناسوا تأثير ذلك على الأخلاق وتدمير الفتوَّة فى الشباب بل ونزع الهوية الدينية وإعداد توليفة جديدة من المجتمع المتشرِّد الغير محترم، وعلى كل حال فإن (الإلحاد الدراكولى) أبدى نواجذه فى غير سابقة قبل هذا الوقت الذى تم فيه (فتل

العضلات العلمانية) التى يجب أن يكون الرد عليها مساويًا لهذه الشراسة وتلك (الدراكولية) الدامية وإذا كان أعداء الإسلام يظنون أن شبابنا قد (انجرفوا أو انحرفوا) مع التيار الجديد فإن هذا لن يكون والدليل على ذلك ما حدث من رد الفعل المباشر والذى لم يخطط له إلا بدافع الإيمان والغيرة على الدين، وحاش لله عز وجل أن نتولى الدفاع عنه بقطع ألسنة (الحيدر والسلمان والأفوكاتو وعديمو الصلاح والشيخة البنجلاديشية وغيرهم). فهؤلاء (كتل مرضية) تحتاج إلى (تعقيم الأجواء الإسلامية منهم باعتبارهم عبوات من النجاسة لابد من إحراقها) هذا وقد ازدادت الصحوة العلمية إذ من الملحوظ إن كثيرًا من المسلمين باتوا يتصفحون الأوراق ويراجعون المواقف لوقف هذا الزحف الكافر، بل إن كثيرًا من أهل الغرب بعد إعلان (إهدار دم السلمان الغير راشد) أخذوا يوجهون الاتهامات للإسلام والمسلمين ولكن بعضًا منهم حاول قراءة الإسلام ليرى حب المسلمين الجارف لهذا الدين فكان أن هداه الله للدخول فى هذا الدين العظيم، وكما يقولون: (رب ضارة نافعة) ولم تجلب لهم هذه الولائم إلا العار فى الدنيا والخزى فى الآخرة، وصدق الله العظيم القائل: ﴿ **وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ** ﴾ سورة محمد الآية ١٢.. ..

فى أى شـــيء أمـــام الله قـــد عـــدلوا وكـــلهم كـــاذب قـــالوا ومـــا فعلـــوا

هـــذا جبـــان وهـــذا بـــاع أمتـــه وكـــلهم فى حـــمى الشـــيطان يبتهـــل

مـــن يـــوم أن مزقـــوا أحـــكام ملـــتهم وثـــوبنا الخـــزى والبهتـــان والزلـــل

عـار على الأرض كيف الزور ضاجعها كيف استوى عندها الكذَّاب والرجل

يـا وصـمة العـار هـزِّى جـذع نخلتنـا يسَّاقـط الـقهر والإرهـاب والـدجل

لم يبـق شـيء لنـا مـن بعـد مـا غربـت شمـس الـرجال تساوى اللص والبطـل

لم يبـق شـيء لنـا من بعـد مـا سقطت كـل القـلاع تسـاوى السـفح والجبـل

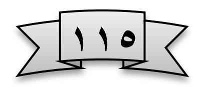
مـن أيـن تـأتى لوجـه الـزور مكرمـة وأنهـر الـملح هـل يطفـو بها العسـل

ويـل.. للجيوب الفارغة..

يـتراءى لمعظـم رجـال الأعمـال والاقتصـاد أن عوامـل النجـاح الاقتصـادى والتجـارى المتمثـل فى إنشـاء المشـروعات الكبـيرة والمصـانع والشـركات المتميـزة وسـوق العـرض والطلـب وحسـابات الجـدوى وغـير ذلـك مـن الأمـور الهامـة الـتى تساعد على الرواج وتوفير رأس المال والأرباح والتحكم فى سوق المال والإنتاج هـى العوامـل الـتى (ترسِّـخ) قواعـد العمليـة الاقتصـادية كمـا أنهـم لا ينظـرون إلى الثروات على أنها (سيولة الأموال) وحدها بقدر ما يرسمون لها (تصوُّرًا) أوسع كحيازة الأراضى الشاسعة والعقارات والمزارع والمدن الصناعية ومزارع الأسماك بل وأقفاص (عصافير الكناريا) وأكوام (القمامة) التى يمكن الاستفادة منها بعد (التصـنيع) كمـا هـو حاصـل الآن فى الـبلاد الأوروبيـة.. فالمشـروعات كثـيرة والأحلام أكثر وتلك هى الملامح التى يحاول رجال الاقتصاد من خلالها رسم الصورة الحيَّة للمجتمعات الاقتصادية والتسلل إلى كل سوق ودولة وبيت مما تسبب فى ظاهرة (الضـجيج) الصـناعى والتجـارى إلى حـدِّ الحـرب الاقتصـادية (العالمية) المتوقعة.. فالدولة صاحبة الاقتصاد الناجح هى الدولة السائدة وهى أيضًا (صانعة القرار) فى كل خصوصيات العالم حربًا أو سلامًا ثراءً أو فقرًا علوًا أو انخفاضًا.. مما حدا بإسرائيل أن تصنع لنفسها (برنامجًا اقتصاديًا) تبتلع به دول المنطقـة الـتى لم تقبـل أى تحـدٍّ واكتفـت بـأن تضـع رأسـها فى الرُّغـام، والاقتصاديون يعلمون أنهم (فوق القمة) وأن الحكومات تتودَّد إليهم لاستدرار عطفهم باعتبارهم (جنود الإنتاج والثروات) ومؤسسو النهضة الحقيقية للتنمية وإداريو حركة (التحدِّى) القادم ومحرِّكوا (الموتور) الإنتاجى الذى لا يهدأ ولا

يتوقف ويبدو أن (عجلة الإنتاج) إذا توقفت مات الجميع !. ولم يعد الاقتصاد الآن يسير بخطىً وئيدة حذرة كما كان فى الماضى ولكنه أصبح ينطلق كالصاروخ باحثًا عن الثروات والقطاعات والقارات التى يمكن بث روح الإنتاج والتبادل المباشر للمنافع من خلالها وعقد الاتفاقيات والشروط المسبقة لقيام المؤسسات.. وأمام هذه (العملقة الاقتصادية) العالمية نشأت فكرة (الجات) وفتح الأسواق العالمية الجديدة وأخذ الأمر شكلاً وتصوُّرًا ومضمونًا مختلفًا عما كان عليه فى السابق فالخريطة الاقتصادية بمساحتها الكبيرة ليست فيها موضع لقدم دولة فقيرة أو نامية أو كسولة – رغم هذا – فضلاً عما يسمى بدول العالم الثالث والأخير الذى لا يستطيع صناعة (وابور غاز) أو ابتكار دواء للعلاج إلا بإذن وتصريح مسبق من إحدى الدول الكبيرة.. هذا العالم الذى غفا غفوة فاستحق بسببها الهوان (والجلد على الظهور العارية).. ويخيَّل لرجال الاقتصاد هؤلاء أن السماء ما دامت تمطر والأرض ما دامت تزرع فلم يبق بعد إلا (عمل الجداول واتخاذ القرارات وإعداد العمالة وتوفير الآلات الإنتاجية والصناعية والسلع والبضائع والإعلان عن (المنتج) المصنَّع (عالميًا) من إحدى دول العالم الأول.. ولا غرو فى ذلك فهم لا يضيعون نقطة عرق بدون فائدة !. وهم لا يقومون بهذه الحركات (الهيستيرية) التى (يحكُّون) بها مؤخرات رءوسهم بأطراف أصابعهم يأسًا من هذا المسمَّى بالتفوق والتقدم وإذا كان الاقتصاد فى جميع دول العالم يقفز قفزات واسعة ويخطو بخطوات ثابتة وواثقة فإن هذا لا يعنى مجرد حالة (انتعاش اقتصادى) وظهور رأس المال الحرِّ ولكنه فى الواقع محاولة لإرغام أنف الشعوب المتأخرة على الانصياع والتسليم وكان من حق

الدول الصناعية خاصة الكبرى أن تقول كلمتها فى المحافل الدولية ولا يجب أن تُنَازَع أو يُرَدُّ لها رأى أو يُناقَش لها فكر معين واتفق المعسكر الغربى والمعسكر الشرقى على تقسيم (الفريسة) إلى نصفين متساويين فالأول رفع شعار (الرأسمالية) والثانى رفع شعار (الاشتراكية).. أما الأول فحاول توجيه الأنظار إلى ضرورة العمل والإنتاج الحرِّ دون النظر إلى أى مقوِّمات (أخلاقية أو قيمية أو حتى ميثاق شرف) وقام هذا النظام الرأسمالى بوأد أى فكرة أو طموح لدى الدول الصغرى التى تحاول التأهب لإصلاح اقتصادها والجلوس مع الكبار على (مائدة واحدة) إلا بشروطها ومعاييرها الخاصة ورفعت شعارًا مختصرًا ولكنه معبِّر عن الأهداف (المرجوَّة) لتلك الدول الكبرى (صاحبة السيادة) مثل: دعْه يعمل دعْه يمُرّ، دعه ينتج دعه يمر.. ولابد أن يمر وهو (مغمض العينين) ؟! وجوهر هذا النظام وهيكله العام يقوم على (التعامل الرِّبوى) مركَّبًا كان أو غيره حتى إن (المنظِّرين) فى الشرق والغرب لم يستطيعوا وضع (قرارات) متوازنة أو مُنصفة كما أنهم لم يفكِّروا لحظة واحدة فى تقديم أى مساعدة بدون فائدة (مزدوجة) وازدادت ثروات الأغنياء وأصبحوا فى ترف ممقوت بينما ازدادت حاجة الفقراء والمعوزين مما ألجأهم إلى فرض القيود وتمييع كل القرارات والقوانين الكفيلة برفع مستوى المعيشة للفرد داخل أوطانهم .. ثم أنشىء (صندوق الدنيا) أقصد (صندوق النقد الدولى) ليمدَّ يد العون للدول النامية ولكنه استغل دوره فى إذلال الشعوب وإخضاعها لميول مؤسسيه وأهوائهم وأصبحت الحكومات تلهث خلف هذا المسمَّى بـ (صندوق النكد الدولى) كما يحلو للبعض أن يطلق عليه.. كما قيل:



ومن نكد الدنيا على الحرِّ أن يرى عدوًّا له ما من صداقته بدٌّ

وهذ المعسكر الغربى لا يصارح أحدًا بالحقائق كما لا يبالى بالنتائج لأنه قوىٌ بماله وسلطانه ومنتجاته وسلاحه فهو يستورد منا (الخامات) ليقوم (بتصنيعها) ثم بيعها لنا بأعلى الأسعار ولا مجال لمناقشة (التسعير) أو التحكم فى الاختيار ؟. وتأتينا نحن دول العالم الثالث والأخير الأوامر باستقبال (الشاحنات والسفن) وفتح الموانئ والمطارات أمام البضائع الأجنبية والتوقيع على (الفاتورة) !.

ومما زاد من بريق ولمعان الدعوة إلى الرأسمالية هو عدم تدخُّل الحكومات مباشرة فى إصدارات مضادة أو إجراءات (جوهرية) لتحديد المصنَّف أو المنتج أو الميكنة بل إن الشركات والمصانع هى التى تفصِّل القرارات على قدر إنتاجها الاقتصادى أو السِّلعى وأقصى ما يمكن عمله لدى الحكومات هو فتح الأسواق وتحصيل الضرائب وتمويل (الشركات) عند الإفلاس وكذلك عمليات (التأمين والتقنين) ووضع الضوابط لدفع الضرائب وتيسير إجراءات التوزيع عالميًّا ومحليًّا..

أما فلسفة (الاشتراكيين) والشيوعيين فى الإنتاج فيقوم على أساس (مادى) لا دينى يجعل من (الاقتصاد) إلهًا متوَّجًا على هذه الأرض وهذا يتطلّب كشرط أساسى نزع تاج إله السماء الذى كان يغطى ظهر الأرض بظلِّه كما ورد فى كتاب (نصوص حول الدين) الذى قام بتأليفه أحد الشيوعيين (الماديين) الذى جعل الاقتصاد إله ثورة الماديين كما أنه يؤيد ما صنعه (البرجوازيون) من تحبيذهم التعامل بالربا ومحاربتهم من يحاربه ويقول: إن السعادة لم تعد وعدًا أسطوريًا كما كانت فى الدين بل أصبحت التزاما اقتصاديًا ويخصُّ العامل

بفحوى هدفه قائلاً: أيها العامل كلما ازداد إنتاجك ازداد استهلاكك وازدادت بذلك سعادتك وهذا ما يميِّز الاستهلاك المشهدى عن الدين إعطاء الثواب فى العاجلة لا فى الآجلة ؟. الجنة لم تعد فى السماء بل فى المخازن وويل لأصحاب الجيوب الفارغة ؟! وإذا كان الماديون الشيوعيون أنكروا الألوهية فهم أيضًا أنكروا النبوة والأنبياء ومن ذلك قول أحدهم: (أعطى الأنبياء شيكًا بدون رصيد لتزييف مطلب الإنسان فى عيش السعادة) ويقصد بذلك بالطبع أن وعد الأنبياء بنعيم الجنة يعتبر شيكًا بغير رصيد لأنه لا توجد آخرة فى نظرهم أصلاً وتلك مغالطة صارخة فكل الأديان لا تمنع العمل للدنيا بجانب العمل للآخرة بل تحض عليه وللإسلام فى هذا أوفر نصيب حيث قالﷺ: ﴿ **إن هذا الدين متين فأوغل فيع برفق ولا تبغِّض لنفسك عبادة ربك فإن المنبتّ لا أرضًا قطع ولا ظهرًا أبقى فاعمل عمل امرئ يظن أنه لن يموت أبدًا واحذر حذر من يخشى أن يموت غدًا** ﴾ أخرجه البيهقى فى شُعَب الإيمان والسنن ورواه العسكرى عن أبن عمر، وليت الأمر يقف عند هذا الحد من التجنِّى على جوهر الإسلام ذاته من أنه دين معادٍ للعلم وأنهما معًا خصمان متلازمان ولا يمكن التعايش بينهما من ذلك قولهم: (قضى الدين على التعايش فى انسجام بين الإنسان والعلم) وتجاهلوا تمامًا حضَّ القرآن جميع البشرية على تحصيل العلم وتعظيم شأن العلماء كقول الله عز وجل: { قل انظروا ماذا فى السماوات والأرض } الآية ١٠١ سورة يونس، وقوله تعالى: ﴿ **إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ**﴾ الآية ٢٨ سورة فاطر، وقوله أيضًا: ﴿ **وَمَا يَعْقِلُهَا إِلاَّ الْعَالِمُونَ** ﴾ الآية ٤٨ سورة العنكبوت، وكذا { **قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ**

لاَ يَعْلَمُـونَ ﴾ الآيـة ٩ سـورة الزمـر.. كمـا تجـاهلوا عمـدًا أحاديـث رسـول الله "ص" فى الرفع من شأن العلم والعلماء كقوله ﷺ: ﴿ **من ظن أن للعلم غاية فقد بخسه حقه ووضعه فى غير منزلته** ﴾ التى وصفه الله بها حيث يقول ﴿ **وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ العِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً** ﴾]الآية ٨٥ سورة الإسراء..وفى وسط هذه الأمواج العاتية ينقضُّ الماديون على الدين ويربطونه بالرأسمالية ويقولون: (علينا إذن لكى نكون معاصرين لعصرنا أن نمارس فى نفس واحد نقد السماء الدينية ونقـد الأرض الرأسماليـة !. نقـد دور الإفتـاء ودور الصـحافة، نقـد المنـابر ودور الإذاعـة) ولكنـا نقـول لهـم: مـاذا صنعتم أيهـا الشيوعيون بـالتنكُّر للأديان وتأليه المـال والاقتصـاد ومـاذا فعلتم للعمـال الـذين وعـدتموهم بجنـان وارفـة الظـلال !. ومـاذا صـنعتم بمبـادئكم الـتى قلـتم إنهـا لإزالـة الفـوارق وتحطـيم التفـاوت بـين الطبقـات وقـد قتلـتم مـن ثـاروا علـى أنظمـتكم الفاشـلة وقـذفتم بهـم فى جليـد سيبيريا وأصبح نظام الطبقات لديكم صورة من أشنع الصور ؟!

ونتيجـة لمـا نـادى بـه الاشـتراكيون مـن ضـرورة التـأميم الشـامل لكـل وسـائل الإنتـاج تبـين أن هـذه السياسـة الرعنـاء أدت إلى هبـوط فى الإنتـاج وإلى كـوارث اقتصادية هائلة مما اضطر خروشوف أن يعترف بذلك عندما قال: إن البقرة التى يملكهـا صـاحبها تـدرُّ اللـبن أكثـر مـن البقـرة الـتى تملكهـا الدولـة وبـديهى فـإن التـأميم مرتـع للكسـالى والمتـواكلين الـذين هـم كـالآلات الـتى تعمـل بغـير إبـداع وتتراخـى بغير همة ؟. أمـا الملكيـة فهـى الـتى تـدفع إلى الإبـداع والتنميـة وإختيـار العامل النشيط وإبعاد العامل الكسول وطرد اللصوص.

وإذ قد بان لنا أن الوقوع فى شرك (الرأسمالية) من جهة ومستنقع الاشتراكية من جهة أخرى قد وضعنا فى أحرج المواقف وهو جمع بين المتناقضين فإنه من اللازم أن يقبل الجميع الجمع بينهما بشكل وكيفية مقبولة فلا مانع من (التملك) لفرد واحد كما أنه لا مانع أيضًا من (الانتفاع) لفرد آخر من ملك هذا الغير ويؤيد هذا قوانين (الإيجار) بين المؤجر والمستأجر فيتم تعميم رأس المال وتعميم المشاركة فى الانتفاع على التأصيل الذى بنى عليه الفقهاء والمشرِّعون ضوابط وشروط (التعامل وتبادل المنافع) وأذكر مقولة لأحد الساسة (البرازيليين) وكان فى مؤتمر اقتصادى ضم العديد من دول أوروبا ودول أمريكا اللاتينية حينما اتُّهمت دولته بالعجز الاقتصادى وكثرة الديون وكساد السوق قال وكأنه يوارى سوأته: صحيح ليس لدينا أرز وليس لدينا قمح ولكن لدينا بيليه وفالنتشيا.. (لاعبا الكرة) وكأنه يريد بذلك أن يقول: إن مبارياتنا مع الأندية الأخرى هى أعظم سوق لتحسين اقتصادكم ولاعبينا اللامعين هم صانعوا هذه الثروات فى الواقع والذى لا يستفيد منها إلا هذه الدول التى اعتادت أن تتعامل بأسلوب (القهر والتبكيت) للدول الفقيرة ؟. ومصيبة الإفلاس من أكبر المصائب التى تقهر الشعوب وتتسبب فى إذلال الأمم !.

ولست أدرى فى الواقع: آلويل للجيوب الفارغة ! أم للظهور العارية ! أم هما معًا ! حقًّا: لست أدرى.. ؟ ! !

ومبشِّر بالصلح قلت: لعلَّه.. خير عسى أن تَصْدُق الأحلام
ترك الفريقان القتال وهذه سِلْمٌ أمرُّ من القتال عُقام
ينعى إلينا الملك ناعٍ لم يطأ أرضًا ولا انتقلت به أقدام

بـــرق جـــوائبه صواعـــق كلُّهـــا ... ومـــن الـــبروق صـــواعق وغمـــام

إن كـــان شـــرٌّ زار غـــير مفـــارقٍ ... أو كـــان خـــير.. فـــالمزار لمـــام

ومسيطرون على الممالك سُخِّرت ... لهـــم الشـــعوب..كأنهـــا أنعـــام

مـن كـل جـزار يـروم الصـدع فـى ... نـــادى الملـــوك وجـــدُّه غنَّـــام

ســـكِّينه.. ويمينـــه.. وحزامـــه ... والصَّولجـــان.. جميعهـــا آثـــام

حكمت المحكمة..

كلمة تهزُّ القلوب والمشاعر، وترتجُّ عند سماعها القاعات والأركان ويدوِّى جرسها فى حنايا الضمائر والسرائر، ويرتَّب عليها تغيير كل شيء فى كل شيء، وهى كلمة القاضى (العادل) الذى يجلس بجواره مستشارين عدْلَيْن فى مجتمع من البشر (خليط) من المحامين والشهود والمتقين والنصابين والصادقين والكذابين كلهم فى حالة من الشغف المشوب بالخوف والحذر أو السعادة والرضا وعندما ينطق بها القاضى تهدأ دقات القلوب من تحقق الأمل أو حتى تحقق اليأس وتطوى الصحف والملفات ويسحب (المحامى) رداءه ويطويه على أحد ذراعيه وتعلو الأصوات بالزغاريد و (يحيا العدل) أو بالصراخ و(يسقط العدل) وينتهى عندئذ طول الانتظار وطيُّ (صفحات الماضى) لتفتح بعدها (صفحات جديدة) فقد حُسِمَ الأمر وبُلِغَ المراد ونفذ العهد وسكتت أصوات وعلت أصوات ودقَّ الناقوس إيذانًا بما يكون.. وتصديقًا على ما كان وهذا هو حال الدنيا على وِفْق ما شاهدنا على مرِّ العصور وسائر الأزمان ودفاتر الأحوال تزخر بآلاف القضايا ومضابط (المحاكم) تحتفظ لنفسها بالأسرار وفى سياق هذه النماذج سوف نرى الدنيا بعين أخرى وفهمٍ آخر فلقد شهدت ساحات المحاكم أغرب القضايا وما زالت تشهد حتى الآن ؟. فمن مشاهدتى فى إحدى الجلسات فى عام ١٩٩٨م إجتمع فى قفص الاتهام قاتل من رشيد ومزوِّر من إحدى القرى بالبحيرة وآخر بتهمة (شيك بدون رصيد) وبدأت المرافعات بأحد المحامين الكبار بدمنهور عن القاتل الرشيدى وكان قد قتل أخويه وعمِّه بسبب قصة حبٍّ بينه وبين ابنة عمه وتحدث (المرافع) لمدة ثلاث ساعات كاملة تناول

فيها سرد أحداث القضية كما تناول كافة الأمور (الفرعية) مع إعداد (ملفٍّ) يحتوى على أوراق هامة كان يخرج بعضها من (الملف) بعناية وعند الحاجة (تدعيمًا) لمرافعته الرائعة والحق أننى لم (أستمتع) فى حياتى بمرافعة أو عرض قضية فى القضاء بمثل ما استمتعت به فى هذه القضية ومن هذا الأستاذ الكبير خاصة ثم توالت بعد ذلك (المرافعات) وكانت تحصيل حاصل وانتهت المرافعات وأغلقت جميع (الملفات) وترك القضاة (المنصَّة) ووجم الجميع وعلا الوجوه كل علامات الخوف والرُّعب فى انتظار (إعلان الأحكام) وبعد نصف ساعة عاد إلى المنصَّة(طاقم الحكم) للنطق بالأحكام فى لحظة (رهيبة قاسية) وعندما قال (القاضى): (حكمت المحكمة) كادت القلوب أن تنخلع وحُكِمَ على القاتل الرشيدى بالأشغال الشاقة المؤبدة.. بينما علا صوته بالسب واللعن فى القاضى والمحكمة وأخذ (المزوِّر) يبكى وهو جالس على الأرض بعد أن حكم عليه بالسجن ستة أشهر مع الشغل والنفاذ..

فى أروقة المحاكم يرى الإنسان كل عجيب وغريب فى شكاوى الناس فمن شاكية زوجها لطلب الطلاق إلى باكية من أجل عدم الحصول على النفقة إلى أخرى تشكو من الهجر والضرب والعكس تمامًا من جانب الرجال !. ولا تكاد العين تقع على منظر غريب إلا لتسقط على مشهد أغرب لرجال ونساء وأطفال ومحامين وقضاة ورجال شرطة وباعة الشاى والمحضرين وشهود من كل لون وصنف.. وأشد ما يجذب الانتباه هو (سماسرة) المحامين ووكلاء المحامين الذين يملئون الأروقة والفتيات الأنيقات اللاتى يحملن (ملفات) العملاء ويتحركن فى كل اتجاه وسط الأصوات المختلطة والأمزجة المتناقضة والمناظر

البراقة وكذلك المناظر التى تجلب الكآبة وعيون الجميع على الحاجب والرول والكل فى انتظارٍ طويل فى يوم طويل بين ضحك وعويل وأصيل وبديل نسأل الله الوقاية والحماية.. من هذا العالم الغريب الذى تولد فى رحمه الأعاجيب !! ..

سعيت إلى أن كدت انتعل الدَّما ... وعدت وما أعقبت إلا التندُّما

لحى الله عهد القاسطين الذى به ... تهدَّم من بنياننا.. ما تهدَّما

سلام على الدنيا سلام مودِّعٍ ... رأى فى ظلام القبر أنسًا و مغنمًا

أضرَّت به الأولى فهام بأختها ... فإن ساءت الأخرى فويلاه منهما

فما عصمتنى من زمانى فضائلى ... ولكن رأيت الموت للحرِّ أعصما

فيا قلب لا تجزع إذا عضَّك الأسى ... فإنك بعد اليوم لن تتألَّما

ويا عين قد آن الجمود لمدمعى ... فلا سيل دمع تسكبين ولا دما

ويا يد ما كلفتك البسط مرةً ... لذى منةٍ أوْلَى الجميل.. وأنعما

ويا قدمى ما سرت بى لمذلَّة ... ولم ترتقى إلا إلى العزِّ سُلَّما

ويا نفس كم جشَّمتك الصبر والرضا ... وجشمتنى أن ألبس المجد مُعْلَمَا

فهذا فراق بيننا فتجمَّلى ... فإن الرَّزى أحلى مذاقًا ومطعما

حتى تعيش.. لا تكن طموحاً..

ثارت فى هذه الأزمنة أمور شغلت الجميع وتسببت فى إحداث صدع فى المجتمع الذى كان جُلُّ حلم المواطن فيه وطموحه لا يزيد عن (توفير العيش والعلاج والمأوى) وغاية آماله الكبرى (أن يطمئن على مستقبل أولاده من بعده) حتى طفا على السطح من غرائب الأمور ما فرَّق بين الرجل وأهله وحفز الأغلبية على الحقد والكراهية !. واستقل كل إنسان ما عنده ولو كان كثيرًا وتساءل العقلاء !! ماذا جرى ؟ وماذا حدث ؟ وما الذى تخبئه الأقدار؟ ولم يطل زمن الإجابة.. لأن الإجابة كانت استخلاصًا من الواقع الذى أصبح برهانًا وشاهد عيان على ما وصل إليه الحال من الضِّعة والضياع؟. إذ ظهرت مجموعات الأغنياء فرادى وجماعات وكثرت الأموال فى أيديهم بغير جهد مبذول أو كفاح مشروع أو مشمول بالحق ولكن وللأسف فإن هذا الغنى تحقق بالنصب والاحتيال على نحو غير مسبوق.. سلع فاسدة.. قوادة.. تزوير وتزييف.. اتجار فى الممنوعات والمحرمات ؟! كما تحقق عن طريق الفن الرخيص والكرة.. وعاد العقلاء ليتساءلوا من جديد.. ما العمل ؟ وما جزاء من قضى عمره متوكلاً على الله وآخذًا بأسباب النجاح ؟. ومتعلقًا بتلابيب الأمل والرضا ؟. وما هو المخرج من هذا المأزق والمنحنى الخطير إذ بإمكان الفرد بعد فوزه فى إحدى المسابقات التى تنظمها شركات الإريال أو المحمول أن يصبح مليونيرًا ؟! وعلى العالِم أن يتسوَّل لأن دخله السنوى لا يساوى (ضربة كرة قدم) للاعب مرموق أو حتى مغمور !. وعلى المهندس كذلك أن يجلس على أحد المقاهى (يلقَّط رزقه)، وعلى الطبيب ان يحمل تحت إبطه (حقيبة) ليعطى (حقن فى

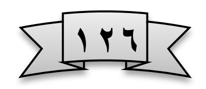
البيوت) لأنه أيضًا لن يصل مستوى دخله السنوى إلى مستوى ممثل يقدِّم لقطة سينمائية تخدش الحياء وتثير الغرائز !. وعلى أصحاب المخازن والمستودعات أن يحوِّلوها إلى مقاهى وصالات بلياردو ودور سينما حتى يتم الحصول على المال الوفير فى أسرع وقت..

قرأت فى جريدة الحوادث الصادرة فى ٢٠٠١/٧/٥م بالعدد رقم ٤٨٣ أن مهندس كمبيوتر مصرى اسمه (أشرف هلالى) يحترف مهنة (اللواط) ويدير شبكة كبيرة من الشباب الشواذ وينفق على لقاءاتهم أموالاً ضخمة وتم القبض عليه وشبكته لمنع احترافهم لهذه المهنة المنكرة ؟! ويعود العقلاء ليتساءلوا: مهندس كمبيوتر ؟ يا للعجب !! هل هو فى حاجة إلى المال والانسجام والانبساط !. هل هو فى حاجة إلى هذا النوع من الإشباع (الشاذ) والذى يجعل إنسانًا يتحول إلى أقل من حيوان بلا كرامة ولا قيمة ! — لا حول ولا قوة إلا بالله — ومع ذلك فقد قامت قيامة (السفلة) من المصريين فى (المهجر) ونظموا مظاهرات بنيويورك ليطالبوا (الكونجرس) الأمريكى بقطع المعونات عن مصر لتدخل حكامها فى منع (اللواط) الذى يعتبر حقًا وحرية شخصية فهل بعد ذلك ابتذال وسوقية وسفالة ولم تخضع الحكومة المصرية لهذه الاملاءات اللاأخلاقية من هذه الجماعة الفاجرة التى أطلقت على نفسها اسم (كتيبة الله رب الجنود) !. واستقذرت المجتمعات هذه الأفعال الخبيثة التى لا تتفق مع أىِّ مبدأٍ أو خلق رشيد!. ولكن لم يكن أحد فى حالة تسمح له أن يفكِّر فى الدوافع التى وصلت بهؤلاء وهؤلاء إلى هذا الحال !. حاولت من جانبى أن أفكر.. وأخذت أفكر حتى توصلت إلى (الغاية التى بررت الوسيلة) كما فى

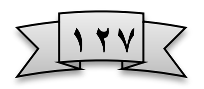
المفهوم النظرى الميكيافيللى فغاية هؤلاء وغيرهم هو الحصول على المال الوفير والثروات الطائلة ولو كان الوصول إلى هذا الغرض غير أخلاقى أو بالأحرى (انحلالى) فهل كان (أورتيجا) فى بنما فى حاجة إلى ثروات وهو المالك الحقيقى للدولة !! وهل كان الأمير الخليجى الذى (أقام ليلة حمراء مع إحدى الممثلات الأمريكيات) بباريس فى حاجة إلى نساء (محرَّمات) وهو الذى أنفق على هذه الليلة (مليون دولار أمريكى) واستأجر الحارس الخاص بالرئيس الراحل (فرانسوا ميتران)، خاصة وأن الدول أصبحت تمهد السبيل لمثل هذه الآثام وتدافع عن المنحلين وتصف غيرهم بالمتشددين مرة وبالأصوليين المتطرفين مرة أخرى ؟!

وأنا أيضًا أتساءل: ألم تكن الممثلة (المفعول بها) تملك مالاً وشهرة وأيضًا: ألم يكن فى مقدور الأمير (الزانى) أن يتزوج بأجمل امرأة ؟! أم أن اللذة فى الحرام أشد والمال من الحرام أوفر ؟!

إن جميع العقلاء يقرُّون بأنه منذ بداية عصر الانفتاح فى بداية السبعينات حدث تغيُّرًا اجتماعىٌّ كبير فى جميع قطاعات الشعب المصرى وتغيَّرت تبعًا لذلك موازين القوى بشكل حثيث وأصبح من المجدى الحديث عن الربح والخسارة والاستيراد والتصدير والتعبئة والتوليف.. وغلبة نزعة رأس المال على أفكار الجميع.. وأصبح العلماء لا يملكون مثل ما يملكه (السبَّاكون وبائعوا اللحوم والأسماك) الذين ارتدوا أجمل الثياب واحتجزوا خزائن فى البنوك لوضع مدَّخراتهم وأموالهم الكثيرة واقترنوا بالمتعلمات والمثقفات والجميلات لأنهم وحدهم الذين يستطيعون (دفع التكاليف الباهظة لجلب السعادة) على الرغم من (جهلهم) وعدم انخراطهم فى القوى المؤثرة ثقافيًا أو دينيًا أو سياسيًا وأطلق



عليهم (الكسِّيبة) فى زمن توارى فيه (الموظف المتعلم) خلف فقره وحاجته وعوزه ؟! وحتى هذا الأخير إذا فتح الله له بابًا من الرزق طمع فيه الجميع وحقد عليه (الجهلة) لأنه جمع بين الفضل والمال مع أن عمره كله كان مسخرًا للكفاح والجهاد وطلب (العيش الحلال)، وغيرُه ما فتئ يرتع ويلعب ويفعل كل شيء فى باكورة حياته وهو الجاهل الذى لم ينفق عليه شيء، وليس هذا الكلام فى الواقع دعوة إلى (نفض الأيدى) عن الأخذ بأيدى (المنتمين) إلى الطبقة (الكادحة) والمبتدئين فى وضع أقدامهم على الطريق الصحيح ولو كانوا غير قادرين على الجلوس مع (الكسِّيبة) ولكنه دعوة حقيقية إلى الالتفاف حول هؤلاء وعدم خذلانهم حتى لا ينقطع دم العافية عن عروق الأمل ليصب فى معين الحياة الإنسانية التى ميَّز الله فيها بين الخير والشر والحقيقة والوهم والنور والظلام !. ومع استبعادى أن يكون (للحظِّ) يدٌ طولى فى رفع الوضيع وانتشال الضال إلا أننى أسلِّم بأن النصيب قدر من أقدار الله تعالى قد يصل بالإنسان إلى ما يتمناه ولا ريب أن الأمانى مباحة فى الإسلام.. ولا عجب فى أن ترى إنسانًا (عاديًا) يصبح فى يوم وليلة (من ذوى الأملاك) بأن يرث ميراثًا أو يُعطى عطية أو يعثر على مال !. وقد حدث بالفعل أن شابًا ورث من عمته أربعين ألف جنيه ورثتها من زوجها ولم يكن لها بعد موتها غير ابن أخيها فتحول هذا الإنسان تحولاً كبيرًا تغيَّر معه مجرى حياته فبنى بيتًا واشترى سيارة والتف حوله الناس.. وآخر أحبته (حماته) فانتقته من ضمن أزواج بناتها لتبنى له بيتًا وتشترى له محلاً ليصبح بعد ذلك من (المليونيرات) رغم أنه كان يكتب اسمه بصعوبة بالغة ثم (خلعت) عليه الألقاب (العظيمة) ونسى الجميع فقره وحاجته حتى هو



أساسًا نسى ذلك لطول النعمة وكثرة (المقربين) مع أنه كان تاركًا لبلده فى الصعيد سعيًا وبحثًا عن (لقمة العيش) !!

ولكن مهما يكن من أمر فليس هناك بديلاً مضمونًا عن النجاح المترتب على السعى والكدِّ والجد فضلاً عن الشرف المتواصل الذى يحظى به العاملون المخلصون وتلك هى الحكمة الإلهية فى أن الجزاء من جنس العمل !!..

إذا قلَّ مال المرء قلَّ صفاؤه ... وضاقت عليه أرض وسماؤه

وأصبح لا يدرى وإن كان حازمًا ... أقدَّامه خير له أم وراؤه

إذا قلَّ مال المرء لم يرض عقله ... بنوه ولم يغضب له أولياؤه

فإن مات لم يُفقَد ولم يحزنوا له ... وإن عاش لم يَسْرُرْ صديقًا بقاؤه

البحث عن عدو..

إذا مزج الماء بالسكر صار (حلوًا) وإذا مزج بالملح صار (مالحًا) وهما متناقضان فإذا اجتمعا معًا فسدا معًا) !. فالتناقض طبيعة الأشياء (المتنافرة) ولا دوام لفاسدٍ أو فاقدٍ لجوهره وحقيقته.. ويختلف هذا عن (التضاد) الذى يظهر محاسنه أو مساوئه اجتماع الضدين (والضد يظهر حسنه الضد) وعلى (فرضية) فصل الحلو عن المالح أو المالح عن الحلو فلابد من العودة بهما إلى (العذوبة) والفطرة الإنسانية (تذوب) فيها الأهواء و (تنساب) منها الأمزجة ويستعدى بعضها على بعض؟. ولا عجب إذن من حدوث (طوارئ) طبيعية تحدث للإنسان عندما (تختلط) الأبخرة والأمزجة داخل (أمعائه) لينقضَّ (المغص و الصداع والضغط) داخل الكيان (البشرى) بشكل طبيعى على جميع الأجهزة (المعديَّة) والدماغية مما يحدث (تنافرًا) طبيعيًا داخل هذا (الكيان) ليكون نذيرًا كافيًا بإعلان الحرب (السرِّية والعلنية) من تصاعد وتفاعل (الأبخرة) المتذمرة داخل (محبسها) لتعلن عن غضبها (الطبيعى) فى صورة (ريح أو ضراط أو غثيان أو جشاء) — عفوًا — لتعود بعدها (الميكانيكا الجسدية) لممارسة دورها الطبيعى بعد هدوء هذه (الثورات المتتابعة) والمعبِّرة عن هذا الغضب العارم !.

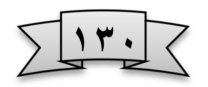
وغالبًا ما يأتى التمرد والعصيان فى صورة (حركية) وإشارات (تمثيلية) تهدف إلى الخروج عن المعهود والمألوف (الطبيعى) تمهيدًا (لصبِّ جام الغضب) والحقد على كل مخالف أو متنافر فإذا ما استبان كلُّ شيء فلا حرج إذن من تدمير (البقايا والتوابع) المعنوية والوصول عند هذه الدرجة يعنى (إلغاء) العقل وحجبه عن (الموضوعية) ويبقى (الهياج والعربدة) عندئذ هى الحل

ولا حلَّ سواه. ولقد شهدت البشرية من المتناقضات والعداوات ما حكاه الناس وأرَّخ له المؤرخون ودوَّنته الملاحم بل أكثر من ذلك فلقد حكى القرآن الكريم طرفًا من تلك العدوات البشرية كما فى قصة (قابيل وهابيل) حيث كانت (حواء) تلد لآدم فى كل بطن (ذكرًا وأنثى) ويتم (التزاوج) بين (ذكر البطن الأولى) مع (أنثى البطن الثانية) و (ذكر البطن الثانية) مع (أنثى البطن الأولى) فكانت أنثى هابيل أكثر جمالاً من أنثى قابيل مما أثار حفيظة (قابيل) فقتل أخاه (هابيل) كما قال الله عز وجل { فطوعت له نفسه قتل أخيه فقتله فأصبح من الخاسرين } سورة المائدة الآية ٣١ فكان هذا أول قتل وضع فى الأرض.. كما تحدث القرآن كذلك عن قصة الأخوين: أبو سلمة عبد الله بن عبد الأسد بن عبد ياليل – وكان مؤمنًا – والأسود بن عبد الأسد – وكان كافرًا – وذلك فى سورة الكهف من قوله تعالى: { واضرب لهم مثلاً رجلين جعلنا لأحدهما جنتين من أعناب }.. وحتى { ولم تكن له فئة ينصرونه من دون الله وما كان منتصرًا } الآيات من ٣١: ٤٣..

كما بسط القرآن كذلك الحديث على أشد أنواع العداوات على الإطلاق وهى عداوة إبليس للإنسان وتلك هى النصوص القرآنية: قال تعالى { إن الشيطان كان للإنسان عدوًا مبينًا } سورة الإسراء الآية ٥٣..

وقال تعالى ﴿ **إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًا** ﴾ سورة فاطر الآية

وشمل الله تعالى ذلك فى قوله جل شأنه ﴿ **وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَائِكُمْ وَكَفَى بِاللَّهِ وَلِيًا وَكَفَى بِاللَّهِ نَصِيرًا** ﴾ سورة النساء الآية ٤٥..

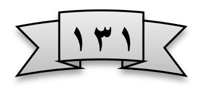


وغيرها من الآيات الدالة على وجود العداوات بين المخلوقات حتى فى يوم القيامة وهذا ما صوَّره القرآن الكريم فى قول الله تعالى ﴿ **الأَخِلاَّءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلاَّ الْمُتَّقِينَ** ﴾ سورة الزخرف الآية ٦٧.. فالمتقون وحدهم هم الناجون.. وما أظن إذن أن المخالب والأظفار بل والآلات القتالة خلقت أو صنعت عبثًا،. بل إن ظنى ذهب إلى أكثر من ذلك وهو أن المكر والخداع والتحايل وغيرها ما وظِّف إلا لإنشاء (العداوات) بين مختلف المخلوقات مع اختلاف أشكالهم وألوانهم وأجناسهم.. ولعله من الضرورى طرح هذه الأسئلة:

- س/ هل للعداوات إرهاصات وضرورات ؟
- س/ وهل بات من الطبيعى أخذ الحيطة والحذر ؟
- س/ وهل من الممكن تجنب العداوات.. وكيف ؟
- س/ وهل نسالم أعداءنا أم نستسلم لهم ؟ وهل نبادلهم العداء ؟
- س/ وكيف لو فرض علينا أن نعادى ؟
- س/ ومن هو المستعدى.. ومتى يستعدى.. ؟

أما عن (إرهاصات) العداوة وضرورتها فالجواب عنها كما يلى:

عندما يقع سوء النية أو القصد أو الفهم فى طرح قضية أو معالجة (حالة) من أى نوع ويتعسَّر الحلُّ يكون هذا بداية (لتسخين) الأجواء والتنقيب عن (المساوئ) وفرض (القوة) ثم الرصد والإصرار على (التنكيل) بالعدو.. القوى بإمكاناته والضعيف بثرواته.. وعند (اشتعال) المواقف وكون الأمر (واقعًا)

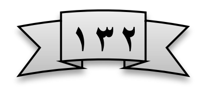


ومحتومًا فإن طبول (الحرب) تدق وتدبّ المعارك ويتسع الخرق ويأكل الأخضر واليابس وتزول قوىً وتنشأ قوىً أخرى من جديد..

أما عن السؤال الثانى فطبيعى أن يأخذ (العاقل) حذره من الذى يتوقع منه (العداء) ويحتاط لنفسه حتى إن (عُودى) استطاع الدفاع عن نفسه.. أو على الأقل (تخفيف) الخسائر وتحجيمها..

أما عن إمكانية تجنب (العداوات) فهذا مفهوم العقلاء وهو يساوى تجنب (المضار) لعدم جلب الأمراض.. وإن كنت لا أتوقع (النجاة) بشكل كامل.. وعلى (العاقل) أن (يعطى) لنفسه مساحة (نفسية وإيمانية) يتقبَّل فيها الأذى أو العداء حين وقوعه إن وقع وهذا أمر نبَّه إليه القرآن الكريم حيث قال تعالى: ﴿ **وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ**﴾ سورة محمد ﷺ الآية ٣١.. أما منطوق القرآن الكريم عن مسالمة الأعداء فهو مشروط بهذا الشرط ﴿ **وَإِن جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ العَلِيمُ** } سورة الأنفال الآية ٦١.. فمسالمة من سالم (ضرورة) إسلامية بما أن الإسلام دين السلام والسلامة.. وهو من أسماء الله عز وجل.. ولا يجب أن نستسلم للأعداء لأن الاستسلام (مهانة) والإصرار (كرامة) وفى ذلك يقول عز وجل: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ** ﴾ سورة الأنفال الآية ٤٥.. أما أن نبادلهم العداء فهذا هو (المصير) الذى تؤول إليه المواقف عند مفترق الطرق..

أما لو فرض علينا أن نعادى فى الحال أو فى المستقبل فإن أول ما يجب (التنبُّه) له هو سرعة العودة إلى الله تعالى وحسن الظن به وشحذ (الهمم)



والاستغفار.. ثم (استنفار) جميع القوى ووضع الخطط (الملائمة) للصد والرد والكر والفر.. ونبذ التنازع والاعتصام حول لواء واحد (لجمع الشتات) وإعداد (المؤن) وبذل المهج وعدم التردُّد.. وضرورة (الثبات) وهذا قمة الأخذ بالأسباب.. ويبقى السؤال عن (المستعدى) من هو يا ترى.. ومن يكون ؟ إذ أن كل (خصم) يظن أنه (المظلوم والمقهور) فأمريكا ترى أنها (مظلومة) من العرب والمسلمين مثلاً لهذا فإنها (تستعدى) عليهم جميع قوى الكفر فى العالم.. بل (وتستعدى) عليهم (الخونة) وضعاف الإيمان فى بلاد العرب والمسلمين أيضًا رغم أن (أمريكا) قامت (بكشف) سوءتها أمام الجميع حتى (أسالت) لعاب (المراهقين) وبائعى الضمائر.. وإسرائيل ترى نفسها (مظلومة) وسبب هذا (الظلم والقهر) هو أن (العرب والمسلمين) عمومًا والفلسطينيين (خصوصًا) لا يريدون تركها وحدها فى (الميدان) تقتل وتجرِّف الأراضى وتهدم المنازل.. وتتآمر على (الأقصى) وتدير آلة الحرب وحدها ولذا فهى (تستعدى) عليهم (أمريكا) ومن والاها من الكفرة الفجرة وكأن الإسلام هو المطلوب للثأر وللعدالة وللرمى بل (وللمقصلة) وكأن حاملى رسالته هم (المتهمون) وحقًا ما جاء فى قول الحكيم: (رمتنى بدائها وانسلَّت).. وجملة القول وخلاصته أنه من (حقِّنا) أن (نستعدى) أصحاب الضمائر والقيم والأخلاق النبيلة على هذا (الطاغوت) لدحض جبروته وعدوانه وكسر شوكته وتحجيم (قوته).. ومن المرارة أن (يتآمر) بعضنا على بعض ونمهِّد لكل (طاغية) بفرض (جبروته) علينا بمسميات (وقحة) كما نرى ونسمع تحت عباءات (مهلهلة) يقول أصحابها (مكافحة الإرهاب)،

(الدول المارقة)، (محور الشر) وغير ذلك من الاطلاقات التى (شوَّهت) أسماع الجميع مرتدية (أسمالاً) بالية لا تستر عورة..

حقيقة الأمر أن الإنسان عدوٌّ لنفسه – وندر من نجا من نفسه –كما أنه (ناريُّ الطبع) يحب المخالفة ويميل إلى (المجازفة) وإن أخذ هذا أشكالاً وأنماطًا وسلوكيات (شيطانية متمردة) تحرِّكها (الشهوات) مرة.. والأطماع أخرى والأحقاد أيضًا والتكبُّر والتعالى.. فهل كانت هناك ضرورة لحرب استمرت أكثر من أربعين عامًا بين بكر وتغلب فى حرب (البسوس) بسبب ناقة.. ومعارك عبس وذبيان المشهورة.. والمعارك الصليبية ضد المسلمين وإشعال نار (الفتن) اليهودية الصنع الأمريكية التنفيذ الأوروبية القبول.. وما يقال عن الحادى عشر من سبتمبر ٢٠٠١م سوف يرادفه نوفمبر ومايو وأغسطس فتلك (معطيات) الأحقاد ونوازع الشرور.. وما زالت السينما (العالمية) تُعِدُّ بأفلامها (المدمِّرة) العقول لارتكاب الكثير من الجرائم وتَعِدَ بنذير من (الويلات) فى ظل هذا (الشَّره) العالمى والاستفزاز العالمى وقتل الأخلاق والمبادئ.. وشل الحركات والدفاعات الإنسانية.. وربما يسفر هذا الخطأ والصواب عن صلاح الدين أو المعتصم بَيْدَ أن هذا أمر وإن كان حلمًا – بعيد المنال - أو رأيًا أو ضربًا من المحال فإنه يظل حلمًا.. أو حتى وهمًا فهذا زمن الأحلام والأوهام ولأن نعيش حالمين أو واهمين خير لنا من أن نعيش يائسين أو قانطين فربما تكون عودة ضرورية أو ملحَّة ألى الحق حينما يصاب (الأفاقون) بالهلع فقد تغرق المدن وقد تهدم القلاع وقد تحرق (الحصون) وقد تعمى (العيون) وقد يهلك (الظالمون)

وقد يعود المتجبرون والمتمردون.. المهم فى هذا كله أن نظل مع الحلم أو حتى مع الوهم - فربما تلتئم الجراح رغم الصياح:

يا من عدى ثم اعتدى ثم اقترف ثم ارعوى ثم انتهى ثم اعترف
أبشر بقول الله فى آياته {إن ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف}

قال ﷺ **إن أعدى أعداءك نفسك التى بين جنبيك** ﴾.. حتى النفس تبحث عن عدو لتتعقبه وتناصبه العداء رغم أنه –أى الإنسان – هو ملاذها الذى تأوى إليه وتحتمى فيه و الذى برهن كل شيء حوله على أنه قبرها.. وطياتها !! ..

لا زال يومك عبرة لغدك وبكت بشجْوٍ عين ذى حسدك
فلئن بكيت لطالما نكبَت بك همَّة لجأت إلى سندك
لو تسجد الأيام ما سجدت إلا ليومٍ فتَّ فى عضدك
يا نعمة ولَّت غضارتها ما كان أقبح حسنها بيدك
فلقد غدت بردًا على كبدى لما غدت نارًا على كبدك
ورأيت نعمى الله زائدة لما استبان النقص فى عددك
لم يبق لى مما برى جسدى إلا بقايا الروح فى جسدك

البقاءُ للأنصع..

على استحياء قلتها... و على مضض قبلتها لتكون عنواناُ لهذه الفكرة الطارئة على ذهنى.. فعندما يعزُّ المنال للوصول إلى الحق و كأنه محال فما هى تلك الأرضية التى (ينطلق) منها الإنسان إلى مراده و أهدافه أليست هى بالفعل أرضية (هشّة) جرداء لا ينبت عليها زرع و لا يُرىَ عليها إلا (السّراب) ولا يخيم عليها إلا (الضباب) و لأنها كذلك فأىّ ثبات عليها هو الى زوال.. وأى دوامٍ عليها هو إلى انفصال وأى بقاء عليها بقاء.. الأقوياء.. أقصد.. الرقعاااء..

وتلك هى الصورة كما أراها:

فمن خلال قراءاتى و متابعاتى (الحثيثة) للأحداث المحلية و العالمية لاحظت هذا العنوان: (الحرب المنسية) فى مجلة منار الإسلام العدد ٨ السنة ٢٨ نوفمبر ٢٠٠٢ م بقلم الدكتور محمد على العجلة يقول فى بعض سطوره: (فى مطلع العام الماضى كشف النقاب عن استخدام الروس خطة جديدة لتصفية " الشيشان " أطلق عليها " الكنس و المسح " و تقضى هذه الخطة بقيام القوات الروسية بتمشيط ومسح القرى المسلمة التى تمثل أماكن يشتبه بأن فيها مقاتلين والقضاء عليهم فى أماكنهم فلا داعى للاحتجاز).. ثم يقول فى موضع آخر: وطبقًا لـ (جوديت أريناس) المتحدثة باسم منظمة العفو الدولية (فإن العالم تغير منذ الحادى عشر من سبتمبر ٢٠٠١ فمن الأمور التى لاحظناها أن القوى الكبرى فى العالم الآن تبدو أكثر استعدادًا لغض النظر و الصفح عن انتهاكات حقوق الإنسان بسبب دعم الحرب ضد الإرهاب والتى يبدو أنه يترجم فى صورة عدم المبالاة لمعاناة الناس فى العالم وأخصّهم الشعب

الشيشانى الذى سجلت فى حق نسائه و أطفاله الآلاف من انتهاكات حقوق الإنسان ... .).

تعليق: عندما نبذ العالم الشيوعية ثم حدث الانهيار و تفككت دول (الاتحاد السوفيتى) واقتلعت كل النظم (اللينينية و الماركسية) وزعم مفكروا الغرب أن الإسلام هو العدو البديل للشيوعية.. عندئذ لاحظ الشيوعيون أنه لا بديل عن مجاراة الغرب فى هذا الاتهام فاختلقوا أجواء الحرب مع الشيشان (المسلمة والمطالبة بالاستقلال كغيرها من دول القوقاز) غير المسلمة و التى نالت استقلالها بالفعل.. وقامت الحرب ضد المجاهدين الشيشان الذين (جدّدوا) عهد صحابة رسول الله ﷺ فى الذود عن دينهم ضد الملحد (بوريس يليتسن) لعنه الله.. و خادمه (فلاديمير بوتين) لعنه الله و هو الآن على سدّة الحكم الظالم فى بلاده باقيًا فيها ما بقى الظلم والإلحاد (ورحم الله المجاهد الرئيس جوهر دوداييف والمجاهد الرئيس أصلان ماسخادوف والمجاهد الرئيس بندر باداييف) وكلهم لقى ربه مجاهدًا فى سبيل دينه وأمته وأمدّ الله الشعب الشيشانى بالنصر[1]..

وجاء تحت عنوان (جناية هوليود على العرب و المسلمين) بالعدد ١١ للسنة ٢٧فبراير ٢٠٠٢م ما يأتى: " إذا كانت هوليود تسعى اليوم الى تحسين صورة الولايات المتحدة لدى العرب و المسلمين فإنها كانت و لاتزال حاضرة لدى المسلمين من خلال تأثير هوليود " المدمّر " سواء كان ذلك فى تشويه صورة المسلمين أم فى بث رسائل هدامة أخلاقيًا مما يتعارض مع الثقافة الاسلامية) كما جاء فى معرض الحديث عن الخطة الجديدة !!

(١) وهناك إشارة الى ذلك فى مطلبه فى مقال: كابوريا النوايا الحسنة.

وفى أواخر الثمانينات بدأت عمليات التحضير لإبراز صورة (العدو الإسلامي) بوصفه بديلاً للشيوعية فكانت أفلام (المنتقم) ١٩٨٦م.. و(الموت قبل العار) ١٩٨٧م.. و (سرقة السماء) ١٩٨٨م حيث يأتى العدو العربى الإسلامي الخارق ممتلكًا (أسلحة تدميرية) شاملة يهدد بها الأبرياء فيتدخل الغربى الطيب المدافع عن حقوق الإنسان لتخليص البشرية من شرور أولئك (العرب الغلاظ).. و قد تبنّى (هنرى كيسنجر) وزير الخارجية الأمريكى الأسبق مع غيره من المفكرين اليهود فكرة (صدام الحضارات) بين الإسلام و الغرب عندما صّرح فى سنة ١٩٩٠م (إن الجبهة الجديدة التى على الغرب مواجهتها هى العالم العربى والإسلامي باعتبار هذا العالم هو العدو الجديد للغرب...).

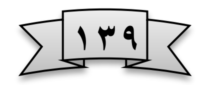
تعليق: لم تعد اللغة السينمائية الآن لغة حركة و بطولة بقدر ما أصبحت لغة سياسة و حرب نفسيه بفضل براعة اليهود فى إدارتها و إقناعهم لزعماء الغرب بضرورة (تسييس الفيلم السينمائى) لخدمة جميع الأغراض السياسية و المالية للاستحواذ على مقدرات الشعوب و تفصيل حكام يليق بهم الدخول فى (حلّة) وبزّة (الزّى الأمريكى).. كاوبووى.. و نقلاً عن محطة سى. إن. إن (الإخبارية): [أن ظاهرة تنامى تجارة الرقيق من النساء حول العالم لاستخدامهن فى الأعمال الجنسية المحرّمة آخذة فى الازدياد و قد أكد التقرير بناءً على أبحاث قام بها فريق من جامعة (هوبكنز) الأمريكية أن هناك ٢ مليون امرأة و طفلة يتم بيعهن عبيدًا سنويًا ويشير الى أن ١٢٠ ألف امرأة من أوروبا الشرقية (سابقًا) يتم تهجيرهن إلى (أوروبا الغربية) لهذا الغرض الدنئ.. و أن

أكثر من ١٥ ألف امرأة يتم إرسالهن الى الولايات المتحدة و أغلبهن من المكسيك.. و تباع المرأة القادمة من دول شرق آسيا بأمريكا بـ (١٦) ألف دولار ليتم استخدامهن فى تجارة الرذيلة و حانات الخمور و أن ٢٠٠ ألف فتاة من نيبال يتم بيعهن عبيدًا فى الهند سنوياً فيما يتم إجبار ١٠ آلاف فتاة من الاتحاد السوفيتى المنحل على ممارسة الفاحشة ... ...].

تعليق: من المفارقات العجيبة أن يكثر الهمز و اللمز عن الجماعات (المحافظة) فى كل دول العالم و يبدو أن العهر و الجنس أصبح هو الآخر (لغة عالمية) وما الحديث عن (كلينتون) و عن (مونيكا) ببعيد.. و تقوم الشركات و المتعهدون (اليهود) بعقد الصفقات (الجنسية) بعروض يمثلها (الزناة) على شاشات التليفزيون و حدث و لا حرج.

اعترفت صحيفة (تليجراف) المعروفة بمواقفها (الداعمة) لشارون (سفاح القرن) بأن الشعب اليهودى أصبح يرمز إليه فى العالم كله بهذا الثور الهائج (آرييل شارون)مجرم الحرب المتهم بقتل الفلسطينيين فى (صبرا و شاتيلا) والمتورط حاليًا فى قتل الفلسطينيين مرة أخرى...

وشارون ليس مجرد مجرم حرب بل أنه أحمق لأنه يقول: إن القدس لا ينبغى تقسيمها مرة أخرى و مع ذلك فقد صارت مقسمة بطريقة لم تكن عليها منذ ٣٥ عامًا.. و يعقب محرر الجريدة قائلاً: كنا قد اعتدنا على التنزه و التسوق فى القدس الشرقية و لكن لا يجرؤ إسرائيلي و لا غربى أن يفعل ذلك اليوم.. لقد قامت دولة إسرائيل حتى لا يظل اليهود محبوسين داخل مخيماتهم و الآن أصبحت الدولة كلها مخيمًا للمنبوذين فى العالم.



تعليق: و منذ متى كانت إسرائيل دولة..؟ و حتى بعد أن (منحت) هذا الاعتراف الصهيونى ظهر قادتها جميعًا بـ (بزّتهم العسكرية) ليجعلوا من إسرائيل (ثكنة) عسكرية و سلّحوا قطعان (المستوطنين) ليدللوا للعالم كله بأنها دولة عصابات (مسلّحة) و مهما كان من أمر فهى إلى زوال.

قال (كريس جنيس) المتحدث بإسم الأمم المتحدة فى زغرب: (أعتقد أنه لم يكن هناك مفر من اتخاذ القرار بالتضحية بجميع شباب البوسنة من المسلحين القادرين على حمل السلاح كى يتسنى الوصول الى حلّ سياسى كان قرر فى مؤتمر لندن و هو استخدام السلاح الجوى بشكل واسع بعد أن يكون تم سحب جنود الأمم المتحدة حتى تبدأ الأحداث تتحرك بسرعة نحو نهايتها).. و قال مراقب الأمم المتحدة (دافيدتيتش): (لن ترى هذه الأرض – سربرنيتشا – بعد الآن طفلاً مسلمًا يولد بها كما أنها لن ترى كهلاً " بوسنيًا " يدفن فى ترابها لقد أصبح كل هذا الآن تاريخًا.. لقد انتهى كابوس سربرنيتشا و قد تشتت أهلها فيها كأنهم قطيع بلا راع.. لقد انتصر المعتدى....).

تعليق: مأساة القرن التى ذبح فيها المسلمون فى (البوسنة و الهرسك و كوسوفا) ودفنت " أجسادهم الطاهرة فى مدافن جماعية. واغتصبت أبكارهم و بقرت بطون (حواملهم) ومزّقت أشلاء (أطفالهم) وذلك لأنهم قالوا (ربنا الله) واعتبر هذا سببًا كافيًا فى نظر (المجرمين) الصرب بارتكاب هذه المجزرة التى وضعت أنوف قادة وشعوب العالم فى الرّغام ومازال (سلوبودان ميلوسوفيتش) حيًا يرزق ويحاكم الآن دوليًا بمحكمة مجرمى الحرب الدولية.. وما أظنها إلا كذبة القرن و كذا (مذبحة العدل الدولية) كما لا يزال

(مالـديتش) حـرًّا طليقًـا. لعنـه الله و كـذلك (رادوفـان كـاراديتش) مجـرم الحـرب الصـربى الأكـبر يتحـدى شـعوب العـالم - لعنـه الله - هـذا كلـه تحـت سمـع و بصـر.. [الأمـم المتحـدة – مجلس الأمـن – محكمـة العـدل – لجـان حقـوق الانسـان] واحتلـت قـوات التحـالف الظـالم دولـة (العـراق) بعـد (سـحق) أفغانستان.. بينما أكدّ زعماء (كوريا الشمالية) وقوفهم ضد (أميركا) إن هى حاولـت ضـرب مفاعلاتها النووية مما اضـطر (أمريكـا) للإعـلان عـن استعداد الولايات المتحدة لبحث الموقف (دبلوماسيًا) مع الكوريين.. و مما يلفت النظر أن كـلاً مـن كوريـا الشـمالية والجنوبيـة فى عـداء متواصـل منـذ فصـلهما عـن بعضـهما.. و لكنهمـا اتحـدا الآن عنـدما تفـاقم (التهديـد) الأمريكـى.. وويـل للعرب من شرٍّ قد اقترب فهم على كثرتهم لا يستطيعون (الاتحاد) لمنع و حرمان (الشـيطان الأمريكـى) مـن الاسـتمرار فى احـتلال وضـرب (العـراق) فى زمـن الانحدار و السقوط..ذكرّنى هذا بموقف آخر ملك من ملوك العرب فى الأندلس يبكى على ملكه الضائع فقالـت لـه أمـه: (ابـك كالنسـاء على ملك لم تصنه كالرجال) ولم يتوقف من يومها البكاء ولم تجف الدموع فى المحاجر كلما تذكرنا ضياع الأندلس.. ولم يكد يندمل الجرح أو يجف الدم حتى ضاعت فلسطين.. والآن تُرسـخُ أقـدام الكفـر فى العـراق فـإلام البكـاء: أعلـى التـاريخ ؟ أم علـى الكرامة الضائعة ؟ أم يكون البكاء على كل شيء – إن كان بقى هناك شيء – حيث انه لم يبق لنا شيء نمتلكه – ذا قيمة – نصونه أو نخاف عليه ؟!

(أنا) و (أنت) و الطوفان من بعدنا.. و لو جاء سيل العرم فضع ولدك تحت قدميك.. و لن أبكى معك.. لأنك سوف تظل تبكى طويلاً فى زمن السقوط والانحدار و القتل و الدمار.. يا له من عار !!

أُعصوا الذى يسدى النميمة بينكم   متنصِّحًا و هو السمام المُنْقَعُ..
يزجى عقاربه ليبعث بينكم   حربًا كما بعث العروق الأخدع
حرّان لا يشفى غليل فؤاده   عسل بماءٍ فى الاناء مشعشع
لا تأمنوا قومًا يشبُّ صبيهم   بين القبائل بالعداوة يُنْسَعُ
إن الذين تُرَونَهُمْ خُلاّنكم   يشفى صداع رؤوسهم أن تصرعوا
فَضَلَتْ عداوتهم على أحلامهم   وأبت ضِباب صدورهم لا تُنْزعُ
قوم إذا مس الظلام عليهم   حدجوا قنافذ بالنميمة تمزع

دروس ... و فلوس..

تدور الحياة بالناس دورانًا سريعًا و ترتبط الأحداث فيها ببعضها ارتباطًا و ثيقًا حتى كأن الأزمان (المتعاقبة) تبدو كالأيام وكأن الأيام ساعات يفرض الواقع فيها نفسه على الجميع فيضطر الإنسان لقبول هذا الواقع – المفروض عليه – متأسّيًا بما مضى و مجتازًا لما يحدث و مترقبًا لما يأتى.. و هذا الواقع تتغير تبعًا له كل الأحداث والأفكار.. حتى الثوابت قد يخالطها الريب و الشك عند عامة البشر إلا من عصمه الله عز وجل و قد تبدو الأحداث (عابرة) عند البعض.. بينما هى عند البعض الآخر مختلفة تماما شكلاً و نوعًا و كمًا فقد يقدّم لك – خصمك – بعض الخدمات و المصالح دون دراية أو قصد منه بينما يُقدِم – صديقك – على إيذائك دون أى قصد منه هو الآخر لأن (التركيبة) تبدو فى غاية (التعقيد) وهذا الواقع إن فرض قبوله و انفسح المجال له فلا شك أنه عندئذ يكون كالشعرة التى قد قصمت ظهر البعير أو كالزجاجة التى لا يجبر كسرها.. و استنباط الفكرة لا يأتى إلا بدراسة الواقع.. وإعداد الخطة لا ينطلق إلا بفحص جميع أشكال وألوان وآلية هذا الواقع وعليه تدور (تروس) العمل و تنشط (خلايا) الدوافع و قد يصيب المرء و قد يخطئ فإن البواعث دائمًا ما تنتهى عند وقوع الأشياء وتلك معايير البشر و الإنسانية الجريحة التى – تذوق – المرّ طلبًا للشفاء و توخز بالإبر جواهرها تحقيقًا للراحة و استمرارًا للحياة حتى يأتى المصير.. و الزمن تتكرر فيه الأحداث والشخصيات و لكن بطرق جديدة و أشكال جديدة وأظن أن (هولاكو) أو (جنكيز خان) أو (مارادونا) صور طبق الأصل من أناس سابقين عليهم وهم أصول لمن سيلحق بهم فى

القسوة والطغيان أو حتى (الرياضة واللهو).. كما أن (الشعراوى) و (المودودى) و (البخارى) و (الفلسطينى) صور مطابقة لأصل سابق أو أصول لصور لاحقة – فى العلم و المثل العليا والدين والإنسان فى تركيبة الحياة المعقدة قد يستوى مع غيره من الناس فى الفكر أو المضمون ولكنه لا يدرى بذلك و مفهوم الموافقة و المخالفة أهم ما يميز الحياة البشرية و البشر و إن كان الخلاف لا يجب أن يفسد للود قضية كما يقولون.. وعلى المرء أن يسعى لخوض غمار – قسوة الحياة – ولا يتحسر عند عدم إدراكه للنجاح أو الفوات.

ولكن أتوقف أحيانًا عند مقولة سمعتها من الأستاذ الفاضل – حلمى زين الدين – وكان يعمل أخصائيًا اجتماعيًا بالمعهد الذى كنت أدرس فيه بالصف الأول الإعدادي عام ١٩٦٧م حيث قال: (إن أى مشكلة اجتماعية فى أى مكان أو زمان أساسها المال) وحفظْتُها – أى المقولة –كما هى و بالفعل و جدتها واقعًا فى حياة البشر و الأمم.. فقد تكون قلة المال باعثًا على ارتكاب الجرائم والمحرمات. و قد تكون كثرته باعثًا على التعالى و التجبر على الآخرين و لقد رأيت بعَيْنَىْ رأسى بعض الفقراء الذين اغتنوا وهم (يحقدون) على الأغنياء وذابت كل فئة فى فناء و مجتمع الحياة.. و غابت أمور واضحة و طغت أمور غامضة و استعصى على المرء تقويم ذويه بينما أفلح فى كبح جماح مجاوريه و معانديه.. و غيرّ المال كل المفاهيم و كل الأحداث و عندها صدّقت مقولة أستاذى الواعى و لقد كان لى فى هذا (التغيير) نصيب، ومن هذا الواقع (تغيير) ولم يكن لى يد فى هذه الاضطرابات و الفروضات أو التحولات فمرة وجدت بعض من حولى (يبتعدون) عنى وبعضهم (يتقربون الىّ) وأخرى لاحظت أن

المبتعدين يتقربون والعكس وتساءلت فبلغتنى الإجابة و هى أن واقعى هو الذى تغير و أن حالى هو الذى تبدّل فتبدّل كل شيء تبعًا لذلك وعندها قلت لنفسى: من أجل ذلك ذمّ الله الدنيا وأقصاها وحذر منها أهل الفضل والفهم والحياة كفيلة بتفصيل الأحداث وتصنيف البشر و تحقق لى من هذا الشرح وهذا التفصيل ما لم يتحققق ربما لكثير من أقرانى وأبناء جيلى وذلك عندما سافرت فى نهاية السبعينات الى السعودية وبداية التسعينات الى جزر المالديف وفى آخر الألفية الثانية الى كندا.. وعندما أعود بالذاكرة إلى الوراء أعود فى الحقيقة الى أحداثٍ جسام و أمور عظام ذابت فيها أفكارى وظنونى وواقعى.. فبين متلطفٍ و بين متعسفٍ و بين متأنٍّ و بين متسلطٍ وبين أمين وبين خائن وتقيٍّ ودعيٍّ حتى أنني كنت أبكى – أحيانًا – بكاءً شديدًا وتذرف الدموع من عينى ساخنة لا يسمعنى ولا يرانى إلا الله وحده.. حتى إن زميلاً لى جالسنى ذات مرة وبث إلىّ بأحزانه فقلت له: إنها دروس و فلوس.فعلق قائلاً: فعلاً إنها دروس و فلوس !!

وإن نسيت فلن أنسى الأخ إبراهيم السورى الذى كان يعمل معى فى جبل الريث بمنطقة جيزان بالسعودية حيث توفيت امرأته بعد أن – وضعت – طفلها فحمل جثمانها فى سيارة الى (جيزان) تمهيدًا لاستخراج تصريح بسفر جثتها الى (سوريا) لدفنها هناك وكان قد ترك (الوليد) وأخويه فى (الجبل) مع بعض الجيران السعوديين لرعايتهم حتى عودته من سوريا ثانية. فلما عاد وجد (المولود) قد توفى. فأخذ ولديه وحقائبه و عاد الى بلاده وقال لى وأنا أودّعه والدموع تنهمر من عينيه: لن أنسى أبدًا ما رأيت من قسوة المسئول السعودى بالمستشفى

وامرأتى فى الثلاجة وأنا بين نارين – أولادى فى الجبل – وامرأتى الميتة وظروفى الصعبة ومازالت دموعه تنهمر على خديه فى (مخيلتى) حتى هذه اللحظة.، ومضى الأخ إبراهيم إلى حاله.. ومضت معه الأيام والذكريات.

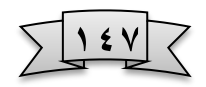
وبقيت فى الجبل أبحث عن مسكن – تأوى إليه الفئران – لأن مسكنًا كهذا يدل على عدم وجود – الثعابين – المنتشرة فى هذا المكان وإذا قلّت واحتجبت – الفئران – فهذا يعنى الخوف وعدم الأمان.

ثم كانت الرحلة الثانية الى جزر (المالديف) بجنوب شرق آسيا فى قلب المحيط الهندى.. و كان الاختيار الصعب و الاختبار الأصعب حين وجدت نفسى مبعوثًا من قبل الوزارة بالمالديف الى جزيرة نائية تسمى (نيفرو) ولم يكن بها أى -عربى-غيرى وأصابتني (الحمى الآسيوية) وخاف الحاكم الثانى للجزيرة الأستاذ (عبد اللطيف عبد الحكيم) علىّ من الموت لتدهور حالتى الصحية بشكل لم يدّع مجالاً للشك فى قرب – ساعتى وأجلى – فأرسل الى العاصمة (ماليه) يخبرهم بسوء حالتى و صادف أن كان وزير الأقاليم يزور الجزيرة فلما رآنى فى وضع سيئ صحيًا توقف بالجزيرة و أرسلنى الى العاصمة على متن السفينة الخاصة به.. ووجدت الزملاء وكانت رحلة العلاج والبكاء الشديد الذى لم أجده فى حياتى.. حيث كنت – أزحف – على الأرض فى داخل المسكن المعدِّ لى.. وعولجت وعدت إلى الجزيرة مرة ثانية لأجد سكان الجزيرة عن بكرة أبيهم يحضرون إلىّ للترحيب بعودتى حتى إنهم قاموا بافتتاح محلات لبيع الفواكه و الخضروات لِماَ بلغهم من حاجتى إليها و أمضيت بعد ذلك ثلاث سنوات فى العاصمة كانت كثيرة المآسى والآلام... ووسعنا الله برحمته و



طويت من صفحات العمر صفحات تداخلت فيها السعادة والتعاسة والأفراح والأحزان والوضوح والغموض و ما شابه.. إن قناعة الإنسان بشئ مالا يمكن أن يكون وليد (الصدفة) أو نتاج (الحدس والتخمين) وهذا بالفعل ما أقنع – المغتربين – بالاستعداد لتحمل المشاقّ والمصاعب فى سبيل الحصول على (الأموال التى يصلحون بها أحوالهم وشئونهم الكثيرة) فلو أن الأمر بيد الإنسان لرفض كل (المشكلات) التى تصاحب أعماله وتشكك فى قدراته.. أو تقلِّل من شأنه أو تضع من عظيم مسئولياته ولعلّ الرحلة الثالثة إلى كندا كانت مع قصرها شديدة جسيمة و كان هذا فى رمضان ١٤٢١هـ ومع نهاية عام ٢٠٠٠م إذ كان معى فيها أحد مشايخ الأوقاف (قارئًا) وكنت (واعظًا) ودارت أحداث كبيرة تحمّلت فيها – شهد الله – ما لا يمكن احتماله حتى كنت لا أنام فى اليوم و الليلة إلا أربع ساعات فقط.. وبقية الوقت موزع بين إقامة الفرائض والوعظ والندوات وكتابة الموضوعات (المستعجلة والمطلوبة) للمركز الإسلامي بإذن من المهندس دكتور سعد الدين الصدفى مدير المركز– فضلاً عن – الفتاوى ودروس التجويد.

أعود فأقول: من الغرابة أن يتلمس الإنسان مطالب السعادة ومواطن الأمان دون أن يدفع لذلك ثمنًا – قل أو كثر – كما لا يعتقد أن أقدامه ستكون راسخة على أرض – صلبة – دون أن يتعثر مرة بعد أخرى ودون أن ينظر تحت قدميه.. فلقد حكى لى صديقى خبير الكمبيوتر وكان يعمل فى الأمم المتحدة أن شابًا طموحًا ترك مصر وسافر واغترب وحصّل – مالاً – وحقق ثراءً كبيرًا ثم عاد إلى بلده ليجد (مشكلة) أسرية متفاقمة حدثت فى



غيابه وأضرت بعافيته و نفسيته وكأن هذه – المشكلة – كانت عقابًا له على سعيه وكدّه وطموحاته.. ولا يمكن لعاقل أبدًا أن يظن أو يعتقد أن يجلب السعادة والراحة بغير ثمن – فلابد من دفع أى ثمن – قد يكون من العافية أو الأخلاق أو حتى من الكرامة.

يقولون فى المثل (الغربة كربة) ومنطقى أن الإنسان لا يحب الغربة ولا يسعى الى (الكربة) ولكن كيف يقدم على ذلك وهو عالم به و بنتائجه – سلفًا – أكاد أجزم بأن الضرورة تدفعه والحاجة تلحّ عليه والمطالب تشغله.. وهكذا الدنيا كلها - نصب وتعب - والله تعالى يقول: { لقد خلقنا الإنسان فى كبد } أى تعب ومشقة ولكن رغم ذلك فإن تحصيل الراحة والرغبة فى جلب السعادة حقًا يستدعى تقديم (تنازلات) مبدئية.. فهل يتصور أحد إطلاقًا أن يصل إلى مراده وأهدافه دون أن يقدِّم بين – يَدَىْ ذلك – ثمنًا وعلى قدر هذا الثمن المقدَّم يكون تحقيق الأهداف والمرامى والإنسان مأمور بالسعى والوعى والإنجاز.. فدروس الغربة أصدق دروس تفيد الإنسان لأنها تجعل المرء (متمرسًا) يستطيع تقييم الأمور والمسائل بشكل دقيق وإدراك كبير وفهم عظيم.. وكما اتفقنا فإن (تروس) الحياة تدور فى (موتور) الواقع لتخطط المناهج وتفتح المجالات وترصد الوقائع والدوافع والنتائج وكلها – أخلاط وأمشاج – تتخلق منها الحقائق حلوة كانت أو مرّة، مجتمعة كانت أو مبعثرة صحيحة كانت أو فاسدة فكم من المرات تستيقظ مشاعر السعادة وتنام مشاعر التعاسة وتتهيأ الأمور لبعض الناس وتحجب عن آخرين، ويتوافق الهوى عند البعض ويتخلف عند البعض الآخر.. وقد يجد الإنسان نفسه فى مكان دون مكان وتتحقق

غاياته فى زمان دون زمان وتتضح صورته مع جماعة دون جماعة.. لذا فإنى لا أنسى فى الحقيقة هذه الفروق الواضحة وهذه الأحاسيس المختلطة فى الريث بالسعودية أو نيفرو و ماليه بالمالديف أو أونتاريو بكندا فكنت أتشكل بكل شكل و أتلون بكل لون فى كل موقع من هذه المواقع وموطن من هذه المواطن.. أليس هذا ما يجب أن يعرض بصدق و أمانةٍ و نزاهةٍ.. الآخرون يرون أن اجتياز الإنسان لمرحلة من مراحل عمره أو حياته لا يفضى بالضرورة إلى غيره ولكن أليس هذا هو الهروب الكبير من الذات؟ والانسلاخ من الجواهر والصفات ؟

إنها فعلاً أمور معضلات و أوهام و ضلالات فالانسان ليس مجرد بنية (جسدية) تأتيها الأمور العارضة دون استفادة أو دون تأثير.. فدروس الإنسان فى حياته عبارة عن سجلات داخل كيانات بشرية.. فهل كان التاريخ يسرد أحداثا غير أحداث البشر ويرسم ملامح لغيرهم !!.. فمَنْ مِنْ غير البشر فهم حقائق الكون وعوارضه و مَنْ (عظّم) صنعة البارى جل وعلا فى هذا الكون ؟

ومَنْ الذى خوطب بالتكاليف وأُلْزِمَ بالطاعة و تحقيق المقاصد ؟ أليس هو الإنسان – الكيان و الجوهر – و الصنعة التى صنعها القادر العظيم (ووصفها و صنفها وخلقها).. فواقع هذا الإنسان هو دافع الحياة فهو بها وهى به وبقاؤه ودوامه هو أيضًا رسالة فما أكثر الرسائل ؟! وما أكثر الحقائق ؟.. وما أكثر الدروس؟.. والفلوس ؟

فـإذا سمعـت بـأن مجـدودًا حـوى   عـودًا فـأثمر فـى يديـه فصـدق

وإذا سمعــت بــأن محــرومًا أتــى   مـــاءً ليشـــربه فغـــاص فحقِّـــق

لـو كـان بالحِيَـل الغـنى لـوجدتنى   بنجــوم أقــطار الســماء تعلُّقــى

لكـن مـن رزق الحجـا حـرم الغنى   ضــدان مفترقــان أىَّ تفــرُّق ؟..

وأحــق خلــق الله بــالهمِّ امــرؤ..   ذو همَّـــة يبلـــى بـــرزق ضـــيِّق

ومن الدليل على القضاء وحكمه   بؤس اللبيب وضيق عيش الأحمق

إن الــذى رُزِقَ اليســار فــلم ينــل   أجــرًا ولا حمـــدًا لغـــير موفَّـــق

والجــدُّ يــدنى كــل أمــر شــاسع   والجــدُّ يفــتح كــل بــاب مغلــق

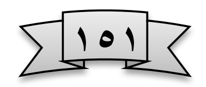
سى السيدة..

لم نعهد على مرّ الزمن أوضاعًا شاذة بمثل أوضاع هذا الزمان ولم نر أيامًا عظيمة الخطر – على ما رأينا – بمثل ما يحدث فى هذا الوقت وما يتجسد أمامنا.. وعلى أعين الناس نالت القيم كثيرًا من الضربات والطعنات.. ولعل – المكاسب – التى جناها (عديمو القيمة) هى أنهم عُرِفوا وانتشروا – وإن كان لا يعنيهم كيفُ الانتشار – ولا (سوء السمعة) أو ضعف الرؤية.. إن كنت أبيح لنفسى أن أقول: إن هؤلاء الذين يدقون (طبول) الحرب على الفضيلة يعتقدون أنهم سينتصرون (ويموّلون) ويفتنون لأن أفكارهم لا تروج ولا يتم تداولها إلا عند (علوج) البشر وحثالة الخلق وشواذ المجتمع.. ولا عجب إذا (غُرِّرَ) بالعقل و (لُعِبَ) بالفكر و استهزئ بالأدب أن (ينحط) المستوى عند (الحضيض) والقاع.. ألا يمكن أن يعود – الحائر – إلى صوابه كعودة (الغريب) إلى وطنه يومًا !!

وألا يجوز أن – يضيق – صدر (المهووس) من جفاء طباعه وسوء خلقه مثلاً ويعود إلى رشده وصوابه !!

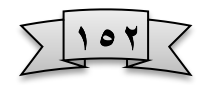
إن إنسانًا يقنعك بالفساد وينافح عن الضلال لهو إنسان جاهل ومارق وخارج عن منهج الله وحائد عن طريق الصالحين والمؤمنين..

ومن غرائب الطبيعة أن (يطالب) كاتب أو روائى (بخلع الحجاب) مثلاً ويعتبره (حجب للعقل) وهل العقل اللطيف الذى لا يراه أحد وضع عليه غطاء (يحجبه) وكيف رآه صاحب هذا القلم الكاذب الذى سمح لنفسه – أن يطلع على الغيب – الذى اختص الله تعالى نفسه وحده بعلمه.. أم أن الحقيقة



المؤكدة أن هذا الكاتب أو الروائى هو الذى حاول – حجب عقله – عن كل فضيلة وصده عن كل أمر ذى قيمة وبلغت الفتنة مداها و (التبجح) غايته عندما وُصِفَ (العلوج) بأنهم (المخلصون) والواقعيون.. والمشّرعون للواقع الجديد.. كما أن من الغرائب أيضًا أن يطالب أهل (المجون) بالسفور والتبذل وإظهار المفاتن ليراها الناس ويتغزلون فيها و يداعبونها بـ (حرية) واطمئنان.. وإلا فالمعارضون هم المتخلفون والمتأخرون ومع هذا فما نتحدث فيه لا يساوى شيئًا حينما نسمع وبإلحاح وحرفية من بعض من زعموا بأنهم – متورطون – أقصد متطورون بأن المرأة (مهضومة) ومظلومة فى مجتمع لا يقدرها ولا يحترمها – هكذا يقال – بل ويجعلونها دائمًا خلف الرجل مع أن القرآن قال كذا و الرسولﷺ قال كذا ويفسرون الآيات والأحاديث تفسيرًا سطحيًا (مختلطا) دون فهم أو علم ويخرجون من (جحورهم) كالجرذان لا يلوون على شيء أو كالجراد المنتشر الذى يأكل الأخضر واليابس.

وكانت البداية فى ثورة ١٩١٩م حينما خرجت المرأة مدافعة عن وطنها وشرفها ومشاركة للرجال فى المظاهرات والتنديد بالاستعمار إلى هنا والأمر جميل ولكن بعد ذلك نبتت بين الأزاهير والرياحين أشواك سامة طالبت بالتحرر وخلع الحجاب.. ولم يحدّث أحد نفسه بشيء فكيف يتحرر الإنسان من الاستعمار الأجنبي ليضع نفسه فى استعمار (انحلالي) وما هو الإشكال الذي سيعوق حركة المرأة إذا التزمت واطمأن قلبها بالحفاظ على أدبها ووقارها وشرفها – إن الأمر ببساطة هو التحدي لأوامر الله لا على ما يستدلون به من آيات وأحاديث شريفة لا يستطيعون استنباط الأحكام منها.. ونصب (قاسم أمين)



نفسه (المدافع عن المرأة) وجهز الكتب والمقالات وصد عن منهج الله كثيرا من (المحافظين) والملتزمين حتى وصل الأمر إلى التغني بالرذيلة وطرح كل (مخلفات) الفضيلة فى (المجارى العمومية) والتخلص منها.

ولما كان الشر كالنار والعياذ بالله انتشر وهجه على كل قيمة فخرقها وعلى كل شرف فأزاله وعلى كل أصيل فزيفه لتخرج (هدى شعراوى) الجاهزة والمعدة للوليمة (الخبيثة) فتخلع الحجاب وتطالب النساء بذلك فيخلعنه ويرمين به فى وجوه (المحافظين وأهل الكمال) وسبحان الله ماذا جنت وصاحبها غير (الحساب والسؤال أمام الله تعالى) وكان الناس وقتئذ من أهل النبل والخير ولكنهم غُلبوا على أمرهم وضاعوا ومن عجب أن يلتزم الكثير من الفتيات والسيدات فى عصرنا هذا والذى كثرت فيه الفتن بالحجاب وارتداء الملابس (المحترمة) أليس هذا دليلا على سوء الفكرة (القاسمية) وسوء النية (النسائية) وأن الله تعالى غالب على أمره.. ومازلت أضرب كفا بكف وأنا أتساءل ماذا صنع (المجددون) حتى الآن هل أضافوا إلى الشريعة ما نقص منها وهل صححوا (مغالطات) وُسمت بها عقيدتنا أو أعرافنا الدينية !! وهل كانت المرأة فى عصر الجوارى والحريم كما يزعمون مقيدة باطلة المفعول وهى التى أنجبت الوزراء والنبلاء والقيادات العلمية هل كانت حماية الزوج لها وخوفه وحرصه عليها – هيمنة وسيطرة– ليس له الحق فى ممارستها؟.. وهل الثلاثية (الغير مقدسة) التي انشغل بها المصريون ردحًا من الزمان جسدت حال المرأة المصرية المحافظة رغم أن زوجها (الطويل العريض) يمارس الرذائل فى حانات الراقصات. هل هذه

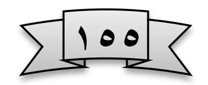
الثلاثيـة (قصـر الشـوق وبـين القصـرين والسـكرية) شـرَّفت الروايـة المصـرية أم شوَّهتها.. سامح الله نجيب محفوظ..!!

أسئلة حائرة حاز مثيروها على الأوسمة والجوائز لأن الله تعالى أراد حرمانهم من ثواب الآخرة. و لينالوا من دنيا الفناء ما شاءوا ومن هى هذه (اللامرأة) التى تحمل (المبخرة) لتطوف بها على (طربوش) زوجها وتردد آيات من سورة الفلق بشكل (مثير) وقالب (فكاهى) لتقول: (ومن شر النفاثات فى العؤد) وليس العقد هل هى فى النص كذلك – أم أن (سى السيد) زيَّف عقلها وحجب فكرها وطمس معالمها وأعاق انطلاقها لتصبح.. رهينة سجينة حمقاء.. لقد صادف هذا الفكر زمنا ترك الاستعمار فيه تراثا من الحقد والكراهية للإسلام والمسلمين فانطلق الباحثون عن الدنيا فى هذا الوقت بالبحث عن كل ما يصلون به إلى المال والشهرة فسافر بعضهم إلى الخارج لينهل من (الإلحاد والفسق) وليعود بعد ذلك وهو يسبح ويمجد بالحضارة الغربية (المنحلة) وينسلخ من أخلاقه ومحاسن قومه ورأينا كيف عالجت الدراما وقتها كيفية معاملة الناس بإظهار الشيخ الأزهري (القاسي) وهو (يتعامل) مع طه حسين العائد من فرنسا بطريقة (قاسية) ليقول له (تعال يا أعمى) بينما أظهرت صاحب (القبعة) الفرنسي وهو ينظر بعين الرحمة لطه حسين فى مسلسل الأيام.. أليس هذا كافيا لإظهار الأزهري فى صورة (قبيحة) والغربي فى صورة (مبجلة) أنا أقول وبصراحة تامة إنها حرب على كل ذي فضل ودين وخلق.. وأعود مرة ثانية لأبحث عن شيء يسمى (سى السيد) أو حتى (السيد سى) ولكن لا أجد له أثرًا إلا فى قصاصات ورقية تتهكم عليه وتحكى أنه كان يوما ما رجلا (ملو هدومه) وأنه

كان (عريض المنكبين، زائغ العينين).. تتهافت عليه النساء وتدور حوله كؤوس الخمر وحلقات الرقص وتصيح إحدى الساقطات حوله بضحكات عالية جنسية فاضحة وهى ترفع الكأس وتقول: فى صحتك يا سى سى السيد ورقصني يا جدع على وحدة ونص (ليلقى المهاب بطربوشه وربطة وسطه ويأخذ بيدها ويراقصها).. أهذا هو التاريخ المصرى للرجل الرجل.

إن أحدًا لا ينكر دور المرأة ولا إنجازاتها بل ولا مسئولياتها ولكننا ننكر المزاحمة فى كل شيء حتى إنها خرجت عن طبيعتها كما قلت لمجرد المزاحمة فرفعت الأثقال ولعبت الكرة وارتدت (البنطلون) ومع ذلك كله فقد أصرت على وضع – المكياج – فهو تناقض إذًا مع النفس والذات والروح.. وماذا لو أن الرجال هم الآخرون زاحموها فى وضع – المكياج وعمل المساج – وأعتقد أنه حدث فعلاً عند قلة ممن نشأوا على أيدى بعضهن. إن امرأة هذا العصر ضحية لأقلام وأفكار منحلة مستعبدة ومولعة بأفكار غربية فقدت معها حسها ومشاعرها وخرجت بهذه الأفكار عن المنطق.

والرجال الآن يهيئون أنفسهم للرحيل عن (الرجولة) وترك منصبها لتحتلها النساء (المسترجلات) واللاتي لا حياء عندهن ولا فهم لديهن وأذكر أن رجلاً حكيما قال مرة: المرأة تطالب الآن بالمساواة بالرجل ولسوف تطالب بعد ذلك بمساواة الرجل بها لأنها مظلومة ومهضومة الخ... وأعباؤها كثيرة ومسئوليتها جسيمة فهى الزوجة والأم والعاملة وغير ذلك.



ولكن من الذى وصل بها إلى هذا المستوى أليس هو الضعف وعدم الدين إن الرجل رجل والمرأة امرأة ولا يمكن لأحدٍ أن يغير من صنعة الله ولا من إرادته.. ومع ذلك فإن المرأة عندما تتبوأ منصبًا عاليا أو درجة كبيرة فهذا شرف لها ورفع لدرجتها ولكن لابد أن يكون ذلك متوافقا مع طبيعتها وقدراتها فإذا ما عينت بالقضاء فليكن خاصًا (بقضاء النساء) و أحوالهن مثلاً لأنها أقدر على فهم واستيعاب الأمور الدقيقة فيما يخص المرأة و ظروفها.. وإذا ما أصبحت وزيرة فليكن هذا فيما تستطيع التحرك فى فلكه بحرية وقدرة وهكذا. أما أن تخرج عن طبيعتها وفطرتها لتصبح (سى السيدة) بالقوة فهذا هو الإخلال بكل شيء وهو أيضًا إسهام كبير فى تهيئة المجتمعات (للتنازع والتفكك).. إنني لا أنسى حينما كنت فى جزر (المالديف) وكنت أرى المرأة تقوم على خدمة زوجها أثناء تناوله لطعامه و تُعدُّ له (حاجاته) وتحترمه وكنت أعلم أن هذه المرأة على فطرتها النقية السويّة التى لم يخالطها (سوء النية أو سوء الضمير) وكنت مرة أقيم فى فندق تديره امرأة بوذية من (سريلانكا) وعاد زوجها إليها من سريلانكا وكان الفندق بجزر المالديف فقابلته عند مدخل الفندق وهو يصرخ فى وجهها بشدة ورأسها منحنٍ أمامها ويداها ثابتتان بجانبها حتى انتهى من ثورته و هدأ فحملت حقائبه – وأعطته حق الزوج الغائب عن زوجته – فرأيته فى مساء نفس اليوم فى حالة من الهدوء والراحة والسعادة فقلت: لقد فعلت البوذية ما لم تستطع فعله غيرها من (إياهن)...

إن الخروج عن المبادئ والقيم الإسلامية يسهم كثيرًا فى إضعاف المسلمين وإذلالهم و (تسويقهم) فى سوق العبيد لأن الخروج عن الأصول والمبادئ خروج عن الدين. فالإسلام كرّم المرأة ورفع قدرها وعظم شأنها وحافظ عليها ولم يقل للرجل: تكسّبْ من ورائها أو ادفعها للرذيلة أو أخرجها من طبيعتها.. والذين يحاولون (علاج) المجتمعات فليبحثوا عن شيء آخر غير المرأة فهى والحمد لله عظيمة القدر موفورة الجناح صائبة الفكر.. رفيعة المقام. وعلى هؤلاء أن يرفعوا أيديهم عن المرأة لأن الأخيرة تعلم أن (المغرّرين) بها يحاولون (غسل مخها والتكسب من ورائها) بترويج الأفكار واختلاق المشكلات.. فكفاهم ما جمعوه من أموال وعقارات وسيارات لم يكن أحد منهم سينالها لولا أنه نصَّب من نفسه شيئًا لا يستحقه ولا يعرفه. بل ولا نعترف نحن به حتى وإن أقنعونا به. لأن الفطرة السليمة لا تتقبل مثل هذه (الترهات) بسهولة وحتى تنهض المجتمعات على حد قولهم فليتركوها تسير على وفق منهج الله عز وجل فيعمل الرجال وتربى النساء ويكدح الأقوياء للأخذ بأيدى الضعفاء.. فهى مشاركة.. ومساواة.. ومودة ورحمة.ولكن بتعاليم إلهية وليس بمحتويات فكرية هشّة..!!.

لواحظنا تجنى ولا علم عندها — وأنفسنا مأخوذة بالجرائر..

ولم أر أغبى من نفوس عفائف — تصدّق أبناء العيون الفواجر

ومن كانت الأجفان حراس قلبه — أذَنَّ على أحشائه بالفواقر

جواز مرور..

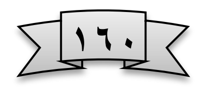
نشأ أبناء جيلنا على حسن الاستماع و حسن الإنصات خاصة عند الملمات والنوائب فكان كبارنا ينظرون إلى (عواقب الأمور) ويقيّمون الأفعال وردود الأفعال بما يتفق مع كل حالة وحالة فإذا ما صادف حدوث شيء (محسوب) وجد حلاً عاجلاً يليق بهذا الحدث.. إنّ وعيًا بهذا الوعى وإدراكًا بهذا الإدراك ليبعث على الطمأنينة والسكينة سيّما إذا وجد (المجتهدون) من يفهمهم ويفطن إلى إخلاصهم واجتهاداتهم.

ولقد انعكس هذا إيجابًا على النشء حيث كنا نتعامل بمواثيق فطرية متفائلة لا نعرف لها أبجديات معينة ولا ننشغل كثيرًا بأى أفكار أو أعمال تستهلك من الوقت أو الجهد ما يكون على حساب مصلحة أو عمل آخر فكانت كلمة (الشرف) إعلانًا كافيًا يرضى جميع الأطراف.. وكلمة (هذا الشئ عندى) رخصة يعطيها (متحمل المسئولية) لصاحب الحق عندما يطالب بحقه من أحد الأشخاص.. ورأيت بنفسى كيف كان الجيران (يستعيرون) أولادهم كل من الآخر إمّا لتناول (الطعام) أو (لحل الواجب) كما كانوا يطلقون أو (الونس) عند غياب أحد أفراد الأسرة الكبار وكان الحىّ كله كأنه (عائلة) واحدة يجوز لأى رجل أن يعتبر أولاد الحىّ أولاده كما كانوا يعتبرونه والدًا.. وكم رأيت آباء الحىّ يولون أبناءه بالرعاية والتوجيه ولا مانع من (عقاب) المخطئ وإنصاف (الجدع) فى مواقف معينة تستهدف (احتواء) الأمور وقضاء المصالح ولا أنسى رجلاً عقد قران بنت جاره على آخر فى غياب والدها (المسافر) إلى ليبيا فنشأ ما يسمى بـ (الحب الفطرى) والاحترام الداخلى.. وهذه

حسابات ضرورية وواقعية لمن أراد أن يعيش فاضلاً ومحترماً بين البشر.. فكم عانت البشرية من (جفاء) الطباع وسوء الأخلاق واللذين يؤديان حتمًا إلى (الانشقاق) والصراع لأن عامل الفعل وردّ الفعل يتنافيان ويتعاظمان ولا ينفك أحدهما عن (مضادّة) الآخر وملاحقته أبدًا وعليه تنشأ الأجيال.. ولقد خفى على الكثيرين أن عوامل الجذب والرفض دائما ما يخضع كل منهما إلى (معطيات) تؤدى إليهما ويظل كل منهما يتعاظم ويتنامى حتى يصلا إلى مفترق الطرق كما أسلفنا.. ولكن لابد من طرح هذا السؤال: هل العودة إلى القديم أفضل أم الاستمرار فى التحدى هو الأفضل ؟ والإجابة عن هذا تتحقق فى (عرض القضايا العربية و الإسلامية) والتى طرحت وقتها فى مجلس الأمن والتى أصبحت تحتل الصدارة فى كل نشرات الأخبار العالمية والمحلية والخاصة بضرب العراق ومحاولة استصدار قرار من المجلس للسماح بالاعتداء على العراق من الجانب الأمريكى والتابع البريطانى بمباركة أسبانية وأسترالية ومعارضة فرنسية ألمانية صينية روسية و (حق الفيتو) وتحدّ جماهيرى عالمى حتى فى الدول إياها للمطالبة بعدم استصدار مثل هذا القرار لاستباحة دم الأبرياء.. وشجعهم على هذا التحدى وقتها التزام العراق بكل مقررات المجلس وليت العراق لم تضع رقبتها فى مقصلة الأعداء فى بريطانيا وأمريكا باحتلالها لدولة الكويت. ولقد رأيت يوم ٢٠٠٣/٣/١٣م صباح يوم الخميس فى نشرة الأخبار شابًا بريطانيا يقترب من سيارة التابع البريطاني (تونى بلير) رئيس الوزراء ولما حاول الحرس منعه ألقى بنفسه تحت السيارة ولكنهم تكالبوا عليه وأبعدوه ولم يحدث هذا من عربيٍّ وإن حدث فلن يترك إلا جثة هامدة – على الأرض – مما حدا بكثير من

المحللين (السياسيين) للقول بأن العالم على حافة الهاوية كما طالب وزير خارجية روسيا (ايفانوف) بتأسيس تكتل عالمى ضد أمريكا كل هذا وغيره وأهل الحىّ العربى والإسلامي انئذ – العراق والخليج – لا يريدون التقدم – ولو خطوة – واحدة للالتقاء.. لغياب (الونس العربي) لأن جميع أفراد العائلة (العربية) غابوا وتفرقوا أيدى سبا.. و لكن مازالت الإجابة – مطروحة – ففى علمنا أن الصوت العربى يعلو ويهبط والكلمة ترتفع وتنخفض وهذا راجع لعدم الثقة ولشدة الضعف لفقدان الصواب حتى إن زعماء بعض الدول العربية (تسابوا وتلاعنوا) فى آخر مؤتمر للقمة العربية فى بداية شهر مارس ٢٠٠٣م ولولا جهود الساسة (المصريين) لوقف (المعارك) لازداد الوضع سوءًا وانشقاقًا.. وضرب المواطن العربى كفًا بكف وهو يقول: لو أننا عدنا إلى ماضينا وراجعنا أنفسنا وانضوينا تحت لواء – القومية العربية – أفلا يكون هذا أفضل من تلك – المهانة – التى وصلنا إليها والذل الذى آل إليه حالنا من جراء (إذلال المارد الأمريكى والتابع البريطانى لنا)..

ولقد سمحنا لأنفسنا – لبعض الوقت – أن نستمع لوزير خارجية إحدى (الدول) العربية وهو ينشر ويذيع اليأس والهلع فى قلوب العرب ويلقى بالروع فى قلوب المسلمين حيث قال: إن أمريكا دولة قوية – بلا منازع – وعلينا مجاراتها والسعى إلى صداقتها حيث إننا لم يعد لنا من المقدرات ما نستطيع به تحديها والتصدى لها وكبح جماحها.. نلاحظ هنا أن هذا (اليائس) نسى إننا أصحاب قدرات ومقدرات عالية نستطيع بها – إن أردنا – أن نتحدى المارد والتابع والمؤيد لتفريق الكلمة العربية والإسلامية وإحراج شعوب وقيادات هذا العالم..

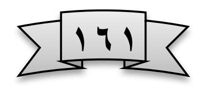


ومن العجائب (الجمّة) أن نسمع إلى وزير إعلام إحدى (الدويلات) العربية هو الآخر ليعلق بصراحة: انه لا يجب العودة إلى مقولة (انصر أخاك ظالمًا أو مظلومًا).. و قال إن العرب لم يعد لهم وجود الآن على الأقل وأن هناك خطر (عراقى) لجميع الدول المجاورة – كل هذا قاله هذا (المتأمرك العربى) وهو يضع على رأسه (غطرة) توارى رأسه الصلعاء و آلمنى قوله: مقولة (انصر أخاك ظالمًا أو مظلومًا) رغم أن هذا حديث عن رسول الله ﷺ وأظنه لو كان يعرف هذا – لاستحيا – أما لو كان يعلم فهو دليل على (التبعية والذل الذى ارتضاه هؤلاء لأنفسهم) وتذكرت عم (شعبان) خادم مسجد الحىّ وهو يقول لأحدهم – فيما مضى: (اللى عند فلان ده عندى) فمنع بذلك (مشكلة) وعاد من كان عليه الحق بالحق لصاحبه إكبارًا واحترامًا والتزامًا بضمان (عم شعبان) خادم مسجد الحىّ فقلت: لم نعد نحلم بمعتصم جديد أو بصلاح دين آخر وليتنا نجد عم شعبان.. الخادم.. الفقير.. ولكنه غنى بالعطاء وكبير بالتفانى لأهل الحىّ جميعًا. وتذكرت أصحاب التصريحات المخجلة و اليائسة فقلت لنفسى:

سجدنا للقرود رجاء دنيا   حَوَتْهَا – دوننا – أيدى القرود

فلم ترجع أناملنا بشئ   جنيناه سوى ذل السجود

وازداد اعتقاد (اليائسين) بأن المارد – الأمريكى – عفريت الجن هو الحارس الأمين على البترول وعلى الحدود وعلى كل شيء فى نفس الوقت الذى قام فيه (الأتراك) بذرِّ الرماد فى العيون حينما رفضوا دخول القوات (الأمريكية والبريطانية) إلى أراضيهم لاتخاذ مواقع عسكرية لضرب العراق بينما هذه القوات تتدفق عبر أراضيهم وتتخذ مواقعها وتنصب صواريخها وتجهز



طائراتها – علنًا– مما أثار شعب دولة الخلافة السابقة فرفض هذا التآمر وهذا التلفيق وعبّر بعض الشباب عن هذا الشعور بإلقاء بعض (القذائف) المحدودة المفعول على إحدى (الثكنات) العسكرية الأمريكية – بتركيا – وقامت فتاة من (فنزويلا) بمطالبة (أمريكا) بالموافقة على (شنقها) فداء لشعب العراق مما أثار الجميع بالخجل ولكن أين أنت يا حمرة الخجل ؟ وأين أنت يا نخوة العرب ؟ بل أين أنتم أيها العرب؟ إن جاز أن نقول: إننا عرب أو ننادى بالأمجاد أو نباهى بالأحفاد.. أما وقد دفعنا بكرامتنا وأموالنا تحت أقدام أعداء الدين مقابل رضاهم عنا وتفضلهم علينا بتعقب وقتل وتدمير عراقنا وَنَجْدِنَا وقدسنا الأقصى.. أما وقد أعطيناهم جواز مرور بدون أى موانع أو شروط أو قيود.. أعطيناهم الأجواء لتحلق الطائرات والصواريخ وأعطيناهم البحار لمرور المدمّرات والأساطيل وحاملات الطائرات وأعطيناهم الأرض ووفرنا لهم كل (المتطلبات).. ذكرنى هذا بقول أحد الحكماء: (مسكين ابن آدم لو خاف من النار كما يخاف من الفقر لنجا منهما جميعًا، ولو رغب فى الجنة كما يرغب فى الغنى لفاز بهما جميعًا، ولو خاف الله فى الباطن كما يخاف خلقه فى الظاهر لسعد فى الدارين جميعًا).. وأعتقد أن (المتصارعين) لم يخافوا الله ولا (همهم) عذابه وتنازعوا ففشلوا وذهبت ريحهم فديست فى الدنيا كرامتهم ومحيت فيها بركتهم وعُلقت فى الهواء آمالهم.. فلم ينفعهم مال ولا سلطان ولا أهل ولا خلاّن ولا إنكليز ولا أمريكان ولن يمنعهم أحد من عقاب الرحمن..

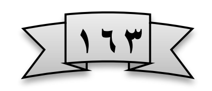
ولقد روى أن النبى ﷺ ضرب للدنيا مثلاً ولابن آدم عند الموت كمثل رجل له ثلاثة أخلاء فلما حضره الموت قال لأحدهم:



قد كنت لى خلاً مؤثَرًا و مكرَّمًا قد حضر فى من أمر الله ما ترى فماذا عندك؟ فيقول: هذا أمر الله غلبنى عليك لا أستطيع أن أنفّس كربتك ولكن هأنذا بين يديك فخذ منى زادًا ينفعك..

ثم يقول للثانى: قد كنت عندى آثر الثلاثة وقد نزل بى من أمر الله ما ترى فماذا عندك ؟ قال: هذا أمر الله غلبنى عليك ولا أستطيع أن أنفس كربتك ولكن سأقوم عليك فى مرضك فإذا مت أتقنت غسلك وجوّدت كسوتك.. وسترت جسمك وعورتك..

وقال للثالث: قد نزل بى من أمر الله ما ترى وقد كنت أهون الثلاثة علىّ فماذا عندك ؟ قال: إنى قرينك وحليفك فى الدنيا والآخرة فأدخل معك قبرك حين تدخله وأخرج منه حين تخرج ولا أفارقك أبدًا.. فقال النبى ﷺ: ﴿ **الأول ماله والثانى أهله والثالث عمله** ﴾ ما أكثر الأعذار.. وما أكثر (التمثيل وتوزيع الأدوار) ولكن الهدف فى كل مرة هو (طلب الحصول على جواز مرور) لضرب العراق مرة وفلسطين مرة والشيشان مرة أخرى ومنازلة كل من تسوّل له نفسه بالدفاع عن نفسه حتى إن بعض الدول الإسلامية مثل باكستان تحاول كسب (المارد الكافر) الأمريكى وتتعقب بالنيابة عنه كل مجاهد وتدعى أنه تابع لابن لادن ومن تنظيم القاعدة ويقبضون بالنيابة عن المارد على كل من يندد به أو يطالب بترحيل جنوده – الكفرة – مقابل عدم إرباكهم بالتخلص من (المفاعل النووى) وترك الساحة وحدها للهند لامتلاك هذا النوع من السلاح.. والحقيقة التى لا مراء فيها أن النوايا باتت ظاهرة ومعلنة (لسحق) العرب والمسلمين الذين لم يتنفعوا من دروس الماضى ولا من تجارب الحاضر وسقطت



الأقنعة ودفنت فى حفر النذالة حتى كأن العيون لا ترى.. والآذان لا تسمع والقلوب لا تصفو:

أعـرض عـن العـوراء إن أسمعتهـا　　واقعـد كأنـك غافـل لا تسـمع

ودع السـؤال عـن الأمـور و بحثهـا　　فلـرب حـافر حفـرة هـو يصـرع

وبدأ العد التنازلى (للتنازل) عن كل شيء هذه المرة ونسيت القضية الفلسطينية.. كما نسيت قبلها الشهامة والقيم الأخلاقية والموروثات (الشعبية) وخفقت أعلام الغرب فى أرض الإسلام.

فى تصورى أن العودة إلى القديم أفضل من الاستمرار فى التحدى لأن إمكانات التحدّى و مقدّراته لم تعطنا أمريكا إذنًا باستخدامها ولن تسمح لمجلس الأمن بالتصويت على منحنا كرامتنا وعزّتنا بل علينا – من منظور – أمريكى أن نسعد ونفرح برضاها عنا وبسط سلطانها على شعوبنا ولغتنا بل وأكثر من ذلك فإنها تطالبنا بتصحيح وتعديل مناهجنا وأزيائنا واستغفر الله تطالبنا بأكثر من ذلك بديننا.. من يتصور هذا ؟ و من يعقل هذا ؟

قال إياس بن معاوية: خرجت فى سفر ومعى رجل من الأعراب فلما كان فى بعض المناهل لقيه ابن عم له فتعاتبا وإلى جانبهما شيخ من الحيّ.... فقال لهما الشيخ: أنعما عيشًا إن المتابعة تبعث التجنىّ، و التجنىّ يبعث المخاصمة.. والمخاصمة تبعث العداوة. ولا خير فى شيء ثمرته العداوة.. قال اياس: فقلت للشيخ: من أنت ؟ فقال: أنا ابن تجربة الدهر.. فقلت: ما أفادك الدهر ؟ قال: العلم به.. قلت فأى شيء فيه احمد – أى محمودًا – قال: أن يبقى المرء أحدوثته حسنة بعده..



فهل يوجد يا ترى بعد الهوان شيء يُحمَد.. وهل يبقى بعد الزوال وجود وثبات.. وهل يعود العقل الى (المجنون) ؟

وهل يستيقظ المارد العربى ؟ والمارد الإسلامي ؟ هل يستيقظان معًا ليأخذ كلٌ بيد الآخر.. ويحمى كل منهما ظهر الآخر.. أم أننا فى انتظار (المهدى) المنتظر (المخلّص)للبشرية..هل هو قادم قريبًا أو بعيدًا ؟.. وهل الساعة على وشك القيام..؟ أسئلة حائرة.. مدمّرة. بالية.. متهالكة.. ساقطة من حسابات الغرب بل والشرق.. هكذا الدنيا فى نهايتها.. والظالمون فى أواخر أعمارهم يُنَكلُ بهم.. ويضربون بالنعال فى مؤخراتهم ومقدماتهم ويُمسح بالأرض جَنابهم.. ويعلو الذل وجوههم.. وتكوى بالنار جباههم ويدفنون بالعار فى قبورهم.. ومعهم.. جميعًا.. خطيئاتهم..!!

فلم يستأثروا بكبير جمع ... وكانوا للمصالح مؤثرينا

وكان الحزم فيما حاولوه ... شعارهم فساروا مكتفينا

و يسّرهم لفعل الخير فيما ... إليهم من أمور المسلمينا

وإن يشأ الإله فساد قوم ... أتاح لهم كبائر معتدينا

ذوى كِبرٍ و مجهلةٍ و جبنٍ ... وإهمال لما يتوقعونا

فظلوا يشرهون و يجمعون ... وليسوا فى العواقب يفكرونا

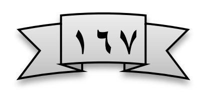
وجاروا بينما أمروا بعدل ... كأن قد قيل: كونوا جائرينا

نفاق واتفاق..

هالنى موقف صاحبى (....) الذى جمعتنى به ظروف جادة تظهر من خلالها معادن الرجال.. وثبات الأبطال وحسن الرفقة والصحبة والأفعال.. والتفت القلوب على الصفاء.. والنفوس على المحبة فكان ذلك (عقدًا) روحيًا على الوفاء والعطاء.. كلما رآنى قبلنى وقبلته ومنحنى من وقته ومنحته.. وشاركنى (همى) وشاركته وفجأة..!! (قلب لى ظهر المجنِّ) لحظة أن ظهر لى – خصم – عنيد يحاكى إبليس فى (معاداة القيم) والوسوسة فى صدور وعقول البشر وتدبير المكائد وتلفيق (التهم).. هذه اللحظة التى توقعت فيها وقوف صاحبى (..) بجانبى إذا به (يتجنبنى) ويتوارى عنى ما استطاع إلى ذلك سبيلاً ولأنه يعرف درجته ومنزلته عندى أراد أن – يقطع – الأمل ويحجبه وصادف أن قابله صديق فاضل كان معنا يومًا.. ولكن أعماله شغلته عن رفاقه بعض الوقت فقال لصاحبى (..) أما بلغك عن الشيخ – يقصدنى – كذا وكذا.. من صاحبك إياه يقصد الخصم العنيد فاختصر له الكلام و قال له: (ما كنت أريد أن ينّجر الشيخ إلى مشكلة مع هذا الشيطان) ولم يبحث عن التفاصيل ولكن بلغه وقوف كثير من الأفاضل – بجانبى فلاحظ أنه – انكشف وظهر على حقيقته فقال عنهم: إن هؤلاء الأفاضل منافقون !! هكذا ببساطة وسهولة قذفها بلسانه.. فكانت ضربة قاضية قضت على الصداقة والمودة !.. اعتبرت ما حدث (صفعة) و (صفقة) أما كونها صفعة فلأن صاحبى (..) فاجأنى بهذا الموقف من حيث لا أتوقعه (وقد يؤتى الحذر من مأمنه).. وأما كونها صفقة فلأنها أعادت إلىّ صوابى ورشدى وإعادة ترتيب أوراقى.. وأفكارى وحساباتى

فكان (المكسب) أكثر من (الخسارة) ولكن ما حدث تمخّض عن إدراك جديد وبيان واضح بأن (جسور) الصداقة.. و (جذور) المودة قد تتهشم أو تقتلع فى لحظة ضعف لا يجد الضعيف فيها إلا – النفاق – أسلوبًا ينجو به من الامتحان والاختبار ظانًا بذلك أنه قادر على – التصحيح فيما بعد – ولكن هيهات هيهات !!

وأصبح بينى وبين النفاق (ثأر).. أى ثأر !!.. إذ حملتنى أقدارى إلى موقع وظيفىٍ – عال – فى نفس التوقيت الذى جرت فيه الأحداث هذه وكأن الأقدار ترتب لى حسابات لأعرف بها البشر.. وبلغ ذلك صاحبى (..) فحاول أن يعود إلى صداقته.. وصحبته.. ولكنى آثرت أن تكون مع غيرى ولو كان غيرى هذا – الشيطان – البشرى !! فالإنسان موقف يعرف أن الحق هو الحق ولا يمكن الخروج عن دائرته.. والباطل باطل لا يمكن الولوج فيه والانخراط فيه.. وعلماء اللغة تحدثوا عن النفاق ومادته فقالوا: نفق البيع نفاقًا: أى راج وبالفعل نرى للمنافق أصدقاء وأتباع كثيرون أرضاهم بنفاقه وجذبهم إليه بصفاقته ولؤمه ويقولون: النّفَقُ هو سَرَبُ فى الأرض له مَخْلَصُ إلى مكان وهذه حقيقة واقعة فالمنافق له مسارب يتسرّب إليها بنفاقه – وعندهم – أى علماء اللغة أن النُّفَقَة هى إحدى حجر اليربوع يكتمها ويظهر غيرها فإذا أُتِى من جهة القاصِعاء ضرب النافقاء برأسه فانتفق ونرى المنافق فى الواقع (يحتاط) لنفسه لأنه يعرف أنه مطلوب للثأر والقصاص.. والمنافق فى الدين: هو ساتر الكفر مع ظهوره بالإيمان.. وهذ ا الثأر الذى بينى وبين (النفاق والمنافقين) جعلنى – أنافقهم – أنا الآخر بعض الوقت لأن الوصول إليهم – بطريقتهم – أسرع من

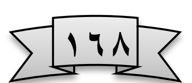


– الغموض – الذى قد يريبهم منى حتى لا تظل الأمور معلقة ولابد من (تضييق) الفجوة عليهم وتحجيمهم حتى يفقدوا هذه الوظيفة التى إن نجحوا فيها فسوف تصل الأمور إلى ما لا تحمد عقباه من انتشار الكذب والخداع بين البشر.

والمنافقون متفقون من حيث (المبدأ) على (موالاة) الجميع بالاستماع إليهم والتدخل فى شئونهم.. لذا فهم من أكثر الناس (جمعًا) للأخبار ومن أسرعهم (جلبًا) للأحداث ونشرًا للإشاعات.. ومن عجب أن المنافق ينافق صاحبه أيضًا لأن من اعتاد على شيء واستمرأه صار جزءًا منه..

تخالف الناس حتى لا اتفاق لهم   إلا على شجب و الخلف فى الشجب
فقيل: تسلُمُ نفس المرء باقية   وقيل: تشرك جسم المرء فى العطب

إن بداية النفاق وإن بدت (متفاقمة) إلا أنها ازدادت تفاقمًا فشملت كل شيء وأصبحت قاسمًا مشتركًا.. كما أن المنافقين أصبحوا ينتشرون فى كل المحافل ويتصدرون الندوات والمؤتمرات بعد إضفاء الشرعية على أعمالهم وإطلاقاتهم وهم بشر من نوع خاص لأنهم يرون أن الدنيا أمامهم (براحًا و مراحًا) لأنهم بطبيعة امتيازهم وصفاتهم يحتاجون إلى – مساحات واسعة – فى كل ذات وفى كل عين وفى كل جنس وصنف ولون.. والنفاق وإن بدا متعاليًا فإنه لم يصل إلى هذا المستوى الذى ازداد فيه استعلاءً وشموخًا وجغرافية وفى هذا دليل على – النفاق العالمى – الذى دخل فى كل شيء حتى سكن أحشاء (الحوامل) التى ينتظر منها – المجتمع – منافقًا صغيرًا يستطيع العيش وسط أبناء جلدته وسائر عشيرته وأقرانه.. قال الله تعالى عنهم: ﴿ **إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ**



اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلاةِ قَامُوا كُسَالَى يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلاَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلاَّ قَلِيلاً * مُذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لاَ إِلَى هَؤُلاءِ وَلاَ إِلَى هَؤُلاءِ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُ سَبِيلاً * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَتَّخِذُوا الكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ المُؤْمِنِينَ أَتُرِيدُونَ أَن تَجْعَلُوا لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا مُّبِينًا * إِنَّ المُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴾
النساء من الآية: (١٤٢) وحتى الآية (١٤٥).. يقول صاحب الظلال الشهيد سيد قطب – رحمه الله –: وهذه لمسة من لمسات المنهج للقلوب المؤمنة فإن هذه القلوب لابد أن تشمئز من قومٍ يخادعون الله.. لأن الله تعالى لا يُخْدَعُ وهو يعلم السر وأخفى وهى تدرك أن الذى يحاول أن يخدع الله لابد أن تكون نفسه محتوية على قدر من السوء ومن الجهل ومن الغفلة كبير.. ومن ثم تشمئز وتختصر وتستصغر كذلك هؤلاء المخادعين.. ويقرِّر أن الله تعالى – خادعهم – ومستدرجهم وتاركهم فى غيّهم.. لا يقرعهم بمصيبة تنبههم ولا يوقظهم بقارعة تفتح عيونهم.. تاركهم يمضون فى طريق الهاوية حتى يسقطوا.

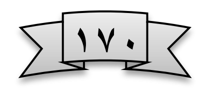
والمنافقون لا يقومون إلى الصلاة بحرارة الشوق إلى لقاء الله و الوقوف بين يديه – سبحانه – والاتصال به.. والاستمداد منه.. إنما هم يقومون بها يراءون الناس.. ومن ثم يقومون كسالى كالذى يؤدى عملاً ثقيلاً أو يسخَّر سُخّرَةً شاقة.. كذلك فهم مذبذبون متأرجحون مهتزون ويتصفون بالضعف الذاتى.... فهم غير مستقرين فى أحد الصفين الصف المؤمن أو الصف الكافر وفيه إيحاء بضعف المنافقين الذاتى.. و هم فى الدرك الأسفل لأنه مصير يتفق مع ثقلة الأرض التى تلصقهم بالتراب فلا ينطلقون ولا يرتفعون.. ثقلة المطامع

والرغائب والحرص والحذر.. والضعف والخور !! الثقلة التى تهبط بهم إلى موالاة الكافرين ومداراة المؤمنين.. والوقوف فى الحياة ذلك الموقف المهين الخ كلامه رحمه الله.

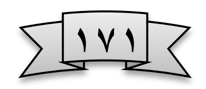
وأعتقد أن النفاق – حالة مرضية – تنتاب بعض الناس فلا يجدون لها علاجًا ولا طبيبًا.. من أجل ذلك يعيش المنافق فى حالة من اليأس والهوان تزداد كراهية الناس له فلا يجد بدًا من المداهنة والمراءاة ليستطيع العيش بين الناس ولهذا نراه زائغ العين تحتمل ألفاظه وتعبيراته كثيرًا من المعانى حتى يمكن تأويلها عند الحاجة وفوق ذلك فالمكابرة طبع من طباعه الأساسية إذ أنه لو سلّم من أول وهلة لانهزم وغاص فى الطين.

يذّكرنى هذا بالشيخ عبد القاهر الجرجانى – رحمه الله – حينما ذكر عن الجمحى حديثًا قال فيه: ذهب أحدهم الى الجمحىّ يستشيره فى امرأة أراد أن يتزوج بها.. فقال له الجمحىّ أقصيرة هى أم قصيرة ؟

قال الرجل: لم أفهم.. قال له: لعلك لم تفهم بالفعل ؟ قال نعم.. فردّ عليه قائلاً: إنى لأعرف عين الرجل إذا عرف.. و أعرف فيها إذا انكر.. و أعرف إذا لم يعرف ولم ينكر فقال له الرجل كيف ذلك ؟ فقال له: أما إذا عرف فإن - عيناه- تخاوصان أى يغض من بصره قليلاً مع تحديق، وأما إذا أنكر فإنهما تجحظان أى تعظم مقلتيهما، وإذا لم يعرف ولم ينكر فإنهما تسجوان أى تسكنان.. وهذا فى علم النفس الاجتماعى يسمى: التخاطب غير اللفظى وأهمية عنصر تخاطب العيون والتقاؤها فى إقامة تفاعل اجتماعى أكثر فاعلية مع الطرف الآخر وزيادة إمكانية التأثير فيه.. و هنا نجد أنفسنا فى حالة

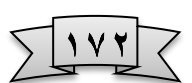


غريبة أمام عنصر (ميكانيكى) يدور فى جميع الاتجاهات وكل المناطق دون كلل أو حدوث أعطال أو أخطاء فى هذه الحالة – المخوفة – تبذر بذور الشك وعدم الثقة فى الناس مما حدا بالكثيرين ضرورة الالتزام والتكتم على كل شيء من باب الحرص. والحرص مطلوب ومرغوب فى هذا الزمان وسط طغيان المادة وعنجهية البشر وتسارع الأحداث وحتمًا فإن هذا سيفضى إلى حدوث انفصام – نفسى – فقد يقول الإنسان شيئًا ويقصد شيئًا آخر.. ويعلن عن أمر وينوى على آخر.. ويصادق شخصًا ويلوذ بآخر وهذا الانفصام النفسى – إن حدث – فإن صاحبه يكون كثير الأصحاب قليل الراغبين فى صلته ومعاملته.. وبديهى أن يكون الأصحاب وقتئذ بمثل صفاته وصاحب هذه الصفة يعتبر – أعور العقل – يرى عقله من ناحية واحدة فقد غاب عنه نصف الوجود.. ولو أن عقله أبعد من الناحيتين لما رأى نفسه فى حالة طبيعية تعينه على مسايرة الناس بصدق وأمانة وترفعه عن الصغائر والابتذال.. ولكن صاحبنا هذا بنى بنيانه على غير أساس، بناه على كل المتناقضات و الأضداد المختلفة.. بناه على بركان وروضة على بكاء و ضحك.. على سلامة و ندامة.. بناه على هموم كثيرة كلها هموم. وأفراح كثيرة ليست كلها أفراحًا.. و هو بهذا يعتقد أنه فوق البشرية.. والناس من بعده فى الذيل و الويل.. وذلك وهم لا تقوم عليه الحياة ولا تصلح به وإنما تقوم الحياة على الروح العملية التى تضع كل شيء فى مكانه الصحيح.. لا على أوهام و حيرة.. وشتات وضياع.



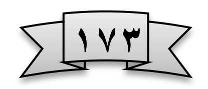
هــــا همــــا عينــــاك تغريــــ	نى علــــى شـــتى الظنـــون
فيهمـــــا.. بحــــر و مـــوج	وسهـــــول وحـــــزون
ووضـــــوح و غـــــموض	واضـــــطراب وســـــكون
ومعـــــانٍ بيـــــنات	ومعـــــانٍ لا تبـــــين ..
وتهـــــاويل فنـــــون	مـــن رشـــاد و جـــنون
وأشـــــفات حيـــــارى	مـــن مـــنى أو مـــن حنـــين
ليـــت شـــعرى أى ســـرّ	خلــف – هاتيــك – الجفــون

ولقـد استطاع الجميـع – هضـم – النفـاق حـتى اقتنعـوا بـه كشـكل مـن أشـكال الحلـول السـريعة والإنجـازات السـريعة اسـتمرارًا لمسلسـل (السـرعة) فى الوجبات والادعاءات والخصومات وحتى الضربات. وأصبح النفاق الاجتماعى هو الذى تُحسم به المواقف وتُمهد له الأعراف.. وتُهيأ له العقول بالقبول. وهذا بالفعـل مـا حـدث عنـدما (جهـر) بعـض (المتحـذلقين) صـراحة بعـدم جـدوى التمسك بالهوية والقيم ونـافقوا بـذلك مجتمعـاتهم وأهـل دينـهم حيـث عايشـوهم وسـايروهم ولكنـهم . مـع ذلـك – بـاتوا غـير قـانعين بهـذه (المعايشـة) وتلـك (المسـايرة) ولا أدلّ على ذلك مما دُبِّر للعراق من – جرّه – إلى ارتكـاب خطـأ جسيم ثم إيقـاع – العقـاب – عليـه والأدهـى مـن ذلـك وأمرّ أن بعض الـدول العربية وهى معروفة كانت تتعجل خصوم الإسلام لضرب العراق وتشريد شعبه وتقسيمه متجاهلين بذلك الخسارة الفادحة التى سوف يدفع ثمنها (العالم العربى والاسـلامى) مع أن هـؤلاء – المتعجلين – من العرب الخُلْص ولكنه النفااااق



وسوء الأخلاق الذى امتزج بدمائهم فقدموا إخوانهم قرابين لأعداء الدين وأعجوبة هذا الزمان الذى كثر فيه (التقبيل والمعانقة) بين كل زميلين أو صديقين هو هو ذلك الزمان الذى كثرت فيه الأحقاد والحسد بين الناس فلا يكاد المرء يبرز فى مجال من المجالات أو عمل من الأعمال حتى يحاط بالنظرات الحاسدة والعيون القاتلة المتربصة والنفوس الحاقدة ومردُّ هذا فى الواقع هو الانصراف عن الدين كمنهج فكرى وعقلى عالج مثل هذه الأمور النفسية ووضع لها علاجًا ناجعًا ونافعًا حيث قرر الدين أن كل شيء فى هذا الوجود مقدّر بقدر الله تعالى ثم بالأخذ بجميع الأسباب التى بها يمكن الوصول إلى تحقيق الأهداف. والمعادلة صحيحة فإن من اجتهد وحاول بشتى الطرق أن يثبت وجوده وكيانه فإنه بلا شك سوف يتحقق له مراده.. أما من آثر الخضوع والاستكانة ويئس من المحاولة فإنه حتمًا سيظل – حبيس – فشله واستكانته بل ربما أثر ذلك سلبًا على المحيطين به ومن عجيب الظروف أن اليائس يدفع الناس إلى (الهروب) منه ومن محاولة إظهار نجاحهم وتفوقهم حتى لا يتواكل عليهم وكلٌ بدافع حرصه وتشبثه بالحياة ينزلق رغمًا عنه إلى المساوئ وإلى المهالك وينسى – بسبب هذا الدافع – أن يجاهد نفسه أو يحاسبها على تقصيرها أو حتى مجاهدتها رغم أنه يعلم أن النهايات دائما تكون مبينة على مجريات الأحداث وأن الأخطاء لابد وأنها مدفوعة الثمن.

آه منك يا صاحبى (..) لقد ظننت أن الخلاف لن يفسد للود قضية ولكن اتضح أن الودّ صناعة محلية – منتهية الصلاحية – حتى من غير خلاف وأن معالجة القضية سوف يؤدى إلى ولادة قضايا أخرى أشد تعقيدًا وشراسة



وهذا بالفعل هو الذى لخصه الرسول ﷺ للناس جميعًا حينما حدّد هوية المنافق بقوله عليه الصلاة والسلام: ﴿ آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا اؤتمن خان ﴾... وقوله أيضًا: ﴿ أربع من كن فيه كان منافقًا خالصًا ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر ﴾ وتلك الحقائق تبدو – مجتمعة أو متفرقة – عند شعور الإنسان بدوافعها عند المنافق وقد يقوم المنافق بتوزيعها بالعدل على فئامٍ من الناس مختلفى الفئات والشرائح والصفات فيمنح كل صنف وشريحة على حسب حاله وكما ذكرنا فهذه الوقائع كوّنت رواسب وسلبيات يستحيل التخلص منها بسهولة والتحديد الذى حدده الرسول ﷺ كما ذُكر فى الحديثين لا يمكن تجاهله وكأن كل من خالطه من ذلك شيء فهو فى قفص الاتهام يستحيل تبرئته من تهمته إلا إذا تخلص منها وهذا التحذير لو أخذ مأخذ الجد لأصبح الناس فى واقع الأمر (صنّاع خير و سلام) بَيْدَ أنهم مقرّون بهذه السلبيات ومعترفون بتلك المغالطات التى يتعفف عن ارتكابها الفضلاء لقد جسّد لى صاحبى (..) النفاق فى كل كلمة قالها وفى كل فعل فعله وفى كل نظرة نظر إلىّ بها.. وقد يقول هو أيضًا ذلك الكلام فى حقى ويعتبرنى مثله ولكن ذلك فى الواقع يدفع باللائمة عليه فالأمر يحتاج إلى وقفة مع النفس حتى وإن كان ضعيف الإيمان.. فليجعلها من الوجاهه أو من النزاهة أو حتى من البداهة !! ولكن يبدو أن صاحبى صاحب نفسه وصديق هواه وتلميذ شيطانه وأسير فكره وسلطانه.. وكم فى الدنيا من غرباء عن الحق وعن الأخلاق وعن العدل وهم بذلك معترفون ومؤكدون

يحملون (هويات) الفضل وقلوبهم قلوب الذئاب ويتسمون لكل (مصادف) والغلّ يملأ قلوبهم... لقد استفدت من (الصفقة) إذ كانت لى (كشافًا) يكشف النوايا ومقياسًا يقيس المشاعر وطوق نجاه ينقذنى من الأمواج العاتية والهائجة حيث لا يمكننى أن أنقذ نفسى وحياتى من حياة النفاق (اللجّية) فى وقت لا أستطيع فيه إلا الاعتراف بعدم إجادتي للغوص أو العَوْم والنجاة والوصول إلى بر الأمان..

وذرفت من عينى عَبرة.. فيها حرقة على ما مضى وعلى ما هو آت.. وهى بلا شك عَبرة بعد الفوات.

توكلنــــا علـــى رب السمـــــاء   وسلـــمنا لأســـباب القضـــاء

ووطَّـــنا علـــى غـــير الليـــالى   نفوســـًا سـامحت بعـد الابـاء

وأفنيـــــة الملـــــوك محجبــــات   وبــــاب الله مبـــذول الفنـــاء

فمـا أرجـو سـواه لكشـف ضـرى   ولم أفـــزع الى غـــير الـــدعاء

ولِمَ لا أشـــتكى بثـــى و حزنـــى   إلى مـن لا يصـم عـن النـداء

هـــى الأيـــام تكْلَمنـــا و تأســـو   وتجـــرى بالســـعادة والشـــقاء

فـــلا طـــول الثـــواء يـــردُّ رزقـًــا   ولا يـــأتى بـــه طـــول البقـــاء

ولا يجـــدى الثـــراء علـــى بخيـــل   إذا مـــا كــــان محظـــور الثـــراء

ولـــيس يبيـــد مـــال عـــن نـــوال   ولا يـــؤتى ســـخى مـــن ســـخاء

كمـــا أن الســـؤال يـــذل قومـــًا   كـــذاك يعـــز قومـــًا بالعطـــاء

حلبنـــا الدهـــر أشـــطره ومـــرت   بنـــا عُقـــب الشـــدائد والـــرّضاء

فلـــم آســـف علـــى دنيـــا تولـــت   ولم نســـبق إلـــى حســـن العـــزاء

ولـــم نـــدع الحيـــاة لمـــس ضـــرٍّ   وبــعض الضــر يــذهب بالحيــاء

وجرّبنــــا وجــــرّب أوّلـــونا   فــلا شــيء أعــزُّ مــن الوفــاء

تــوقّ النــاس يــا ابــن أبــى وأمــى   فهـــم تبــع المخافــة والرجــاء

ولا يغـــررك مـــن وغـــد إخـــاء   لأمــر مــا غــدا حســن الإخــاء

ألـــم تـــر مظهـــرين علـــيَّ غشـــا   وهــم بــالأمس إخــوان الصــفاء؟

بليـــت بنكبـــة فغـــدوا وراحـــوا   علـــيَّ أشـــد أســـباب الـــبلاء

أبـــت أخطارهـــم أن ينصـــرونى   بمـــال أو بجـــاه.... أو بـــراء

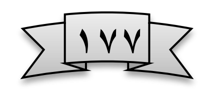
وخـــافوا أن يقـــال لهـــم خـــذلتم   صـــديقًا فـــادّعوا قـــدم الجفـــاء

ديك البرابر..

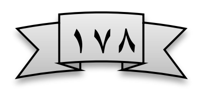
أقلتنى سيارة من إحدى البلاد المجاورة إلى مدينة دمنهور وصادف وجود امرأة (حضر يفية) داخل السيارة ومعها ابنتان وطفل صغير لا تفارقه عيناها ولا تكترث بأختيه ولم تعرهما من الاهتمام أى شيء والطفل يتحرك داخل السيارة (بلا هوادة) ينظر من شباك السيارة مرة ويطوّق أمه بذراعيه حول رقبتها مرة أخرى ثم يتراءى له أن يجلس بين أختيه ثم يقفز على الكرسى.. بعد ذلك (يحدق) فى الركاب.. ونظر أحدهم إلى الأم قائلاً لها: امسكى بالولد حتى لا يصيبه أذى..

فأجابته على الفور: حاضر حاضر فهذا ديك البرابر.. ثم أخرجت لـ(الديك) علبة بسكويت لِيَلْتَهِمَها وحده دون النظر إلى إحدى أختيه وإعطائهما من تلك العلبة أى قطعة.

قلّبت يدى وأنا أَحَوْقل وأهلل – مع نفسى – بعض الوقت وسلمت بأن أم الولد – تعتبره – صفقة وغنيمة تستطيع أن تعيش بسببه فى أمان واطمئنان لذا فهو يستحق كل هذا الحب والاحتواء حتى ينضج ويكبر لـ (تكيد) به جاراتها وقريناتها وربما أخواتها..أما البنات فكفاهن – فى نظرها – أنهن كذلك.. ولا ضرر من تحويل حقوقهن وامتيازاتهن إلى هذا (الديييك الصغير).. شغلنى هذا الموضوع كثيرًا وأخذت (أتسمع) الأخبار من هنا وهناك حتى توفرت لدى – معلومات – عامة فى هذا الموضوع ولاحظت أن جميع أصحاب هذه الحالات يهيمن عليهم هذا الفكر – الغير طبيعى ويشكل فى وجدانهم ومشاعرهم – هذا الفكر – حتى إنى تذكرت – القرشيين – وبعض قبائل



العرب عندما كانوا – يئدون – البنات خوف العار وكانت أفكار أكابر مجرميهم – تستكبر – أن ينجب الرجل ابنة ينكحها آخر ويعاشرها.. كما لاحظت أن هذا الفكر يمثل (طاغوتًا) يقدسه المجرمون والخارجون عن الآدمية حتى – وَقَرَ – فى عقول هؤلاء أن إنجاب الفتيات يسبب مشكلة تدوم بدوام حياتهن..وقاموا بتكريس كل مقومات الحياة للبنين دون البنات وإشباع الذكور وتجويع الإناث إلى غير ذلك من الأمور الفاضحة والذى يزيد من افتضاحها هو إعلانها على الملأ.. واستشرى هذا الفهم فى النفوس الضعيفة حتى أضحى شيئًا لا يجب أن يلام صاحبه عليه من أحد.. وأصبح الظلم اللذيذ متقبلاً لدى جميع الأطراف (المحظية) بأحد ديوك البرابر.. وشغلنى لفظ (البرابر) هذا مدة من الزمن وفهمت أنه تقريبًا عبارة عن (الدجاج الكثير الذى يعيش معه ديك واحد) وظَلّ هذا المعتقد يتنامى فى ذهنى وفهمى حتى صادف أن قرأت فى هذا التعريف شيئًا غريبًا.. ووجدت أن – البُرْبار – هو الأسد..والبَرْبَارُ هو دلْوٌ لها صوت..الأول بضم الباء والثانى بفتحها وأُسقط – عندها – فى يدى فإذا كان البُرْبار هو الأسد فكيف إذن يكون الديك؟.. وحاولت مرة ثانية أن أطالع الصفحات فرأيت أن الديك يجمع على دُيُوك وأدْياك ودِيَكْة.. ويطلق على الدجاجة كما جاء فى قولهم: زَقّت الديك بصوتٍ زقًا.. فلاحظت أن المعادلة بعيدة عن الذهن فعلاً.. فبالمقارنة وجدت الدجاجة ديكًا وأن البُربار أسدًا.. وأن صوت الديك – أقصد الدجاجة – يشبه صوت الدلو أى فى الضعف وأن الزقزقة للعصافير فالتمست العذر للناس رغم أنهم طوال الأجسام عريضوا المناكب على حد قول القائل: أجسام البغال وأحلام العصافير.. إذ أن عقولهم



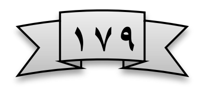
لم تتوصل إلى فهم دقيق ومحدد لديك البرابر فكانت خلطة (السمك واللبن والتمر هندى) هى عصارة ما انتهوا إليه وانفضوا إليه..وأصبح هذا الشعار وهذا الرمز دليلاً على تلك البداهة ولست أدرى سببًا لإطلاق لقب (ديك الجنّ) على عبد السلام الشاعر- أبوه رغبان بن عبد السلام بن حبيب بن عبد الله بن رغبان بن يزيد بن تميم – ولعله لُقب بهذا اللقب لأن عينيه كانتا خضراوين وهو القائل:

يا عين لا القضا ولا الكتب بكا الرزايا سوى بكا الطرب

وكانت له جارية يهواها فاتهمها بغلام له فقتلها واستنفد شعره بعد ذلك فى مراثيها.. ولقد بلغ هذا الديك من – السذاجة – مبلغًا ظن أنه بخضرة عينيه سوف يحظى بحبها وإعجابها وانتظر منها أن ترتمى فى أحضانه – متغافلاً- عن أمور أخرى للمرأة فيها رأى آخر لا يعرفها عُتاة الرجال.

أما عن ديك البرابر – المحلىّ- فلعله هو الآخر اعتقد أنه وحيد زمانه ووحيد أوانه..فقبل بمصادقة – والديه – أن يستولى على الميراث و على الأموال وعلى الكرامة وعلى الحب.. ولست أدرى على ماذا ؟ وما هو الضرورى فى ذلك ؟..وأليس هذا يشعر بالنقمة على إنجاب البنات ؟ ثم ألا يتسبب هذا فى ترويج الكراهية والأنانية ؟

إنه لمن المؤلم للنفس أن يقبل إنسان أن – يُصْطَفى – من دون الآخرين ويستأثر بكل شيء. طعام جيد وملابس جميلة وفتاة هيفاء إلخ هذه القائمة من – الصلاحيات – الخاصة والفريدة من نوعها والتى لاحظ الجميع أنها لا تحل فيها – البركة – بل ولا تدوم طويلاً لأن عيون الكل تلاحقها وتتابعها

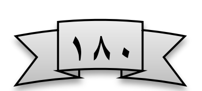


وألسنتهم تتحدث بها والجميع يترقبون – هلاك الديك – لإعادة الحقوق وإراحة النفوس والضمائر وهؤلاء الديكة أصحاب أمراض نفسية بل ووعكات صحية إذ أن كثرة التنعم تتلف الأبدان وإيثار الراحة يبعث على الجبن والاحتماء بالآخرين.. والأيام دائمًا تحمل المفاجآت فربما تتغير الأحوال وتنقلب الأوضاع فلا يجد – الديك – ملاذًا يلوذ إليه من إيمان أو ملكات أو تصرفات – لأنه لم يوطّن – على شيء منها ولا يستطيع ذهنيًا أن يفكر لنفسه أو يصنع لنفسه مأمنًا يأوى إليه و لقد لاحظت فعلاً أن هؤلاء – الديكة – لا قيمة لهم و لا وزن.

– إلا ما شذ – ولا يستطيعون تحمل أى مسئولية من أى نوع وهم أما عراض الأكتاف – أو – ممتلئوا الأفخاذ والأعجاز وكذلك فهم يُرَون – أطفال كبار – ينتظرون المساعدة والمعونة...

وديك البرابر ضحية أبويه واخوته لأنهم جميعًا اشتركوا فى جريمة كبرى جعلوه بها خانعًا ضائعًا لا وزن له ولا كيان، يعيش بهم و لا يعيشون به يأخذ منهم ولا يعطى لهم يتباهون به ولا يباهى بهم..

وقد لاحظت أن على كل مائة حالة من هذه الحالات نجد حالة واحدة تتفانى فى الإخلاص والعطاء لذويهم ولا أنسى هذا المدرس الذى كان خامس أربعة من أخواته الجميلات واللاتى – خُطبن – واحدة بعد الأخرى فلم يجد مانعًا ؟ من بيع أنابيب الغاز على دراجة بعد عمله الوظيفى حتى (يجهز) أخواته الأربع فزوجهن – إذ كان أبوه قد فارق الحياة – وأحسن إليهن فنال بذلك ثوابًا من الخالق وحبًا من المخلوقين.. ويبقى الأمل و العمل فى جمع – شتات – الأمور خاصة وأن مدبر الكون – جل وعلا – هو خالق الزوجين – الذكر والأنثى – ومصنف المخلوقات ومكيف الأجناس ومرتب الأحداث.. ذلك حكم الله القائل: ﴿ **لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ**

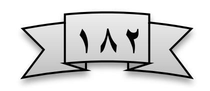


لِمَن يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَاءُ الذُّكُورَ * أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا وَيَجْعَلُ مَن يَشَاءُ عَقِيمًا إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴾ الشورى من ٤٩: ٥٠.. فصيرورة الأمور إلى من أمر وأراد ومَرَدُّ الأحوال إلى من تفضّل وقدّر فكلٌ له وصف ومقدار ونصيب فمن حادّ الله ورسوله وميزّ فى غير موضع التمييز.. وفاضل فى غير مقام التفضيل فإنه يتدنى ويتسفل حتى يهبط إلى القاع.. بعد خلع القناع فلا يصير بعد ذلك ديكًا للبرابر ولا يصلح حتى لأن يكون عصفورًا.. ولا يطمع بالتاكيد لشغل منصب ديك الجنِّ...... قال ديك الجنِّ:

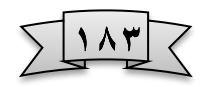
على هذه كانت تدور النوائب   وفى كل جمع للذهاب مذاهب
نزلنا على حكم الزمان و أمره   وهل يقبل النصف الألدُّ المشاغب
وتضحك سنُّ المرء والقلب موجع   ويرضى الفتى عن دهره و هو عاتب
ألا أيها الركبان والردّ واجب   قفوا: حدثونا ما تقول النوادب
الى أىّ فتيان الندى قصد الرّدى   وأيهم نابت حماه النوائب..
يقولون: مقدار على المرء واجب   فقلت: وإعوال على المرء واجب
هو القلب لمّا حُمّ يوم ابن أمِّه   وهَى جانب منه وأسقم جانب
ترشفت أيامى وهن كوالح   عليك وغالبت الرّدى وهو غالب
ودافعت فى صدر الزمان ونحره   وأىُّ يدٍ لى والزمان محارب ؟
يبرّد نيران المصائب أننى   أرى زمنًا لم تبق فيه مصائب..

المعقول واللا معقول..

عندما تتصارع القيم و تتفاعل الأحداث وتختلف الأيدلوجيات فلابد من (منازلة) ومصارعات بين التوجهات المختلفة وقلما تنتهى الخلافات عند حدٍّ أو تنحصر عند عدٍّ لأن طبيعة الأشياء قابلة للنماء والتشعب لاسيما إذا امتد أمدها واستحال وأدها فى مهدها..لأن القيم لها مفاهيم تختلف من جيل إلى جيل ومن أمة إلى أمة فما كان – يُظَنُ – خطؤه فيما مضى قد تثبت صحته فيما هو آت وما كان - منجزًا - فيما سلف لا يعتقد بالضرورة أن يكون مرغوبًا فيما حان وآن.. وعلى كل فمراتب القيم ومفاهيم الأحداث تختلف صعودًا أو هبوطًا وارتفاعًا أو نزولاً.. وهذه البينيات بينها بينيات وملابسات أخرى وكلما أمعنا النظر تبين الخطر وحدّق الصراع – النفسى – فى كل فكرة وخطرة وينخفض بالتأكيد – مؤشر – الوصول والتحقيق إلى جميع الغايات.. إن سكان الكرة الأرضية الآن فى سباق لإشعال حروب – إبادة – جماعية تأكل ما اخضّر وما يبس فى محاولة للانفراد بهذه الكرة.. فسكان الشرق يعادون سكان الجانب الغربى. وقاطنوا الجزء الشمالى يخيفهم بقاء أهل الجنوب على قيد الحياة.. والمخلوقات الموجودة فى مجاهل – سيبيريا – يضايقهم وجود تلك الكائنات المجتمعة فى بلاد – الاسكيمو – وكلٌ ينظر للآخر على أنه (بقايا) متعفنة يجب حرقها حفاظًا على البيئة الخاصة به وكلما حاولوا القرب ازداد البعد..مع أن الكرة الأرضية ذاتها معلقة فى أجواز الفضاء وطبقات الكون وليس لها بديل مثلها يقبل النازحين منها ولو وجد – جدلاً – لوُجدَ هو أيضًا بمخلوقاته ومشكلاته وأيديولوجياته مما يزيد فى الصراع.ولحكمة أرادها الله تعالى



جعلها كرة واحدة تجمع كل المتناقضات وتعيش كل الفلسفات.. وإذا كانت العصور المختلفة وميادين الأحداث فيها شاهد إثبات على هذا التناقض وتلك المخالفات فحرىٌّ بمن عقل أمره وحزم رأيه أن لا يحاول – الزوغان – من قدره فيما لو فوجئ بتراكمات وتداعيات تحول بينه وبين ما هو منطقى أو معقول من وجهة نظره فربما يكون مصيبًا وغيره مخطئًا أو العكس وعالمنا الأرضى واسع الإطناب ضارب فى عمق الزمن لا نعرف هل بقيت منه حضارة وجدت المجال لتلد حضارة جديدة أم أنها فعلاً أضحت أثرًا بعد عين وما نراه هو تقدم علمى وتكنولوجى لا يمت إلى أصول حضارية البته بدليل ظهور أمريكا منذ مائتين وأربعين عامًا وبيدها – تقريبًا – مقاليد التقدم يترسم الجميع خطاها بينما لم نعد نسمع عن حضارات وموروثات قديمة طال أمدها أو طال باعها كما كنا نسمع أو ندرس.. فهذا العالم هل هو بالفعل بدأ متحضرًا وانتهى ثائرًا أو أنه تحضر فيما بعد مع أنه من المعقول أن نقول: لو لم يكن قديمًا وجد هذا العالم المتحضر لما تواصل حتى الآن ودليل بقائه دليل على تحضره ونمائه. واليوم ينقص البناء العالمى والإنساني ولا مقيم له.. بل إن الساعين إلى هدمه هم – المتقدمون – وهم الممسكون بمقاليد هذا العالم..وزمام الأمور فيه.. وأرى من هذه الزاوية أن الحضارة غير التقدم على الأقل عندما نأخذ أمريكا مثلاً يمثل به.. فقد يزيل التقدم الأمريكى مثلاً التقدم الصينى وقد تمحو العبقرية اليابانية العبقرية الألمانية..أما الحضارة عقلاً فهى أصول راسخة لها جذور ممتدة حفظت بها (الكيانات) الإنسانية والأخلاقية ولم تفسدها (الفيروسات) الحربية والدموية.. ولم تزلها أزرار تحرك الصواريخ والبوارج وخير لنا أن نقول إن الحضارة



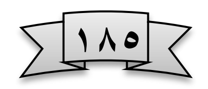
تبرهن على أن الطاعة فضيلة بينما الثقافات الجديدة تراها رذيلة.. والطاعة فى مفهومها الواسع تعنى الالتزام بالقوانين والثوابت التى تعتبر مخالفتها نقص وتدمير للكيانات والأخلاقيات وعلى العكس فإننا نرى التقدم يقوم على التنافس والمغامرات والتمرد.. وقد تعترى بعض المفكرين والكتاب حالة من – العصبية – يبحث من خلالها على ما شذ وانحط فيحاول تجميله والتغزل فيه حتى يبرزه للناس بشكل مقبول ومعقول وعبثًا يحاول.. ولكن ؟ يقول أحدهم وهو الكاتب فؤاد زكريا فى كتابه (خطاب إلى العقل العربى) فمنذ سنوات العمر الأولى تعمل الأسرة على أن تكون العلاقة بين الآباء و الأبناء علاقة (طاعة) وتقدم طاعة الوالدين على أنها قمة الفضائل العائلية بل إن الأبناء حين يكبرون ينسبون نجاحهم إلى (دعاء الوالدين) الذى حلّت بركاته عليهم لأنهم كانوا أبناء (مطيعين) ويعمل تراث شعبى كامل على ترسيخ فكرة الطاعة بين الآباء والأبناء وكأنها النموذج الأعلى للسلوك الأسرى المثالى.. وحين يتكرر هذا النموذج عبر عشرات الأجيال تكون النتيجة الطبيعية هى جمود المجتمع بأكمله وانعدام التجديد فيه.. وتفاخر بشعار رجعى متحجر هو:

وينشأ ناشئ الفتيان منا ... على ما كان عوّده أبوه !!

أما العلاقة بين الزوجين فإن أساسها الذى تفرضه – التقاليد – وتحاصر به المرأة من كافة الجوانب – هو طاعة المرأة لزوجها – إن الزوج هو الآمر وهو الممسك بالدفة.. أما الزوجة فإن سيلاً عارمًا من الأدبيات والتراث الشعبى والنصائح الموروثة يؤكد أن فضيلتها الكبرى تكمن فى كونها زوجة (مطيعة) فإذا خالفت أوامر (الزوج القائد) أو حاولت الإفلات من قبضته

فهناك دائمًا (بيت الطاعة) أعنى سجن التمرد إلخ كلامه.. فهو يرى – باعتبار فكره العلمانى – إن التقيد بقيود الأصالة والنبل (خنوع واستكانة) يجب التخلص منها بل ويلزم الثورة عليها مع أن العقل يجيز (ضرورة الولاء) لأهل الفضل ويعتبره حقًا واجبًا للمتفضل لأن الاعتراف بذلك يعطى الجو الطبيعى والمناخ الطبيعى للعطاء.. ولكن هل هناك شقاق بين العقل البشرى والعقل الإلكتروني فى إدارة وتغطية الأحداث ومحاولة إيجاد الحلول لها يقول صاحب كتاب (خطاب إلى العقل العربى) فى مواطن آخر:

فى وسعنا أن نشبه هذا التطور الذى طرأ على – تقنية – العقول الإلكترونية بالتطور الذى طرأ على الآلات المادية العادية فهذه الآلات كانت فى البداية تستهدف توفير طاقة الإنسان الجسمية والإقلال من مجهوده وزيادة سرعة الأفعال التى يقوم بها عادة ببطء أى أنها كانت تكمل قدرات موجودة بالفعل.. ولكن على نطاق ضيق لدى الإنسان.. وفى مرحلة تالية أصبحت تتولى عن الإنسان أعمالاً يستحيل عليه القيام بها فتمكنه مثلاً من التخلص من الجاذبية الأرضية وهى عملية تستحيل أصلاً على الجسم البشرى ومن الخطأ الاعتقاد بأن هذه (العقول) الإلكترونية مهما تطورت ستدخل فى حرب ضد الإنسان وتسعى إلى سحقه والسيطرة عليه وعلى العالم بدلاً منه لأن هذه كلها عيوب بشرية ترجع إلى ظروف اجتماعية محددة ومن الممكن التغلب عليها إذا تغيرت هذه الظروف ولذلك فإنا لا نرى معنى لقيام الإنسان بعملية (إسقاط) لشروره الحالية على الآلات التى يخترعها سوى أن هذا الإسقاط من عمل ضمير مثقل بالشعور بالذنب الخ كلامه.. ونحن نتفق فى بعض النقاط ونختلف فى



البعض الآخر أما الاتفاق فهو عدم دخول هذه العقول فى حرب ضد الإنسان لأنه عندئذٍ سيبحث لها عن عقول تحاربها.. ويكون الصراع آليًا يكفى لفضه انقطاع أحد الأسلاك الموصلة للتيار الكهربائى عن هذا العقل معقول جدًا وأما الاختلاف فهو أن كلمة (عقل) لا أساس لها من الصحة وإن جاز أن نختار أحد المسميات لهذا الإلكتروني فليكن (جهاز التمييز) والذى اكتشفه اكتشف قبله (الكلب البوليسى) الذى يميز الأشياء بحاسة (الشم) ومازال الاشتباك مستمرا فى تخليص المعقول من اللامعقول كما كان الاشتباك – آنفًا – بين سكان الكرة الأرضية ولم يكن لها (نظير) ينزح البعض إليه فالانسلاخ من المعقول يصب فى اللامعقول والعكس ويبدو أن المعارك ستدور رحاها بلا هوادة فى عالم اللامعقول واللامرغوب واللامطلوب الخ من وجهة نظر معينه تغلب عليها السلبية واعتقد أن العالم الآن تحتضر فيه المعقولات وتنهار فيه الإيجابيات ولست أدرى أإلى التقدم أحيل إلى الاتهام ؟ أم إلى الجهل المطبق على جميع الأمم والذى جعلهم لم يفطنوا إلى معنى التحضر والتأهل والذى تم اقتلاعه من جذوره ويبدو أن العقول البشرية مهيأة لمعايشة ومسايرة (اللامعقول) فى هذه الحقبة من الزمان بدرجة تفقد الصواب والعقل فعلاً فلقد تجرأ المتقدمون والمتعصبون والعنصريون جميعًا وأصبحوا على قلب رجل واحد وأعلنوا على لسان كاهنهم المدعو (جورج بوش) بترويج من الخارجية بأنه: حتى نحيا فى عالم بلا إرهاب فلابد من القيام بالإصلاحات الآتية:

الأول : وضع خطة (لأمركة) الدين للمسلمين .

الثانى: عمل دورات تدريبية للدعاة فى (واشنطن) لتعلم أصول الدين الصحيح على حد زعمه – قاتله الله – .

الثالث: تحويل المساجد إلى (مؤسسات) اجتماعية تمارس فيها كافة الأنشطة (رياضة، فن، إبداع، صداقات.. إلخ).

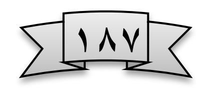
الرابع: السماح بالجدل والحوار مع الإمام فى خطبة الجمعة تدعيمًا للرأى والرأى الآخر: (مع أنهم يفرضون رأيهم على المجتمع الدولى بقوة السلاح ويطالبون باعتبار الدفاع عن النفس إرهاب إذا كان من أى جانب عربى خاصة العراق وفلسطين).

الخامس: إلغاء تدريس الدين فى المدارس وأمريكا طرف أساسى فى تطوير مناهج الأزهر.

السادس: اعتبار الأزهر مؤسسة إرهابية إذا ما نودى بالجهاد لصد الحملة الصليبية البوشية الصهيونية.

السابع: الإقرار بحق المرأة فى أن تخطب الجمعة وتؤم المصلين تدعيمًا للمشاركة.

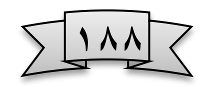
الثامن: اعتبار (اليهود) الذين جاء ذكرهم فى القرآن قوم من البدو المجهولين أما اليهود اليوم فهم الإسرائيليون المسالمون والذين يجب اعتبارهم جيرانًا يلزم التعامل معهم.



التاسع: تحاشى ذكر لفظ (الإسلام) فى اشتراط التعاقد على استيراد اللحوم الأمريكية والاكتفاء بلفظ (حلال).

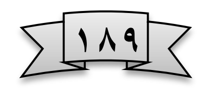
وأما عاشرًا: فالتنديد بالعمليات الانتحارية على حد زعمهم وعلى الحكومات والشعوب المجاورة لإسرائيل تعقب الانتحاريين. وهذه الجرأة المتناهية تدل على الجهل الذى ذكرناه مع عدم الفهم الصحيح والرؤية الواضحة وتلك قمة اللامعقول ولو كانوا يعقلون لاستخدموا الكلاب البوليسية لتشم لهم رائحة الخزى والعار ولأنهم أخس من الكلاب فإنهم لم يفطنوا أو ينتبهوا إلى أنهم بهذا يقدمون أنفسهم كقرابين نذبحهم متى شئنا على الطريقة التى نراها وقنابلنا البشرية – الاستشهاديون – جاهزة ومستعدة.. وقد يكون من أكثر المعقولات هو ما صرّح به رئيس كوريا الشمالية بأنهم – أى فى كوريا - لن ينصاعوا لما يسمى بالتفتيش على الأسلحة النووية والكيماوية التى لم تنكر كوريا امتلاكها وقال بالنص: إن كوريا لن تقع فى الفخ الذى نصبه الأمريكيون للبائس – صدام حسين – حين سمح لهم بالتفتيش على أسلحته ثم هاجموه ودمّروا بلاده.. وسكتت ألسنة المتقدمين – القتلة – وصفق الجميع للقيادة الكورية الشمالية لإذلالها لهذه (الأمريكة) والتى أتت إلى الوجود من سفاح السفاح...

إن صراع القيم واختلاف الأيديولوجيات ألقت بظلالها على كل الأحداث العالمية من (تهميش وتشويش وتجييش) واعتبرت العقيدة (المصلحية) والنفعية هى المنطق الواقعى والنمط الحيوى والجدّى لتحويل كل شيء وتبديل كل شيء حسب الهوى، وغالب الظن أن (العقل) فى إجازة مرضية قد تطول وقد يموت فى نهايتها..



لقد ساد منطق القوة على كل منطق فى العالم وتناقضت جميع تصريحات القادة حتى كاد أن يقتنع المجتمع بالأكاذيب فى كل دول العالم وغاب نداء العقل وكثر العملاء وارتدوا أثوابًا مختلفة مزيفة بالية.. فهل من المعقول أن تتحول الصراعات المحتدمة بين البشر منذ مئات السنين إلى (سلام وتلاحم وتواجد) بدون أن يكون ذلك مسبوقًا بأشكال من القناعات (الغير مزيفة) منها على سبيل المثال – تصفية الحسابات – وإغلاق أبواب الجدل واعتبار المصالح العامة والمشتركة هى المطلب الذى يعطى الحد الأدنى لقبول الآخر بشكل أو بآخر حتى ولو ببعض التنازلات..

إن سياسة – ضبط الفرامل – أقصد ضبط النفس وعدم اندفاعها إنما وضعت لافتقار الساسة إلى الموضوعية والتفكير بعقل إذ أن ضبط النفس لا يمنح صاحبه المقابل.. بل إنه إن قبل ذلك مرة فلابد أن يقبله مرات ومرات لأن المعتدى بانقضاضه على فريسته كأنه يقول للآخرين: احذروا وخلوا لىّ الطريق وافسحوا لى المجال فأنا صاحب الكلمة وملك الغابة – وزعيم الأغلبية – ولا يطلب منه وهو المعتدى أن يضبط نفسه بترك التمادى والإمعان فى تقطيع الفريسة ويقال عن الفريسة بعد تمزيقها: لقد أخطأت حينما تجرأت وشردت أمام القاتل.. إن سكان الكرة الأرضية أصبحوا فرقًا و شيعًا يفتقرون إلى العقل والحكمة وأن هيمنة القوى الكبرى على الشعوب وفرض الأمر الواقع لهو الكارثة الحقيقية التى لابد وأن تدمّر كل قيمة ومعنى ومبنى وتظل جحافل الطغيان فى الطغيان وقطعان الضعفاء فى الحرمان بعد منحهم درجة (خرفان) مع الاعتذار لمن ارتضوا بالسيد الأمريكى ليستعبدهم.



وقصارى ما يمكن الحديث عنه الآن هو الأمل فى الحفاظ على نقطة الحياء الباقية و عدم السباق إلى إزالتها..إن الواقع الحالى سيكون سببًا فى تغيير كل الأوضاع والمواقع مستقبلاً وستجد الأجيال القادمة من الإمكانات والحرّيات ما هو غير موجود حاليًا.. ومن يدرى فقد يفرض من التحديات ما يمكن به تغيير الأيديولوجيات نفسها ومع اقتراب الوقت والموعد يتزايد الشعور بإلغاء العقل ولو مؤقتًا لاجتياز هذه الظروف ولكل زمن ظروفه وحقيقة الحقائق هو الاعتراف بالانهزامية والانعزالية خاصة بعدما تقمص الصغار أدوار الكبار واحتمى الفجار بمن هم أكثر منهم فجورًا ونفورًا.. إن العقل لم يعد يجد من يستحق شرف الاتصاف به وحتى إن وجد من هو له أهل فهل سنجد حقا من يستطيع فهم خطابه ليتنا نعقل أمرنا ونعرف قدرنا حتى لا نؤاخذ بجرائر جهلنا و سفهنا.. قال أهل المعرفة: العقل جوهرة مضيئة خلقها الله عز وجل فى الدماغ وجعل نوره فى القلب يدرك به المعلومات بالوسائط والمحسوسات بالمشاهدة واعلم أن العقل ينقسم إلى قسمين: قسم لا يقبل الزيادة والنقصان.. وقسم يقبلهما.. فأما الأول فهو العقل الغريزى المشترك بين العقلاء وأما الثانى: فهو العقل التجريبى و هو مكتسب وتحصل زيادته بكثرة التجارب والوقائع: ولقد روى عن النبى ﷺ أنه قال: ﴿ أول ما خلق الله تعالى العقل فقال له: أقبل فأقبل.. ثم قال له:أدبر فأدبر فقال عز من قائل وعزتى و جلالى ما خلقت خلقًا أعز علىّ منك بك آخذ وبك أعطى وبك أحاسب وبك أعاقب ﴾.. وقال على بن عبيدة: (العقل ملك والخصال رعية فإذا ضعف عن القيام عليها وصل الخلل إليها فسمعه أعرابى فقال: هذا كلام يقطر عسله)..

ومعلوم أن المعارف تكسب الإنسان رجاحة فى العقل وأن التجارب تزيد من التبصُّر.. وأن الحقائق تجلىّ الطريق أمام القرارات الصعبة واتخاذ المواقف الجادة.. وأظن أن سكان هذه الكرة سوف يأتى عليهم زمن وموعد يتوارى الخلق منه بعضهم من بعض أجيالاً كانوا أو أممًا.. وأقوياء كانوا أو ضعفاء.. عقلاء كانوا أو جهلة.. إننى أشعر باقتراب الموعد والزمان والعلم عند الله فالإرهاصات تزداد وبقوة.. والشعور ينمو.. ويوم القيامة هو الموعد.. وساعة الحشر هى مكان اللقاء.. والزمن لحظة الصفر والتسليم عند الموت.. ولا غرو- عند ذلك من الخروج من الكرة ومن الدائرة.. بلا مقدمات ولا محاورة، ولا معاتبة، ولا مشاجرة، فليغتنم العاقل علمًا وحلمًا وفضلاً قبل حلول الآخرة..

إذا اشتملت على اليأس القلوب   وضاق لما به الصدر الرحيب

وأوطنت المكاره واستقرت   وأرست فى أماكنها الخطوب

ولم تر لانكشاف الضّر وجهًا   ولا أغنى بحيلته الأريب

أتاك على قنوط منك غوث   يمنُّ به اللطيف المستجيب

وكل الحادثات إذا تناهت   فموصول بها فرج قريب

الملحدون فى الأرض..

أنَّت الأخلاق من ضلالهم.. ومُزقت الضمائر من أفعالهم.. وفسدت الأجواء من نجسهم وريحهم.. وأظلمت الدنيا من أفكارهم.. ولم يعد لهم مكان فى مجالس الصالحين.. ولا منتديات العارفين.. وتلاشت بقاياهم فى حناياهم مع ثأرٍ دفين..!!

الإلحاد: هو مَيْل الطبع عن الحق.. والمراء والمجادلة فى الباطل والتمادى فى الضلال.. والملحدون دائمًا خارجون عن الفطرة وعن الشريعة بل انهم لا يستطيعون الصيد إلا فى المياه (المتعكرة) ولا يتنفسون إلا (نتنًا) ولذا ففى طباعهم جفاء.. وفى كلامهم هراء.. وأفئدتهم هواء.

وقع فى يدى كتاب يحمل عنوان (مشكلة الحياة) للدكتور: زكريا إبراهيم وتصفحته فوقفت عند أمور غريبة.. وفلسفات عجيبة فهالنى ما قرأت لدرجة أنى خفت أن يقع هذا الكتاب فى يد عابثة وفكر ضحل فتكون العاقبة وخيمة والخسارة فادحة ففى صفحة ١٦٣ من الكتاب قال ما نصه: تحت عنوان:

(ونحن نخاف الموت أيضًا لأنه يسوّى بين البشر دون ما اكتراث)

بَيْدَ أننا نخاف الموت لمجرد أنه (ذلك المجهول) الذى يحيل الكلّ إلى (لا شيء).. ونخشاه لأنه يمثل تلك القوة (اللاشخصية) إلى تحيل الذات إلى مجرّد (موضوع) وآية ذلك أن الموت لا يعبأ بالأفراد ولا يقيم أدنى تفرقة بين الأشخاص.. بل هو ينسحب على الجميع بدون تمييز ويضر الذوات البشرية – على اختلاف قيمها – بدون أدنى اكتراث ! ونحن نشعر بأنه ليس فى وسعنا أن نقوم ببعض الاحتياطات لتفادى الموت وعلى حين أن – ذاتى – بالنسبة إلىّ

هى (الكل فى الكل) نجد أن الموت لا يعبأ بتلك (الذات) التى لا يمكن أن يقوم – بالقياس إلىّ – أى عالَمٍ أو أى وجود أو أى تاريخ !! ثم يقول على لسان شوبنهاور: إن موتى الخاص يمثل مأساة (ميتا فيزيقية) لا أستطيع تجاهلها لأنها: نهاية كل شيء..نهاية شاملة حاسمة لوجودى الشخصى.. ونهاية للكون كله ونهاية للعالم و التاريخ.. أجل: فإن نهاية زمانى الحيوى هى بالنسبة إلى نهاية لكافة الأزمنه.. وانحدار إلى هاوية العدم انتهى كلامه..

هذا الكلام إن صح من وجه فهو باطل من وجوه وإن – استقر فى فهم – فقد تلاشى فى أفهام كثيرة.. فإذا تحقق أن الموت ينسحب على الجميع بلا تمييز.. ولكنه فى الواقع أمر إلهى وقضاء مبرم بَيْدْ أنه خلق من خلق الله حيث يقول الله تعالى: ﴿ **الَّذِي خَلَقَ المَوْتَ وَالْحَيَاةَ** ﴾ الملك الآية ٢ فكونه كذلك فإنه أيضًا – ينسحب – على حد زعم المؤلف – بميقات وسبب وقد يكون هذا السبب عارضًا أو غير عارض – مفاجئًا أو مترقباً.. وهذا يجعل – الأصحاء – مثلاً لا يتوقعونه قريبًا فإذا ما اعتمل المرض فى البدن و ساءت العافية تحقق نصف الموت متمثلا فى (بطء الحركة وضعف البنية وصدّ الشهية) فإذا ما تضاعفت الحالة واسودت الأجواء وبقيت بقية من الحياة كان الاستعداد للموت أكثر إقناعًا للجميع ثم يؤذن للموت بالحلول فى البدن بدل – ما تبقى من بعض الحياة – وهذه مراحل مميزة ونهايات محدودة ومعروفة.. ويدخل فى هذا الكبير والصغير الذكر والأنثى والصحيح والمريض القوى والضعيف لأن قانون الموت وحتميته يدخل فيها قضاء الله واختياره وفى الحروب نجد القنبلة تحصد أرواحًا دون أرواح.. فهل يا ترى ينسحب الكلام على من بقوا على قيد

الحياة بأنهم مُيزوا بالحياة وأخطأتهم (الشظايا) دون الآخرين ثم ينتقل المؤلف إلى الحديث عن (الحياة) فى موضوع آخر من صفحة ٢٣٦.. فيقول مبتدئًا بقول (نيتشه) عن حب الحياة:(إذا كانت هذه هى الحياة فهاتها مرة أخرى) ويعقب بقوله: (صحيح إن الحياة لا تخلو من آلام وشرور ومخاوف ومخاطر وفشل وعذاب وشيخوخة وموت ولكن هذا لم يمنع الكاتب الروسى الكبير (تولستوى) من أن يقول (ما أمتع الحياة بين القلوب التى عرفت الحب.... ولكن: أين الحب ؟ إنه فى كل شيء حى من حولى: فأنا أكره الموت.. وأكره كل شيء لا ينبض بالحياة) ثم يعقب المؤلف بقوله: (والحق أننا حين نحب الحياة.. وحين نخلق – هكذا قال – فى أنفسنا ومن أنفسنا محبين للحياة.. وحين نحاول أن نخلق – أيضًا – فيما حولنا محبين جددًا للحياة فإننا لن نملك – عندئذٍ- سوى أن نعترف بأن الحياة جديرة بأن تُعاش: وقد تكون الحياة فى نظر – الكثيرين – مجرد حلم أو وهم أو خيال أو (باطل الأباطيل) ولكنها – مع ذلك – الحلم الأوحد الذى نستعذبه والوهم الأكبر الذى نتمسك به.. والخيال الأسمى الذى نتعلق بأهدابه و (باطل الأباطيل) الذى فى نظرنا (ملاء الملاء) فلماذا يأبى البعض إلا أن يتنكر للحياة باسم (قيم) هى نفسها من خلق الحياة.. ولماذا يصر قوم على أن الحياة لا تستحق أن تعاش وهم لا يريدون فى قرارة أنفسهم سوى المزيد من الحياة.. انتهى الكلام..

وأرجح أن هذا الكلام يخفى المؤلف وراءه بعض الحقائق – والتى يمهد بها للفكر الوجودى – لسارتر والذى يرى أن الإنسان طليق فى الحياة لا تمنعه القوانين ولا الشرائع من القيام بما يراه لازمًا لسعادته بدليل أنه يعتبر – القيم –

تنكر للحياة وملاذًا يلجأ إليه التعساء.. ثم إنه يلقى باتهامه على الجميع بأنهم كارهين للحياة ضائقين بها إذ أنه يؤكد بأنه يحب الحياة التى هى (ملاء الملاء) رغم أنهم يصفونها بأنها (باطل الأباطيل).. وإذا ما كان الحب فى كل شيء حيّ فإن الكره فى كل شيء ميت.. ولا نكاد نعرف على وجه التحديد هل الحب حيّ بالحياة أم أن الحياة حية به..وكذلك الكره هل هو ميت – بالطبع – بموت الحياة فينتفيان أم أن وجوده يميت الحياة – بمعنى يجعلها باهتةً، على كل حال واضح من هذا الإشكال أن الفكرة (الدنيئة) لا يوجد لها أى تصوّر يذكر فى نظر هؤلاء جميعًا.. إذ أن الحياة لا تأتى إلا من فناء و كذلك الوجود يكون بعد العدم.. حتى الحب لا يميز إلا من الكره وهناك عوامل مشتركة واستطلاعات لا تكاد إلا أن تتلاشى سريعًا..

وعندنا أن الحياة والموت والحب والكراهية هبات وعظات وأقدار الله التى أبدعها وأودعها نواميس الكون (جل فى علاه)..

والملحدون على اختلاف مشاربهم وأهدافهم يسعون جميعًا ويركضون جميعًا فى مسعى حثيث لانتزاع الأديان والقيم والأخلاق لأن معاملهم واهتماماتهم وسط الميادين ووراء الكواليس فى المصانع و المزارع حتى المطاعم.. الملحدون ينتشرون بسرعة لأن الوجبات التى يقدمونها دائمًا (ساخنة) وطازجة كما أنها سريعة بدرجة (كنتاكى) ودسمه بنكهة (بيتزا) وهدف هؤلاء جميعًا فى المقام الأول هو – الإسلام – الذى (يعكر) صفوهم ويفسد مخططاتهم ويكشف نواياهم حين أرادوا استعمار العقول لما عجزوا عن استعمار الدول.. ولقد دعوا – فيما ادّعوا – إلى التمييز بين الإسلام العربى والإسلام الأفريقى بما أن علماء

غـرب إفريقيـة لهـم تصـورهم التطبيقـى فى الإسـلام الـذى يجمـع بـين العقيـدة والمواريث القديمة أو على الأقل الصالح منها لكى يتكون منه مع الإسلام نسيج يستطيع أن يستجيب لحاجات الحياة عندهم بما فيها من تجديد وتحديث.. وسبب الدعوة هى أنهم اطمأنوا إلى تكوين (أرضية تبشيرية) سبقوا بها علماء المسـلمين واسـتغلوا فى ذلـك تقـديم المسـاعدات الإنسـانية (اللاجوسـتية) وفى الحروب وعند حدوث الكوارث الطبيعية وسلاحهم القوى فى نشر الأفكار هو الخداع الذى يغطيه غشاء من الزبد يحمله مدُّ التاريخ الزائف فوق ظهره القوى - رغم زيفه - إنه التاريخ القصير السريع تختلط فيه العصبية والحساسية فيكون أكثر جذبًا للنظر.. وأكثر خطورة على المدى البعيد..

يقول الدكتور محمد أركون فى (تاريخية الفكر العربى الإسلامي) إن الموضوع يتــدرج ضــمن إطــار واســع كنــا قــد أسميناه الإســلاميات الكلاســيكية (الاستشراق) بقصد توجيه النظر وصرفه عن (التزييف) التاريخى وقبول الإسلام للآخر – الغير إسلامي – فى حين أنه يضرب مثلاً (مخلوطًا ومشوبًا بالظلم) يستدرج فيـه المسـلمين إلى (عبثيـة) الخلافـة الراشـدة وذلـك حـين يقـول: كـان المؤرخون السابقون والفقهاء (الثيولوجيون) قد نسجوا حكاية - على حد زعمه - مسلسـلة للأحـداث الـتى جـرت منـذ وفـاة النـبى ﷺ مؤكـدين علـى شـرعية (الخليفة) الذى كان عليه أن يتحمل مسئوليات النبى ﷺ وهذا الاعتقاد السائد الذى فرض نفسه فى حين أننا نجد تاريخيًا أن الخلافة بعد سنة ٦٦١م كانت قد اكتسبت سلطتها فعليًا وبقوة على أرض الواقع وليس قانونيًا أو شرعيًا..إلخ لاحظ أنه يقصد بعدم القانونية – أى بحدِّ السيف – وبعدم الشرعية أى –

الأمر الآلهى – و لعل د/أركون (العلمانى) لم يرد إزعاج (الأصوليين) المسلمين بقدر ما رمى إلى (تفويض أوربى) عام بقبول الآخر – الغير اسلامى – باعتراف إسلامي مهين للأسف..

والملاحدة فى أطوارهم المختلفة وخطاياهم المتعمدة والمتلاحقة يدمّر بنيانهم ويكشف زيفهم (ربط الإسلام بالنواحى الروحية) فالصلاة والصيام وسائر العبادات بالنسبة لهم – يصوِّرونها – على أنها موروثات وطقوس (يتوارثها المحمديون جيلاً بعد جيل) يؤديها أشياخهم وأصوليوهم بقصد – الحفاظ على الهوية –كما يزعمون.. حتى هذه الطقوس تُؤدىَ بانفعالات لا مبرر لها ويزعم المرّوجون لها – على حد قولهم – أنها تدخل الجنة و هم فى ذلك واهمون لأن الحقيقة أنه لا توجد تلك المزاعم التى يزعمون و يدّعون.. بل إن الأصوليين يدّعون – بعنصرية – أنهم الناجون بأعمال و أفعال يقدمونها بين يدى (الله) الذى يدينون به ويعتقدون بوجوده وأنه خالق الجنة والنار والموت والحياة وتلك مبررات ليست كافية إذ أنه (لا إله والحياة مادة).

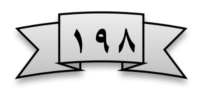
﴿ **كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ** ﴾ الكهف آيه /٥ فهذا التراث و الميراث الذى يتحدثون عنه هو دين عبادة تكفل السعادة و تبث الراحة فى نفوس العباد.. و هذه الضوابط و المواقيت التى تؤدى فيها العبادات هى (فضل وإنعام من الخالق يمنحها لعباده ليتقربوا اليه و يستمدوا منه القبول و الرضا و يذعنوا له سبحانه و تعالى بالربوبية و الهيمنة و السلطان) وحقيق بالمالك أن يوحِّده المملوكون.. و حرىٌّ بالخالق أن يعبده المخلوقون !!

ولقد قام (بتجسيد) هذه النظرة – المادية – العلمانىّ المخلص (سلامة موسى) فى كتابه (نظرية التطور وأصل الإنسان) إذ يقول فى بعض صفحات الكتاب تحت عنوان (تطور العالم): [أما عن تطور المادة فهذا ما لا يشك فيه أحد من العلماء الآن وكفى دليلاً على ذلك ما ثبت من أن العناصر تتحول.. وقد قرّر (جوستاف لوبون) بالتجربة أن المادة تفنى (أى تعود أثيرًا غير محسوس) ولكن ليس أحد يمكنه – الآن – أن يجزم فى شيء عن أصل المادة و نهايتها.. والشك أيضًا لا يزال قائمًا عن هذا الكون.. هل هو متناهٍ أو غير متناهٍ وهل مصيره إلى البرودة والجمود والسكون.. أو هل قانون التطور لا يزال يشمل عوالمه فيحدث فيها التجديد الدائم بحيث تبقى على الدوام فى تفاعل لا يحدث الانحلال فى مكان حتى يحدث التكون فى مكان آخر...].

وفى موضع آخر يقول تحت عنوان: أصل الحياة وغايتها ما نصه:[لم يئن الوقت للإجابة على هذا السؤال... ذلك أننا عشنا عشرات القرون ونحن نعتمد فى المعارف الخاصة بأصل الحياة على قصص تقليدية لكل أمة صيغتها الخاصة لها.. فللصينيين قصة وللهنود أخرى و للأتراك أخرى.. وهلّم جرّا.. وهذه القصص قد عاقت التفكير العلمى بشأن البحث عن أصل الحياة وخاصة عندما اندمغت هذه القصص فى الأصول الدينية.. لأن هذا الاندغام جعل المخالفة لهذه القصص والأساطير جريمة..]

وفى موضع أخير يتحدث عن أصل الدين فيقول:

﴿ إن التوحيد نشأ عند الأمم التى لا تحسن صناعة البناء والتماثيل والأصنام.. ولذلك ظهر بين الأمم البدوية التى تعيش فى الخيام مثل: الهكسوس



و الإسرائيليين والعرب.. والأغلب أن الهكسوس هم أول من آمن بإله واحد يجدونه فى كل مكان يترحلون إليه ولا يحتاجون إلى تمثيله فى صخر يرهقهم حمله و نقله.. أما الأمم المتحضرة – وهذا هو المهم – فكانت تجيد صناعة الأصنام تنحتها من المرمر فتخلب أفئدة المتعبدين وكانت لها هياكل ثابتة عليها كهنة وعليها أوقاف.. فكان من الصعب جدًا أن تروج بينها فكرة التوحيد.... إلخ ﴾.

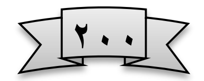
إن سلامة موسى و هو المخلص الأمين لعلمانيته و الداعية الوفى لإلحاده قد فضح نفسه فى عدة مناطق لا تخفى على عاقل أو فاحص..الأولى: عند قوله: " والشك أيضًا لا يزال قائمًا عن هذا الكون.. هل هو متناهٍ أو غير متناهٍ إلخ.. والأريب يدرك أن الكون لا يدرك كنهه ولا حقيقته إلا قديم و ما دام الكون – محل شك –عنده كما قال فهو – أى الكون – حادث وبديهى أن يكون للحادث محدث فثبت أن الكون أحدثه قادر قديم لا يشبه كونًا و لا خلقًا.. أما اعتقاده – مع الشك – أن الكون ربما يكون غير متناهٍ فنسأل: فى ماذا مثلاً ؟ أفى أطرافه أم طوله وعرضه أم فى قدمه فإن ثبت أنه حادث وله محدث فكل ما اتصف به ولزمه حادث مثله وبطلت دعوى عدم التناهى ولقد قال بذلك الدهريون كما حدث القرآن: ﴿ **وَقَالُوا مَا هِيَ إِلاَّ حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلاَّ الدَّهْرُ**.. ﴾ سورة الجاثية الآية ١٠٤.. والسماء من كون الله تعالى ومخلوقاته..

وأما الثانية: فهى عند قوله:[وهذه القصص قد عاقت التفكير العلمى بشأن البحث عن أصل الحياة وخاصة عندما اندغمت هذه القصص فى الأصول الدينية إلخ...].

وهنا نراه – مرتبكًا – وهو يحاول إيهام - العامة – بأن التفكير العلمى (العلمانى) قد أعاقه عن الوصول إلى أصل الحياة التى كان سيدركها..... اندغام وتداخل القصص والمرويات – الموروثة – فى أصول الدين فإن أصول الدين وثوابته قد تأثرت بالقصص – ولولاها – لتم الوصول إلى اصل الحياة... وتلك جرأة مقيتة ونائبة النوائب أن يحترم قائلها.

بقيت المنطقة الثالثة: وهى أشد خطورة وإلحادًا وعنادًا فهو يزعم: [أن الأمم المتحضرة كانت تجيد صناعة الأصنام و كانت تنحتها من المرمر فتخلب أفئدة المتعبدين إلى أن يقول: فكان من الصعب جدًا أن تروج فيها فكرة التوحيد].

ألا ترى معى أيها القارئ الكريم – أن هذا الـ (...) يخلب بألفاظه وتعبيراته أفئدة الأفاقين و الملحدين.. بينما – يحارب – من أجل إقناع – مسلم واحد – أو حتى كتابىٍّ منصف بهذا الهراء.. ولكن؟ فاليائسون عادة ما يركبون رؤوسهم ويجازفون بآرائهم بغية تحريك المياه الراكدة ولكن هيهات هيهات !! فكأن الأمم المتحضرة من وجهة نظره يصعب عليها التفكير فى التوحيد.. وتبقى فكرة التوحيد للأمم المتخلفة – وحدها – وهم الهكسوس والإسرائيليون والعرب.. سدّ الله فاك يا (......) وكفاك خزيًا أن تفترى على الله كذبًا !!



وثالثة الأثافى أن يقارن المذكور بين العقل والوحى مرورًا بالعلم فيقول كما ورد فى مجلة القاهرة – العدد ١٥٤ سبتمبر ١٩٩٥ ما نصه: [والعقلانية فى الفكر العربى المعاصر تعنى العمل بمقتضى العقل مقابل العمل بمقتضى الوحى.. والمفهوم لا علاقة له بالعقل والمعقول فى الخطاب السلفى ويرادفه مفهوم العلم.. وساهم هذا المنحى فى تفجير التناقض بين الوحى والعلم ونظر الليبراليون إلى العلم من ثلاث زوايا: باعتباره مجموعة من الحقائق اليقينية وباعتباره وسيلة للاقتراب من المعرفة الصحيحة وباعتباره رؤية فلسفية مادية للإنسان والعالم.. ومحور فلسفة العلم هو فكرة التطور والتعبير.. ولقد أبرز مفهوم العقلانية مفهوم النقد والتنوير والتجريب والعلم والتقدم والاشتراكية.. والمثقف الليبرالي كالمثقف السلفى فهما يعتمدان على نموذج ثقافى ولكن كيف تستطيع مجتمعات الشرق – المجتمع المصرى – تمثل مكتسبات الحرية والعقلانية والديموقراطية والعلم..].

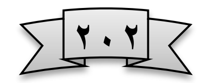
وأبلغ ردٍّ على هذا الكلام – باختصار – هو: أن الشرق كله ولا سيما – المجتمع المصرى – البرئ منه.. أخرج له لسانه وجمع إبهاميه عند أذنيه محركًا يديه ومحملقًا فى وجهه مستنكرًا لما يقول... !!

إن التطرف والإرهاب فن أجاده (الملحدون) رائيليون أو ماركسيون أو هندوس – فكلهم فى بوتقة واحدة – يتعاونون – لا على البر والتقوى – ولكن على الإثم والعدوان ومرجعيتهم فى ذلك هو (الشيطان) فإنه لما أخرجه الله تعالى من الجنة قال {فبعزتك لأغوينهم أجمعين} ثم لما علم بأن المدد لاحق بالمخلصين وعلم بعدم قدرته سلّم قائلاً: {إلا عبادك منهم المخلصين} الآيتين ٨٢، ٨٣ من سورة ص~... لقد كانت مؤهلات الشرك كلها قائمة فى الجاهلية – المعاصرة – منذ النهضة الأوربية الى اليوم – ممّا ران على القلوب من غفلة – ومن الهبوط الذى يعطل أجهزة الإيمان بما لا تدركه الحواس.. ومن

الهبوط الخلقى واتباع الشهوات ومن تحكيم غير شريعة الله تعالى.. ولأمر ما لم تؤدى هذه المؤهلات بأوربا إلى الشرك كما كان شأنها فى الجاهليات السابقة ولكنها أدت بها إلى الإلحاد..لقد كتب اليهود فى (البروتوكولات): أنهم سينشرون الإلحاد فى الأرض.. وقد نشروه بالفعل فى: الثورة الفرنسية والداروينية والثورة الصناعية والنظريات العلمية التى تهاجم الدين والأخلاق والتقاليد.. وإنشاء مجتمعات بلا دين ولا أخلاق الخ الخ..

والإلحاد بالذات هو هدف أساسى من أهداف المخطط الشرير.. فالهدف الأخير من المخطط كله هو إزالة كل دين فى الأرض ليبقى اليهود – وحدهم – فى الأرض أصحاب الدين !!

لقد كُشف النقاب عن الإلحاد والملحدين وعرفت نواياهم واتخذت ضدهم كل الاحتياطات ولم يعد هناك- أى مجال – غير الردّ والصدّ ولعل ما سقناه من أفكار – لبعضهم – وما تواتروه من جهالات ليوقظ الهمة على البحث والدرس والتعقب.. ولقد أعدّ الله لنا فى القرآن رصيدًا من الردود عليهم و مجادلتهم وإفحامهم وإبطال مزاعمهم لأن عداوة الدين من أشد أنواع العداوات فى الأرض.. والمسلم هو الذى يحيا متدينًا فى عباداته ومعاملاته مسترشدًا فى عاداته وسلوكياته يعمل لله ما وسعه العمل فهو المجازى وهو المثيب على الأعمال.. قال الله تعالى: ﴿ **قُلْ مَن رَّبُّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ * سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلاَ تَتَّقُونَ * قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلاَ يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ * سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ** ﴾ المؤمنون من الآية ٨٦: ٨٩..



وقال عز من قائل: ﴿ **تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ المُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * الَّذِي خَلَقَ المَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً وَهُوَ العَزِيزُ الغَفُورُ**﴾ تبارك الآيتين ١، ٢..فالإيمان كلٌ لا يتجزأ. به تسمو الأرواح وبه يميز الله بين الخبيث والطيب والواصل من وصله الله به والمبّعد من أبعده الله عنه والفطرة مطبوعة عليه ولا حجة لجاحد أو متساهل فبالعلم تُنال الكرامات وبالعمل تُنال الجنات.. وباليقين يُنال الأمن والثبات:

كفى زاجرًا للمرء أيام دهره — تروح له بالواعظات وتغتدى
إذا أنت طالبت الرجال نوالهم — فعف ولا تطلب بجهد فتنكد
عسى سائل ذو حاجة إن منعته — من اليوم سؤلاً أن يسرّك فى غد
ولا تقعدن عن سعى ما قد ورثته — وما استطعت من خير لنفسك فازدد
إذا ما رأيت الشر يبعث أهله — وقام جناة الشر بالشر فاقعد
وبالعدل فانطق ان نطقت ولا تجرُ — وذا الذم فاذممه وذا الحمد فاحمد
عن المرء لا تسأل و سل عن قرينه — فكل قرين بالمقارن يقتدى
ولا تبتغى وُدّ امرئٍ قل خيره — وما أنا عن وصل الصديق بأحيد
إذا أنت حمّلت الخؤون أمانة — فإنك قد أسندتها شر مُسند
ولا تظهرن ود امرئ قبل خبره — وبعد ملاء المرء فاذمم أو احمد

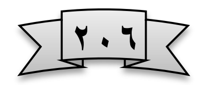
الديانـــة: روتـــارى..

منذ عشرات القرون الماضية والحديث عن الفتن والأحداث التى تسبق الساعة لا ينقطع.. والإخبار عن – الملاحم – التى تكون فى آخر الزمان لا يتوقف – ولكن – ما لبث الأمر الجلل أن أصبح وشيك الحدوث والوقوع ويدّل – تسارع – الأحداث والفتن والعياذ بالله على الانحطاط البشرى و الأخلاقى بعامة.. والتفريط فى الدين بخاصة مما عجّل و أنذر بتفاقم الأوضاع وخروجها عن سيطرة وتحكم العقلاء بل وأهل الحلّ والعقد – لحكمة أرادها الله – ودائمًا تكون للبدايات مداخل إلى النهايات لأن الابتعاد عن الدين واتخاذ الأفكار والنظم – المشبوهة – بديلاً عنه لابد وأن، يصل بالبشرية – الضالة – إلى هذا الحال.. وليت الناس يتعظون وليتهم يتعلمون ؟ فإن العاقل دائمًا من يتعظ بغيره.. فعندما يصاب ضمير الأمة بالتمزق ويطغى فيها – سرطان – الجحود والتنكر للأخلاق والفضائل فلابدّ – عند استشراء الخطر – واحتدام الأمر أن يسقط الجميع وأن تحلّ عليهم النوازل والفتن – نسأل الله السلامة – وأصل القصة يبدأ من وقت أن – أفسحنا – الطريق والمجال لتنظيمات – مشبوهة – وفدت إلى أمتنا تحمل شعارات لها بريق.. ولها مسميات يصعب على – اللبيب- أن يتهمها بسوء.. ثم كشفت الأحداث بعد ذلك أنها لم تكن أكثر من واجهات عملية لهيئات سياسية ودول طامعة كما هو مشهور عن تنظيمات مثل: (أنصار السلام) ذات الانتماء العضوى والحركى للمعسكر الشيوعى و (التسلح الخلقى) ذات الانتماء العضوى والحركى للمعسكر الأمريكى.. و (إخوان الحرية) المرتبطة بالسياسة البريطانية.. ثم تنظيم: (شهود

يهوه) وهو من صميم المنبع الصهيونى – وغيرها من التنظيمات التى منحناها ثقتنا – على غير علم – كالماسونية والروتارى والانرهويل وما شابه.. وهذه التنظيمات والمذاهب الهدامة يجب التصدى لها وردّها كرسالة تحدٍ تعد من أخطر الرسالات لإصلاح ما فسد فى مجتمعاتنا الإسلامية وحمايتها من الآفات الخبيثة التى تنشر بذور الشر من كذب ونفاق وخداع وإباحية والشرك بالله تعالى بل وتدعو إلى التخلى عن المشاركة فى أى قضايا دينية أو سياسية تهم البلاد.. وهم أناس يعيشون مسلوبى الإرادة والحماية والشهامة.. عديمى الإحساس لقضايا المسلمين والانخراط بكل ما لديهم من نعم إلهية فكرية علمية أو عملية أو مادية لخدمة المؤسسات الصليبية العالمية.. والتى هى بصورة أو بأخرى تابعة للصهيونية العالمية.. وانتظمت بعض التكوينات داخل حدود الدول العربية بل والإسلامية واخترقت كل القوانين والشرائع والأعراف المتبعة للنيل من الدين ومن القيم وأصبح خطر الماسونية والروتارى وما تفرع منهما يسرى فى الدم فى محاولة للإتيان على الكيان كله فى صور وأشكال شتى مثل: الليونز، وبنى برث، والصليب الوردى، والاتحاد والترقى، وجمعية إخوان الحرّية، وجمعية أنصار السلام، واليوجا، وجمعية حرّاس العقيدة، ومدارس الإليانس، والجامعات الأمريكية والفرنسية، و الإرساليات التُبشيرية، وكلما تكشّف أمر واحدة منها استبدلوها بأخرى واستطاعوا إخراس الألسنة بمشروعاتهم الخيرية الكثيرة والتى تجعل الإنسان فى حيرة من أمره ويقولون للمستهدفين هذه الأموال إسلامية ١٠٠% والأرض التى تقام عليها المشروعات إسلامية ١٠٠% وكل ما ينتسب إليهم من منح أو أجهزة أو معونات إنها مدفوعة الثمن مقدمًا ١٠٠% وتلك

هى الدرجة الأولى التى يستدرجون بها العميان إلى مزالق الهاوية باسم الأعمال الإنسانية والجمعيات الخيرية والمساعدات الإنسانية الخ و من خلال التحرّى الدقيق نجد أن (الروتارى والماسونية) وجهان لعملة واحدة ورغم (التحفظات) الشديدة لإخفاء – الحقائق – الهامة والأهداف العامة إلا أنه خرجت من أفواه بعض المعترفين الذين مارسوها زمنًا ثم – نجاهم الله – وانسلخوا منها وهم أنفسهم برّروا لخروجهم بطرح هذه التساؤلات:

- أولاً: لماذا حرصت أندية الروتارى مثلاً على أن يكون نشاطها شاملاً لأى مجتمع توجد فيه – بحيث يكون (الروتارى) للرجال و(الانرهويل) للنساء و (الروترآكت) للشباب من الجنسين.
- ثانيًا: ولماذا التركيز على الشخصيات ذات المكانة الخاصة فى مجتمعها المهنى دون سائر أفراد المجتمعات ؟ وهل يصح أنهم – يدخرون – لأمرٍ ما فى زمن ما ؟
- ثالثًا: لماذا أصدر (الفاتيكان) أمره للإخوة المسيحيين بتحريم الانتماء إلى هذه الأندية ؟
- رابعًا: كيف يُفسر اعتراف بعض الأعضاء بأنهم انتقلوا إلى الروتارى بعدما أغلقت الدول – المحافل الماسونية – والتى كانوا أعضاء بها ؟
- خامسًا: هل يتبرّع الأعضاء بقيمة ما يقدّمه النادى من مساعدة للحىّ الذى هو فيه أم يحصلون على المساعدة من المنظمة الأم فى الخارج ؟
- سادسًا: هل صحيح أن موافقة المنظمة الأم فى الخارج شرط لقبول من يُرشح للعضوية ؟ وما دلالة ذلك ؟



- سابعًا: لوحظ أن السادة الأطباء يشكّلون النسبة الكبرى فى تشكيلات هذه الأندية فهل هى مقصودة ؟ وإذا كانت كذلك فلماذا ؟

- ثامنًا: ما هو تبرير انتساب المجموعة التى اشتركت مع (بول هاريس) فى تأسيس (الروتارى) بأنهم كانوا فى الأصل ماسونيين ؟

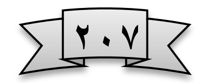
- تاسعًا: كما لوحظ أن هناك تناسبًا عكسيًا بين نشاط الروتارى وأخواتها مثل: الليونز والاكستشانج والمائدة المستديرة وبين النشاط الماسونى وأن الروتارى وأخواتها تحصل على شعبية كبيرة ويقوى نشاطها عند ضعف الحركة الماسونية !

- عاشرًا: لماذا تختار نوادى الروتارى أعضاءها ولا يسمح لأى شخص أن يتقدم لطلب العضوية ؟ ولماذا يحرم العمال من عضوية الروتارى ؟

- وأخيرًا: لماذا لا تثبت العضوية ولا يسمح لفتح فرع جديد إلا بعد استئذان الرئاسة الدولية للمنظمة.. وما دلالة ذلك ؟

ومن خلال هذه التساؤلات – أخذًا وردًا – ظهر أن السحر قد انقلب على الساحر وأن (ابتزاز) البشر وانتزاع الدين من نفوسهم لهو الخطر الأعظم..

ومما سجّله (وليام جاى كار) فى كتابه (أحجار على رقعة الشطرنج) ثم كتابه (الدنيا لعبة إسرائيل) لهو فى الواقع اعتراف بخطورة وفنون (اللعبة) وما تنطوى عليه من أفكار (شاذة) وجريئة وجهنمية حيث يقول: [إن للقوى المتآمرة حليفًا عفويًا فى قلوب الناس الشرفاء ويعنى بهم – الأشخاص العاديين الذين يؤمنون بالله – وينعمون بما أغدق عليهم من الخير فمثل هؤلاء – رجالاً كانوا أو نساء – لا يسهل اقتناعهم بأن ثمة مخططٍ للشرِّ والانتقام والحقد

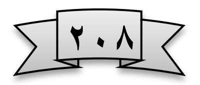


وضعته وتنفذه مخلوقات بشرية مثلهم من حاخامات اليهود ومن رؤساء المحافل الماسونية الوثنية المنحرفة]..

ومن بديهيات هذه التنظيمات: أنه لا يصح ولا يجوز (للجوهيم) أى الأجانب من غير اليهود أن يعرفوا شيئًا من أسرارها وإن عرفوا بعد الاختبار الطويل فلا يصح أن يكون أكثر مما ينبغى وإذا – عرف أجنبى – أو (جوييم) أكثر مما ينبغي وجب تصفيته.. !

وفى الكتاب الذى ألّفه (ج رينيه) بعنوان (حياة روبسبير) جاءت هذه الفقرة: [وفى اليوم الثامن والعشرين ١٧٩٤م ألقى روبسبير خطابًا أمام الجمعية العمومية الفرنسية شنّ فيه هجومًا على من أسماهم – بالإرهابيين – المتطرفين الغرباء قاصدًا بالغرباء.. جماعة الماسونية] ويعلق المؤلف قائلاً: [لقد تلفظ (روبسبير) فى الواقع بأكثر مما يجب.. ولذا فقد تعرض لطلقة نارية مزّقت فكّه..وأخرسته بصورة عملية – حتى اليوم التالى الذى حمل فيه إلى المقصلة – وهكذا تم القضاء على ماسونى من – الجوييم- يعرف أكثر من اللازم]..انتهى كلامه..

ولقد حاول (صموئيل زويمر) رئيس جمعيات التبشير النصرانى فى الحكومة – الصهيونية – أن يجسّد الماسونية ويشكل لها شخصية عالمية تجنح إلى السيطرة والتحكم وذلك بعد أن تهيأت له الظروف والأجواء بإنهاء وإلغاء – الخلافة – العثمانية بعد أحداث تركيا فى سنة ١٩٠٨م وانقلاب جمعية – الاتحاد والترقى – على السلطان المفترى عليه (عبد الحميد الثانى) وأخذ يهلّل ويشيد بالأحرار الذين سجنوا السلطان عبد الحميد الثانى فى ضاحية (سلانيك).. وفى مؤتمر القدس المنعقد سنة ١٩٣٥م وقف هذا – الصهيونى –



زويمر يقول: [أيها الإخوان الأبطال الزملاء.. ممن كتب الله لهم الجهاد فى سبيل (...) واستعمارها لبلاد الإسلام فأحاطتهم عناية الرَّبِّ بالتوفيق المقدس].. وأضاف قائلاً: [إنى أقركم على أن الذين أدخلوا من المسلمين فى حظيرتنا.. لم يكونوا مسلمين حقيقيين.. لقد كانوا كما قلتم أحد ثلاثة:

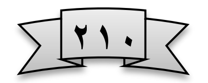
- إما صغيرًا لم يكن له من أهله من يعرّفه بالإسلام.
- أو رجلاً مستخفًا بالأديان لا يبغى غير الحصول على قوته.
- وإمّا ثالثًا يبغى الوصول الى غاية من الغايات الشخصية.

ومهمتنا – والكلام على لسانه – التى ندبتكم لها دولتنا ونحن معكم هى القيام بتغيير البلاد (المحمدية) الإسلامية وهى ليست بإدخال المسلمين فى عقيدتنا – فإن فى هذا هداية لهم وتكريمًا – وإنما مهمتنا أن نخرج المسلم من إسلامه ليصبح مخلوقًا لا صلة له بالله وبالتالى لا صلة تربطه بالأخلاق التى تعتمد عليها الأمم فى نهضتها.. لقد قبضنا – أيها الإخوان – فى هذه الحقبة من الدهر من ثلث القرن التاسع عشر إلى يومنا هذا على جميع برامج التعليم فى الممالك الإسلامية المستقلة أو التى تخضع لنفوذنا.. إن مهمتكم تتم على أكمل الوجوه وقد انتهيتم إلى خير النتائج وباركتكم (عقيدتنا) ورضى عنكم الاستعمار فاستمروا فى آداء رسالتكم فقد أصبحتم بفضل جهادكم المبارك موضع بركات الله] . التوقيع: الماسونى: صموئيل زويمر.

إن معنى (الماسونية) هى: البناء الحرّ.. والماسونيون هم: البناءون الأحرار.. وقد جاء فى النشرة اليهودية: [إن روح الماسونية الأوربية هى روح اليهودية فى معتقداتها الأساسية لها نفس المثل واللغة وفى الأغلب نفس التنظيم].

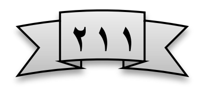
وقال حاخام – صهيونى -: [الماسونية مؤسسة يهودية فى تاريخها ودرجاتها وتعاليمها – وكلمات السر فيها – وفى إيضاحاتها يهودية من البداية حتى النهاية] كما تعرّفها النشرة الأوربية بأنها: [الماسونية الأوربية تشيِّد بناءً حيث يعيش إله إسرائيل إلى الأبد] أما الماسونى (أرنولد ليس) فيقول: [إن أمنيتنا هى تنظيم جماعة من الناس يكونون أحرارًا جنسيًا نريد أن نخلق الناس الذين لا يخجلون من أعضائهم التناسلية].... ومن الواضح أن ثعالب – الماسونية – كامنون تحت رداء كل أمة وجنسية ودين ومذهب، سياسيًا كان أو اجتماعيًا، كامنون منذ أجيال غارقة فى القدم يستعصى على الجميع تحقيقهم ومعرفتهم – فقد يستترون بجلابيب الأئمة ولحاهم – وقد يختفون خلف الدعاة والمصلحين.. أو بلباس القسيسين والرهبان على رأس الحكومات يوجدون وفى دور الصحف والنقابات يعيشون.. ولا مانع من أن يدخل بعض ثعالبها الكبار – الأزهر – أو جامع الزيتونة وكثير منهم محامون ومهندسون ورجال أعمال.. وقد ينال مركزًا مرموقًا فى (الفاتيكان) وقد يتصدر مجلسًا أو يرقى منبرًا أو يتزعّم أمة أو يقود جيشًا أو يقبع فى خلوة أو زاوية أو ديرٍ زاهدًا عابدًا متبتلاً.. ولما استعصى على الجميع معرفة من هو المؤسس لها قال الأب المسيحى – لويس شيخو – عندما سئل عنه قال: [إن مؤسسها هو الشيطان].. !!

وقد علق على هذا القول الدكتور محمد على الزعبى بقوله: [أيها الأب العلاّمة البحّاثة.. ليس شيطانًا واحدًا بل تسعة شياطين تقمّصوا من كل جيل تسعة – عاشوا بين الناس عشرين قرنًا – بألسنة تشبه ألسنة الناس] وهذا تعليق واضح البيان وقد بلغ من تلك الدعاية الشيطانية زعم مؤسس هذه التنظيمات بأنهم دعاة سلام وأنهم يحاولون إيقاظ همم الشعوب المنادية بالحرية

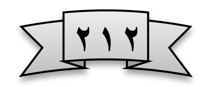


والسلام.. كما جاء فى تقرير عقب أحد المؤتمرات ما نصه: [الصهيونية هى حركة التحرير القومى للشعب الاسرائيلى.. ومنذ نشأتها و هى تناصر الحرية والتقدم.. وتعمل على تحقيق أهدافها بروح السلام والاتفاق مع شعوب العالم جميعًا..وخصوصًا مع الشعوب العربية فى الشرق الأوسط].

ولعل الشق الثانى من الشق (التنظيمى) وهو الروتارى أكثر إغراء للمتحضرين والمتخلفين والمتعلمين والجهلاء على السواء ويعنى بالروتارى – التناوب – أى أن الروتاريين تجمعهم الأخوة والصداقة ولذا فهم يتناوبون الزيارات فيما بينهم.. ويعتبر (بول هاريس) المحامى الأمريكى هو أول من (قعّد) للروتارى بولاية (شيكاغو) الأمريكية.. وقد وجدت الفكرة تدعيمًا (ماسونيًا) منقطع النظير حتى تحققت لها (الدولية) وتمركزت فى مدينة (ايلينوى) بشيكاغو.. ودعت إلى الإخاء والمحبّة والحرية والمساواة والعدل – وهى –كما نعلم – شعارات تشجع على الانضواء تحت لوائها وهى (آخر العنقود) للماسونية.. وقد تنبّه الأستاذ والمفكر الكبير – عباس محمود العقاد – إلى هذا الخطر الداهم فكتب فى جريدة الأساس المصرية الصادرة فى ٢١ من أبريل عام ١٩٥٠م – يقول: [إن إصبعًا من الأصابع اليهودية كامنة وراء كل دعوة تستخف بالقيم الأخلاقية.. وترمي إلى هدم قواعد المجتمع الإنساني في جميع الأزمان..فاليهودي (كارل ماركس).. وراء الشيوعية التي تهدم قواعد الأخلاق والأديان..واليهودي (دوركايم) وراء علم الاجتماع الذي يلحق نظام الأسرة بالأوضاع (المصطنعة) واليهودية أو نصف اليهودية..و (سارتر) وراء اليهودية التي جنح بها إلى حيوانية تصيب الفرد والجماعة بآفات القنوط

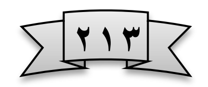


والانحلال (...) وقل مثل ذلك على اليهودي (سيجموند فرويد) الذي يرجع كل الميول والآداب الدينية والخلقية الفنية والصوفية والأسرية إلى الغريزة الجنسية.. كي يبطل قداساتها.. ولا يخجل الإنسان منها ويزهده ويسلب الإنسان إيمانه بسموّها..فتنحط- في نظره- صلاته بأسرته ومجتمعه والكون من ورائه (...) وكذلك يرّوج اليهود كل المعارف التافهة والشهوانية فينا و فى غيرنا].. يقول الصحفى كمال نجيب: وهو روتارى قديم [ليس هناك فرق بين أصفر وأبيض وأسمر أو بين مسلم ومسيحى ويهودى.. كلهم سواء من نسل آدم – عليه السلام – لا يعرف – الروتاريون – أن أحدًا منهم لا يستحق المعونة والغوث يتعرض لمحنة].. ولا شك أن ظاهر هذه الدعوة وإن بدا نبيلاً إلا أن صاحبها يدرك تمامًا معانيها ومقاصدها وأن السلام عنده كل لا يتجزأ ينسحب على كل البشر.. الغنى منهم والفقير.. الأبيض فيهم والأسود.. المسلم فيهم والنصرانى واليهودى ولم يكن هناك عجب عندما نودى بضرورة (تطبيع العلاقات) مع الإسرائيليين اليهود – قتلة الأنبياء – ومقاسمتهم طعامهم وشرابهم بل و مناكحتهم.. ومن هنا – ولا ريب- ينظر الروتاريون لشعب فلسطين على أنه الجلاد والإسرائيليون على أنهم الضحية.. هذا هو مفهوم السلام عندهم ومفهوم الإخاء والعدالة.. ومفهوم الأديان والأخلاق والعقائد..ويبقى سؤال: هل اخترق – الروتارى – جمعية الشبان المسلمين ؟ والإجابة على ذلك هى أن ذلك حدث بالفعل ونشر له فى مجلة روتارى فى عدد ٢٩٨ فبراير ١٩٨٢م قال فى المنشور د/ سعد الدين سليمان الرئيس السابق لنادى الروتارى بالزقازيق:



[دار بيني وبين إخوة متدينين منتقدين للروتارى – حوار واختصونى بالنقد لأنى أجمع بين: رئاسة جمعية الشبان المسلمين – ورئاسة وعضوية نادى الروتارى.. فبعد أن أجبتهم على ادعائهم: تناقض روتارى والشبان المسلمين.. وإلقائهم الشك والريبة على روتارى قالوا: روتارى بديل الماسونية التى هى ربيبة الصهيونية وبالتحديد بعد أن بان خبثها.. وغّيرت من وجهها وتقمصت وجهًا آخر هو - روتارى -.. قلت: معاذ الله: أين جئتم بهذا التجريح وأى دليل معكم..؟ هل اطلعتم على ملايين المصادر التى تصدر عن روتارى وضبطتم الدليل ؟ قالوا: لم نطلع ولكن هذه هى الحقيقة.

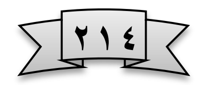
قلت: إذن لا دليل ولا حقيقة سوى إلقاء التهم – جزافًا – دون علم فاسمعوا منى التوضيح لله ثم للوطن – ثم أردف قائلاً – الماسونية تنظيم سرّى لخدمة أهداف سرِّية سياسية..أما الروتارى فهو للإنسانية الطاهرة النظيفة التى يرضى عنها الله.. وهو العمل الإنساني فى وضح النهار للأخذ بيد الإنسان وخدمة المجتمع يقوم بها أصدقاء مبرزون يحدوهم الإيثار وإنكار الذات لخدمة الغير.. زكاة منهم وتقربًا إلى الله..إن كلمة روتارى تعنى (الدور) فعندما نشأ روتارى كانت الاجتماعات تعقد فى منازل الأعضاء بالدور ولازالت تدور الرئاسة بين الأعضاء تتغير كل سنة لرئيس جديد على مستوى النادى المحلىِّ أو رئاسة المنطقة أو الرئاسة العالمية بل هى مفتوحة للجميع بالدور.. وقد بدأ (بول هاريس) فى تطبيق نظريته – وضرورى أن نظريات محمد - عليه السلام - لم تكن كافية أو أنها لم تتوافق مع أهداف (بول هاريس) الصليبى - الروتارى - فكوّن أول نادٍ فى (شيكاغو) بأمريكا باجتماعات دورية تعقد فى منازل



الأعضاء بالدور.. ولهذا سمىّ (روتارى).. ثم قلدته المجتمعات المجاورة فى أمريكا ثم أوربا ثم انتشر عالميًا فى ١٥٦ دولة..وتكوَّن أكثر من ١٩٠٠٠ نادٍ وذلك لصدق الهدف ونظافة القصد] .. فروتارى فى نظر الدكتور – وآسفاه – جزئية من جزيئات كل الأديان فهو منفذ لتعاليم السماء –كما يراه – ثم يسأل الدكتور متعجبًا و مشفقًا على المتدينين فيقول: أين الصلة بين الماسونية و روتارى ؟ اللهم اهد قومى فإنهم لا يعلمون الخ كلامه..يقول المولى عز و جل: { أفمن زيّن له سوء عمله فرآه حسنًا فإن الله يضل من يشاء ويهدى من يشاء فلا تذهب نفسك عليهم حسرات إن الله عليم بما يصنعون } سورة فاطر الآية ٨.. ولا شك أن هذا الدكتور الماسونى ما هو إلا أحد الشياطين التسعة كما قال الدكتور الزعبى.. !!

لقد اشتط الروتاريون وبالغوا حدّ المعقول والمنقول وتحدّوا كل كتاب وندّدوا بكل نبى وتجردوا من – إنسانيتهم – ليصبحوا كفرة مسحاء يدينون بالروتارى ويجاهدون فيه قائلين: [تعال كائنًا من كنت.. وثنيًا كنت أو غير مؤمن.. وابْدُ كما كنت أو كما تظهر.. ها قد بدت ألسنة الروتارية.. فهل بوسعها أن توقظنا من السبات.. (ببريق يعيد إليها الأمل).. حتى ولو فشلنا فالصلاة تعبير عن الإيمان.. بصرف النظر عن الإله الذى نتوجه إليه] هذا نداؤهم ودينهم وصلاتهم فماذا بعد ؟

وهكذا تعتصر الحسرة كل مسلم مع نداءات الكفر والضلال التى ارتضاها كل أعضاء الروتارى – من كل الديانات – منهاجًا لحياتهم. غير أن صريح الدعوة أنطقها الله على لسانهم لتكون شاهدًا عليهم أجمعين.. ومن هنا نجتهد



فى سبر غور هؤلاء القوم الذين سوّل لهم الشيطان أن يكونوا دعاة لهذا السرطان الماسونى.. مزيّنًا لهم الباطل على أنه الحق مكتفيًا بما أفاءوا به من مفاهيم مغلوطة وعباراتهم المعسولة..؟ وقد كشف الأستاذ الدكتور عبد الصبور مرزوق عن زيفها قائلاً: [انكشفت الصهيونية فى مؤتمر – بال – بسويسرا والذى عقد سنة ١٨٨٧م وحضره ما يسمى بنبى الصهاينة الأول (تيودر هرتزل) وحدّد فيه عدة قرارات عاصفة.. ومع كونها سرّية فقد شاء الله أن تذاع على العالم وأحدثت إذاعتها ضجّة كبيرة ورهيبة لكشفها عن (المخطط السرى) لهم بالاستيلاء على العالم.. فلما أذيعت الأسرار وانكشف المخطط بدءوا يغيرون اللافتة فهم فى قمة الذكاء والمهارة.. وكان من خلاصة الآراء التى أفتى بها العلماء كالإمام الشعراوى والدكتور القرضاوى والشيخ الجليل عطية صقر والداعية الإمام محمد الغزالى أنهم جميعًا اتفقوا على أن هذه التنظيمات: الماسونية والروتارية ومشتقاتها يهودية خالصة وأن (أعضاءها) كالسوس الذى ينخر فى المجتمعات الفاضلة وما هى فى النهاية إلا أجهزة وأنظمة يهودية بأيدى أشخاص آخرين مجندين لخدمتهم لإقناع الناس بفكرة الانسلاخ عن الدين بشكل تدريجى. والاستهزاء بالشعائر والارتداد التام عن دين الله.. وفى ديننا الإسلامي ثوابت دينية تبث الحب والسعادة وتنشر الخير بين البشر.. وتحث على مكارم الأخلاق والتسامح والتواصل على أساسٍ من العدل والرحمة.. ولسنا فى حاجة أبدًا إلى التسوّل أو السعى إلى تطبيق أى نظام أو فكر أو مذهب غير إسلامي.. ففى ديننا الرشد والكفاية.. والتوفيق من الله والعناية..

قـــالوا الســـعادة فـــى الســـكو ن وفى الخمـــول و فى الخمـــود

فـــى العـــين بـــين الأهـــل لا عـــيش المهاجـــر والطريـــد

فى المشـــى خلـــف الرّكـــب فى دعـــة وفـــى خطـــوٍ وئيـــد

فـــى أن تقـــول كمـــا يقـــا ل فـــلا اعـــتراض ولا ردود

فـــى أن تســـير مـــع القطيـــع وأن تقـــاد ولا تقـــود..

فـــى أن تصـــيح لكـــل وا لٍ عـــاش عهـــدكم المجيـــد

قلـــت: الحيـــاة هـــى التحـــرْ رك لا الســـكون ولا الهمـــود

وهـــى الجهـــاد.. و هـــل يجـــا هـــد مـــن تعلـــق بالقعـــود

وهـــى التلـــذذ بالمتـــا عـــب لا التلـــذذ والرقـــود

هـــى أن تـــذود عـــن الحِيـــا ض وأىُّ حـــرٍّ لا يـــذود ؟

هـــى أن تحـــسَّ بـــأن كـــأ س الـــذل مـــن مـــاء صـــديد

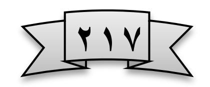
هـــى أن تعـــيش خليفـــة فى الأرض شـــأنك أن تســـود

وتقـــول: لا، ونعـــم إذا مـــا شـــئت فـــى بصـــر حـــديد..

حضرتك أصلى أم منسوخ ؟

الإنسان قيمة كبرى فى هذا الوجود و هو آية من آيات الله العظيمة بثها فى هذا الكون لتعلن وحدانية الواحد الخالق.. و تبرز عظيم قدرته و آلائه عز وجل وتخصه وحده بالعبادة لأنه رب الكون المتفرد بالجلال و الكمال و الكبرياء.. ولأن الإنسان. قيمة. فقد كرمه الله تعالى وأعلى من شأنه حيث قال فى حقه: { ولقد كرمنا بنى آدم وحملناهم فى البر و البحرو رزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا } الإسراء الآية ٧٠..وليس كما يدعى أهل البدع والضلال من أنه - أى الإنسان - منتج بشرى أو سلعة آدمية لها مزية التكريم والتفضيل. لأن الله جلت قدرته.خلق كل شيء من أجله و سخر له كل ما فى الوجود لخدمته.. ثم صيره بعد ذلك لعبادته و طاعته.. ولكن لأمر أراده الله ولحكمة يعلمها هوجمت الفطرة الإنسانية و القيم الأخلاقية بأمور لم تخطر على البال و لم يتسع لها الخيال حتى أن (العاقل) - بَلْهَ — المسلم ليقف حيالها حائرا مندهشا يكاد أن يخرج من وعيه و ثباته.. يا سبحان الله.! ما هذا الذى حدث ؟ و ما هى أبعاد و نتائج هذه (الهجمة) على الفطرة وعلى الطبيعة الإنسانية !!

يقولون إن العلماء توصلوا إلى — إمكانية — و حدوث استنساخ فى البشر..! استنساخ فى البشر !! انه كلام مروع و مخيف.. كيف؟ و لماذا؟ والصدمة–أقصد– الهجمة بدأت بفكرة همجية تقول إن عالمة فرنسية تتبع جماعة دينية كونها صحفى رياضى فرنسى يدعى (كلودفورليهون) فى العقد السادس من عمره و يعيش فى أمريكا أصدر كتابا يحمل هذا العنوان (نعم. للإستنساخ



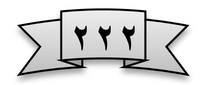
الآدمي) وكان مما جاء فيه: أنه شاهد رؤيا تبشره بأن البشر جاءوا إلى الأرض من كوكب فضائى منذ خمس و عشرين ألف سنة و أنه سيعمل لعودتهم إلى هذا الكوكب و تسمى باسم (رائيل) و أتباعه هم (الرائيليون) و الذين تأسست طائفتهم عام ١٩٧٥م و لم يكن أحد يكترث بها إلى أن دخلت مجال (الاستنساخ) البشرى. مفتاح الحياة الأبدية. على حد زعمهم.. و يعيش معظم أتباع هذه الطائفة فى (كيبك) بكندا. حيث منحوا وضع (دين) و مقرها العالمى فى (أمريكا و سويسرا و فرنسا) و قال مؤسس الطائفة موضحا كيف واتته الفكرة و التكليف: انه أثناء توقفه عند أحد (البراكين) شاهد (رائيل) ضوءًا أحمر يومض من سفينة فضاء فتحت بابها لتكشف عن كائن أخضر له شعر أسود طويل و أنه لمجرد أن صعد لسفينة الفضاء إلتقى مع – روبوتات – أنثوية مثيرة و علم أن مخلوقات فضائية تسمى (إيلوهيم) خلقت – معاذ الله – أول كائنات بشرية باستنساخ نفسها و أبلغت المخلوقات التى كانت تتحدث الفرنسية بطلاقة (فورليهون) مؤسس الطائفة أن يبدأ حركته الدينية خلال لقاءاته معهم.. مما جعله – بعد – يقدم نفسه على أنه نبى و يدعو إلى تفسير علمى للكتاب المقدس.. واكب هذا استنساخ النعجة دوللى عام ٩٧ مما جعل (الرائيليين) يؤكدون بأن الحياة على الأرض من فعل خبراء فى علم (الوراثة) أتوا من كوكب آخر كما تؤكد عقيدتهم.. وأعلنوا فورا عن إنشاء مؤسسة (كلون إيد) كأول مؤسسة للاستنساخ البشرى من قبل (بريجيت بوا سولييه) ولخصوا عقيدتهم فى كتاب يحمل عنوان: الرسالة الأخيرة وقالوا فيه: إن مفهوم الرب لديهم و الذى يدعى باللغة العبرية (إلوهيم) و يعنى أولئك الذين جاءوا من

السماء بدلا من الرب ليخلقوا الحياة.. وأن (رائيل) هو الشخص الذى اختاره (الإلـوهيم) لينقـل أخبـار الجـنس البشـرى إلى النـاس علـى كوكـب الأرض.. و حاول (كلود فور ليهون) مؤسس الطائفة أن يقنع البشر بجدوى هذا التكليف فقـال: انـه خـلال جلسـاته مـع القـادمين مـن الفضـاء علـم أن البشـر خلقـوا فى (مختـبرات) علـى أيـدى أنـاس مـن كوكـب آخـر متمكنـين مـن علـم الوراثـة و بيولوجيا الخلايا وأن الخالقين هـم – الإلـوهيم – ومفردهـا (إلوهيـا) و يقـول إن ترجمتهـا هـى (أولئـك الـذين جـاءوا مـن السـماء).. كمـا يشـير إلى أن المعلـم المخلص كلفه إلى جوار نشر الرسالة التى تبين أصل البشرية بأن ينشئ سفارة فى القـدس لرغبـة (الإلـوهيم) فى النـزول إلى الأرض ومقابلـة زعمائهـا لكـى يمنحـوا أولئك الزعماء من تقنياتهم البالغة التعقيد و منذ عام ١٩٩١م تقدمت منظمة (الـرائيليين) بطلبـات عـدة للكيـان الصـهيونى و تسـعى لـدى الحاخـام الأكـبر للحصـول علـى قطعـة أرض فى القـدس لبنـاء السـفارة المزعومـة عليهـا.. و مـن العبارات الصارخة قول مؤسس الطائفة: (إن استنساخ البشر سيسمح للبشرية يوما بتحقيق الخلود عبر السماح بتجديد وعائها الجسدى بانتظام) تلك كانت بداية الفكرة. و لكن ما الذى حدث بالضبط ؟ الذى حدث هو ثورة عالمية عمـت الكـرة الأرضـية بـين مؤيـد و معـارض و بـين موافـق و مجـرّم و ذلـك إثـر إعـلان العالمة (بريجيت) الفرنسية الأصل والمقيمة بأمريكا –كما ورد فى النشرة العلميـة – عـن ولادة أول طفلـة مستنسـخة فى العـالم و قـد أطلقـوا عليهـا اسـم (الطفلـة إيـث) و ذلـك مـن خليـة جلـد أمهـا و الـتى تبلـغ مـن العمـر واحـدًا و ثلاثـين عامـا.. ممـا حفـز أكثـر مـن عـالم و باحـث عـن النيـة لاستنسـاخ آلاف

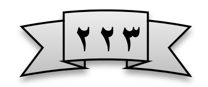
البشر.. ومن هؤلاء المتحفزين الايطالى (أنيتنورى) الذى بادر وبشّر العالم بولادة أول طفل مستنسخ على يديه فى يناير ٢٠٠٣م. فى نفس الوقت أعلن عن استنساخ القطة (سيسى) ليصبح الأمر بذلك واقعا لا مفر منه.. وَقَوَت بذلك دعوة)المؤيدين) و اعتبروا ذلك – حسما – لمشكلة العقم خاصة وأن الحال فى الاستنساخ لا تحتاج المرأة الراغبة فيه فى صناعة – نسخة – منها إلا بالاعتماد على نفسها فقط دون حاجة إلى ممارسة طبيعية مع جنس ذكورى رغم أن هذا (المنسوخ) سيكون بلا هوية لأنه مجهول.. ولا يعرف له أى مسمى نسبى فهل هو توأم أم ابن أو هو مجرد كائن ؟.. و هل ستنتقل إليه صفات (المستنسخ منه) أم لا ؟ لم يُعِره أحد من – المؤيدين – أى اهتمام لهذه المشكلات و ما يترتب عليها أخلاقيا أو اجتماعيًا. المهم عندهم أنها طفرة علمية يجب – فى نظرهم – تلقيها بالقبول.. بل و التصفيق الحادَّ لها رغم المخاطر الجمّة.. و لقد حذرت كل الحكومات من خطر (الاستنساخ) واعتبرته جريمة يعاقَب مرتكبُها.. و لكن أحدا لم يجد مانعًا من (استنساخ) أعضاء بشرية (تعويضية) يمكن الانتفاع بها بنقلها إلى المحتاجين و إلى المرضى و من هم فى حاجة إليها و أسمَوْه – الاستنساخ غير التكاثرى – كما جوّزوا الاستنساخ – غير البشرى – لتحسين السلالات الزراعية و المحاصيل المختلفة.. و النسخ يطلق و يراد به النقل– كما يقال – نسخ الكتاب: أى نقلت صورته إلى كتاب آخر قال الله تعالى: { إنا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون } الجاثية، الآية ٢٩.. كما يطلق و يراد به الإزالة.. يُقال: نسخت الريح آثار الأقدام – أى أزالتها – قال الله تعالى:{ ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها } البقرة / ١٠٦..

و النسخ بمعناه الأول و هو النقل هو المراد فى هذا الموضوع – الشائك – و هو الاستنساخ الحيوى أو اللاجنسى أو البشرى. وعرّفه الدكتور هانى رزق بأنه: (توالد لا جنسى لا يحدث فيه إخصاب لبيضة الأنثى بنطفة الذكر.. فالخلية فى التوالد اللاجنسى تشرع فى تكوين الجنين.. ومن ثم الفرد البالغ دون مشاركة الذّكر. أى أن الفرد المستنسخ لا أب له).. وعلى الرّغم من تحريم هذا النوع من الاستنساخ إلا أن علماء الشريعة الإسلامية جوّزوا الاستنساخ بشروط فقد قال الأستاذ الدكتور عبد الصبور مرزوق: إذا وصل الاستنساخ لتصنيع أعضاء الإنسان فهذا جيد.. وهذا أيضًا رأى الدكتور نصر فريد واصل الذى قال: (إذا كانت التجارب العلمية تسعى وراء مصلحة للإنسان.. سواء فى العلاج أو الغذاء أو الدواء.. فأهلاً بها.. و لا يمكن أن نرفضها مثل نسخ أو استزراع الأعضاء البشرية و نقلها لمن يحتاجها من البشرية).. واتفق العلماء على أنه إن فرض إمكان ذلك (أى استنساخ الأعضاء البشرية) فليس هناك ما يمنع شرعًا من استخدام –التقنية – التى يتحقق بها ذلك –كما يجوز – تصنيع الأعضاء البشرية (معمليًا) بالتقنية التى أشار إليها العلماء بشرط أن لا يترتب عليها الاعتداء على آدمىّ حىّ أو تشويه صورته أو الإضرار به أو الاعتداء على جنين فى أى مرحلة من مراحل تخلقه.. و لم يكن اعتداء على حيوان محترم لغير منفعة معتبرة شرعًا أو تشويه أو تعذيب له للنهى عن إلحاق الضرر بالآخرين فيما روى عن ابن عباس - رضى الله عنهما – أن رسول الله ﷺ قال: ﴿ **لا ضرر و لا ضرار فى الإسلام** ﴾.. و النهى عن الاعتداء على الآخرين إذ قال الله سبحانه وتعالى: ﴿ **وَلاَ تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لاَ يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ** ﴾ المائدة، الآية

٨٧.. والنهى عن تعذيب الحيوان أو قتله لغير منفعة مشروعة.. إذ روى عن ابن عمر – رضى الله عنهما – أن رسول الله ﷺ قال: ﴿ **عُذبت امرأة فى هرّة أوثقتها فلم تطعمها ولم تسقها و لم تدعها تأكل من خشاش الأرض** ﴾ كما روى كذلك عن ابن عمر – رضى الله عنهما – أن رسول الله ﷺ قال: ﴿ **ما من إنسان يقتل عصفورا فما فوقها بغير حقها. إلا سأله الله – عز و جل– عنها.. قيل و ما حقها ؟ قال: يذبحها أو يأكلها و لا يقطع رأسها فيطرحها** ﴾ وفى رواية أخرى من حديث عمرو بن الشريد عن أبى بلفظ (من قتل عصفورًا عبثًا عجّ إلى الله يوم القيامة.. يقول: إن فلانًا قتلنى عبثًا و لم يقتلنى منفعة).. فاستنساخ الأعضاء يمكن أن يكون بديلا شرعيا للاعتداء على أجسام الآدميين الأحياء. و قد أبدى جميع علماء الشرع تخوّفهم من قضية (استنساخ البشر) على هذا النحو الذى – روّج – له الرائيليون و قطعوا بحرمته وطالبوا جميع الحكومات بمنعه.. واعتبروا أن السماح بإجراء تجارب – الاستنساخ الجيني – العلاجى تحت ما يعرف بالطب التجديدى بدعوى معالجة الكثير من الأمراض التنكسيّة باستخدام الخلايا الجذعية الجنينية سيؤدى إلى مخاطر فى مقدمتها (اختلاط الأنساب) مما يهيئ لجرائم التزوير وانتحال الشخصيات فضلاً عن الأمراض الجسدية و النفسية التى لا عهد للإنسان بها وظهور مجتمعات بربرية شكلاً و مضمونًا.. مما سيشعر المجتمع بما يسمى (الحس التماثلى) مع أن الفطرة مبنية على ضابطىْ (الجنس والاختلاف) والحقيقة أن الفرد ليس مرادفًا لغيره بصورة أو بأخرى بقدر ما هو مميز عنه – بصورة أو بأخرى – فى طبيعته وسلوكه.. يقول الدكتور مصطفى إبراهيم فى



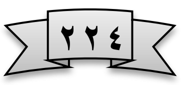
كتابه (استنساخ الإنسان) و الذى تُرجم للمحرريْن: (مارتاس نسبوم.. و كاس سانشتين) تحت عنوان (إنسان فيليبس): اعتاد صبى فى السادسة عشر من عمره أن ينتقص من شأن بعض زملائه الذكور بأن يصفهم بالنسائخ. فهم فى رأيه أولاد أحرص كل الحرص على إرضاء مدرسيهم وأجبن من أن يتحدّوا والديهم وذكر هذا الصبى ذات يوم أنه يريد له صاحبة له تكون نسيخة له قائلاً:(تكون مثلى تمامًا بحيث تكون لدينا أمور كثيرة مشتركة.. و على أى حال فإن البنات بارعات جدًا فى أن يكنّ نسائخ) وسئل عما يعنيه من براعة البنات فقال: (أن يكن مثل من يُحبِبْنَه) فإن كان هذا أمرًا حقيقياً فهل ستدرك بعض البنات مدى خوف الصبيان منهن..! ولما وُجه الصبى بهذا السؤال أجاب: حسن أنا لا أخاف منهن و هذا هو السبب فى أنى أريد صاحبة نسيخة..و طُرح عليه سؤال: و لكن ما الذى سيفعله معا شخصان يتماثلان بالضبط ؟ فأجاب بتعثر: إنهما بالطبع لن يتمكنا من أن يسأل أحدهما الآخر.. لأنهما سينالان الإجابة نفسها و هما – عندئذ – فى حاجة إلى شخص ثالث.. إنهما مازالا فى حاجة إلى شخص مختلف !! و لكنه قال فجأة فى ابتهاج: نعم: أنا و نسيختى سنحتاج إلى أىّ منكما ليرشدنا..!! ويستطرد المترجم: إن الاستنساخ يستعمل للالتفاف حول التاريخ وأن التاريخ – كاختلاف – قد قضى عليه ولا يمكن للناس أبدًا فى الواقع أن يكونوا متطابقين بأن يكون أحدهم مثل الآخر أو مع الآخر.. و لعل هذه الرغبة العنيفة فى التطابق المطلق - والتى لا يمكن إرضاؤها حتى و لو بالاستنساخ الحقيقى – تخفى وراءها شكّا عميقًا فى كوننا مشابهين لأى شيء..فقد سئلت طفلة



عمرها ثمانية أعوام ماذا لو كانت أختك تماثلك بالضبط؟ فلعلك كنت تستطيعين الذهاب إلى المدرسة..؟ فأجابت بشئ من الاستمتاع: (نعم: سأتمكن أن أكون فى البيت و فى المدرسة فى الوقت نفسه.. فى كل الأمور) ثم انتهى المترجم بقوله: ففنّ استنساخ الذات هو محاولة لإيقاف الزمن عن طريق قتل الرغبة و عندما أكرّر نسخ نفسى..(سأبقى و أنا لا أجد شيئًا آخر.. وسأعتمد أنا على شيء غيرى أنا نفسى من أجل أن يربينى بالفعل....) انتهى كلامه.

إن تهميش الإنسان أو محاولة – تشييئه – ليعد خرقًا أساسيًا لكرامة الإنسان وعندما يعامل الأفراد الذين يكونون مصدرا للمادة الوراثية لما يسمى – بالاستنساخ – على أنهم مجرد أشياء أو وسائل أو ذرائع. وكذلك يعامل الأفراد المستحدثون بالاستنساخ بالطريقة نفسها فإن هذا فيه فرق للمبدأ الدينى عن كرامة الإنسان.. كما يخرق أيضًا – مع ذلك – المبدأ العلمانى بالاحترام للأشخاص.. و استنساخ البشر يتضمن بالضرورة (تشييأهم) كما يرى ذلك بعض المفكرين الدينيين. و ذلك لأن المستنسخ يعامل كـ" شيء يتم تداوله أو جهاز يتم تصحيحه أو مركبة يتم تدشينها.. كما أن الاستنساخ يسبب احتمال التخلص من الزواج و يسبب أيضا فهمًا غريبًا لدى البشرية و هو: محاولة تصميم هوية الطفل ذاتها ومحاولة التحكم فيها.. و يصير شيئًا بلا فكر و لا ذكر تحركه الأصابع و الأزرار كما تحرك جهاز الراديو و التلفاز.. و تتحكم فى ماركته (فيليبس أو ترانزستور).

وباختصار فإن استنساخ البشر خطأ كبير.. لماذا؟.. لأنه يعرّض أفراد البشر وهم فى أضعف حالتهم وفى صميم حالة ظهورهم إلى الوجود.. يعرضهم



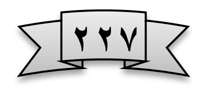
للنزوات التعسفية للآخرين و لسلطات الآخرين و لتداول الآخرين لهم.. كما يعرّض الأصل – للخصخصة – البشرية لإبراء نفسه من (التلاعب والتداول) حتى لا يُسأل يومًا مثلاً و يوجَّه إليه هذا السؤال المباشر: حضرتك أصلى..أم منسوخ..؟ إن الاستنساخ يدور حول (التحكْم).إنه يدور حول إدخال إمكان – التنبؤ و النظام – إلى تلك المغامرة الخطيرة التى لا يمكن التنبؤ بها – أى إلى الحياة – و إذا كان الإنسان الطبيعى يغوص عشوائيا فى بركة مستودع من (الجينات) فإن الاستنساخ يشابه نظامًا أُعّد بعناية و هنا يكمن السبب فى أنه – شيّق و مرغوب- لأنه نظام حسب الطلب. كما أنه أيضا يُطلب حسب حاجة – السوق – وحسب الرغبة و الموديل وهذا تدّخل سافر و شديد القسوة فى كل الظروف.. و هذا و إن كان علمًا إلا أنه لا يخدم البشرية و لا يخدم الآدمية – علم ضار غير نافع مخُوفٍ غير آمن – إلا أن الاستنساخ البشرى فى فكر المجتمع الغربى – فكر الآخر – يحاول السيطرة علينا وعلى فكرنا بمزاعم عن العولمة و عن نظام كوكبىّ – هلامىّ – لم يُعرَف بعد رأسُه من ذيله.. وهو فكر ينبغى علينا أن نعرفه و ندقق فى معرفة تفاصيله بكل ما فيها من مزايا وعيوب مهما كان فى هذا الفكر مما يصدمنا بغرابته وشذوذه عن فكرنا و تقاليدنا.. فهذه المعرفة بفكر الغرب أو فكر الآخر عمومًا هى التى ستمكننا من مواجهة أضراره و التصدى له فكرًا وإبداعًا و إنتاجًا لنكون نحن – المسيطرين – على حياتنا بمنهج أساسه الفعل والتفعيل وليس رد الفعل وحسب.. فالاستنساخ و ما يقال من أنه مجرّد تخيّل أو خيال يتطلب الوقوف أمام الأمر بجدية لأن العمل جارٍ و مستمر و لا يعلن عنه. و قد يفاجأ الجميع بفرضه علينا أو قد نسعى نحن – فى ظل هذه الزوبعة – إلى البحث عن المدافعين عنا والمخلصين لنا فى وقت نملك فيه الآن – على الأقل – من المنطق و الآليات ما نستطيع به توعية الجماهير.. حتى لا يأتى يوم يباع الإنسان فيه

بالقطعة واختيار اللون و الجنس.. إنها أشياء مقززة أن يُتاجَر فى إنسان (مهدر الكرامة) بحجة – الانبهار العلمى – مقزز فعلاً أن تعقد صفقات (تجارة العلم) ولا نعرف أين صوت لجان حقوق الإنسان هذه المرة.. أو هل ستُكوَّن لجانٌ لحقوق (المنسوخين) و هل يا ترى سيكون رئيس هذه اللجنة (منسوخ) هو الآخر؟ لقد جرى حتى – الآن – الإعلان عن مشروع قانون يجعل الإقدام على (كَلْونَةِ) البشر.. وهو (التكاثر البشرى اللاجنسى) أمرًا غير قانونى على مستوى العالم.. حتى إن أساقفة – إنجلترا وويلز – قالوا محذرين: إن لكل إنسان الحق فى أبويْن (بيولوجيين) طبيعيين و من ثم لا يجوز إهدار الحق عن طريق استنساخ الإنسان..!! إن الله – تعالى – قد أقام نظامه فى الكون على أسس معينة قال تعالى: { فطرة الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله } الروم، الآية ٣٠.. و قال أيضًا: {وأنه خلق الزوجين الذكر والأنثى. من نطفة إذا تمنى} النجم، الآية ٤٥، ٤٦.. و الخروج عن الطبيعة خروج على كل النظم الكونية والطبائع الإنسانية حيث قال الله تعالى: {وهو الذى خلق من الماء بشرًا فجعله نسبًا وصهرًا وكان ربك قديرًا} الفرقان، الآية ٥٤.. ومخالفة مراد الله عز وجل اتباع للشيطان حيث قال على لسانه: ﴿ **وَلأُضِلَّنَّهُمْ وَلأُمَنِيَنَّهُمْ وَلآمُرَنُّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ آذَانَ الأَنْعَامِ وَلآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللَّهِ..** ﴾ النساء، الآية ١١٩.. ولقد أصدر مجمع البحوث الإسلامية قرارًا حرّم فيه (الاستنساخ) البشرى بكل أشكاله واعتبره علمًا غير مفيد أو نافع للبشرية.. وطالب المجتمع الدولى و الهيئات العلمية الكبرى على مستوى العالم بوجوب إيقاف هذا الخطر المدمر للإنسانية إن العالم الآن يئن – تحت وطأة – اللادينيين واللاأخلاقيين بعواقب مدمّرة و مهلكة سوف تأتى على الأخضر و اليابس... وما (الرائيلييون) وغيرهم إلا مقدمه لآخرين ربّما يدّعون (النبوّة) وأن بإمكانهم أن يصنعوا (رونالدو للكرة.. وفان دام لأفلام الأكشن ومحمد عبد الوهاب للغناء)

و بالتالى يستنسخون (موسولينى و هتلر وتاتشر) وغيرهم من ديكتاتوريي العالم و (شارون و بوش) من قتلة الأبرياء ولن يُستَغْربَ – فى وقت لاحِقٍ لا قدر الله – أن يصنع الرجل لنفسه زوجة أو خدينة أو أن تصنع المرأة لنفسها زوجًا أو خدينًا.. إن قضية (الاستنساخ) و فكرة الاستنساخ غاية فى (الضحالة والجهالة..بل هى شيطانية) فهل يمكن أن يدور هذا بخلد أحد إلا إذا كان شيطانًا رجيمًا ملعونًا.. يريد (إفناء) البشر باستحداث بشر..!! بل يريد إفناء) العالم باستنساخ عالم آخر..

وتحدّثنى نفسى بأن هذه هى بداية النهاية.. نعم: هذه هى بداية النهاية !! أودِّعك يا صاحبى الأصلى قبل – النسخ – و صدقنى فأنا حتى الآن.. لم أُنسَخ بعد.. فتذكرنى – دائما – قبل النسخ و بعده:

هل فى الخلود إلى القيامة مطمعُ	أم للمنون عن ابن آدم مَدْفَعُ ؟!
هيهات ما للنفس من.. متأخرّ	عن وقتها لو أن علمك ينفع ؟
أين الملوك وعيشهم فيما مضى	وزماهم فيهم وما قد جَمّعوا ؟
ذهبوا.. ونحن على طريقة من مضى	منهم فمفجوع به.. و مُفَجّعُ
عَثُرَ – الزمان – بنا فأوهى عظمنا	إن الزمان بما كرهتُ لمولَعُ



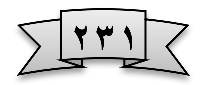
ذئاب العَــــوْ .. عَوْلمة..

ليس أمامك – أخى القارئ – إلا أن ترفع يديك إلى الله سبحانه و تعالى وتقول: ليس لى إلاّك ربأ.. فكن عونى على هذا الزمان !! لقد خرجت (الوحوش) من مكانها والأوبئة من بُؤَرها و الأسود من أقفاصها و العملاء من مخابئهم ليُدَكّ كل شيء على وجه الأرض.. أمام هذا الزحف القاتل والدمار الشامل الذى طالب الجميع بالدخول إلى – المخابئ – و إلا فلا حلّ – هناك – إلآ القتل و الفتك !!.. لك أن تقف - مبهوتًا ومذهولاَ- أمام هذا الجيش الجرار تتقدمه ديناصورات – آلية – من طراز (الأمركة) و (الدلورة) و (المكدلة) و(الكَوْكَلة) و (العلمنة).. وربما (الخصخصة) وإذا حاولت التعرف على أى – ديناصور – منها فلا تجهد نفسك كثيرًا لأنك فى الواقع تعيش وباءها وفسادها ورياحها. فهى فى حياتك فى طعامك وشرابك هى فى هوائك.. ومع أنفاسك.. هل تتصور هذا ؟.. يقول المبشرون بقدوم (الديناصورات) والمرّوضون لها: إن المجتمعات ذات التجانس العرقى.. و الانسجام العنصرى.. والتوافق الثقافى مهددة بخطر الجمود والثبات والتخلف وفى سبيل الترويج لأفكارهم يعيدون تعريف الهوية الوطنية.. و تحديد معانى المصطلحات الاجتماعية والسياسية. مثل الهجرة و المهاجرون والهوية والتراث والجذور.. و يدْعون إلى إعادة اختراع التاريخ بحيث تتم (صياغة) الأساطير الوطنية و الموروثات التاريخية بالشكل الذى يفسح المجال إلى تعدّد انتماءات الأفراد والجماعات وتعدد الولاءات بين أكثر من وطن و أكثر من ثقافة للخروج بفكر هو أمشاج (و أخلاط دينية و ثقافية وعرفية وعرقية) وبالأحرى

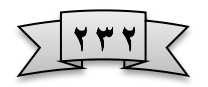
يهدفون إلى تحقيق مجتمع هجين مختلط الأعراق و العناصر بحيث لا تكون هناك – جذور – محلية (وطنية أو دينية أو لغوية) تربط الإنسان بوطن بعينه أو أمة محدّدة أو بلاد واحدة.. وليت هذه الدعوة (المدمّرة) تنطلق على أساس أخوة البشر و المساواة ولكنها (تحديدًا) دعوة موجهة لمثول (الفريسة) بكاملها بين يَدَيْ القناص ليغرس فيها أنيابه السامّة.. دعوة لاقتناص (جميع الموهوبين) فى العالم لخدمة القناص واستدرار عطفه.. والبَوْح عنده بأدق الأسرار و يقولون إنها (عَوْلَمةٌ) يراد بها كسر الحواجز وهدم الأسوار العظيمة و خلع الحواجز النفسية من النفوس و التأهب للدخول فى المنافسات الشرسة و تمهيد الأرض أمام الشركات المتعددة الجنسيات (لا القوميات) و فتح المجال أمام الشراكة العالمية.. و هم فى الواقع يبحثون عن (العمالة) الرخيصة التى يعبرون عن طريقها إلى جميع قارات العالم.. وتحدث (المعولمون) كعادتهم عن الفضائيات و السماوات المفتوحة و الأرض المدحّوة و الانقلابات العسكرية و اللقاءات (الجنسية).. لقد كشف المستور (عالميًا) لقد بالغ هؤلاء فى الدعوة إلى مسخ الذات البشرية لصالح القوى الكونية المتوحشة التى لا تريد الاكتفاء بالسيطرة على موارد البشر و لكنها تطمح (كما نعلم) إلى عولمة ذواتهم و مسخها وهم يضعون الجذور (أمام العواطف الملتهبة) للاعتراف بالآخر كما يدّعون على الرغم من عدم اعترافهم بنا (أساسًا) لأنهم لا يقبلون منّا صرفًا و لا عدلاً و يقولون إن الآخر المختلف معنا ليس بالضرورة أن يكون عدواً و يضربون لذلك (مثلاً) يقول: [ما الذى استفاده الراعى البدوى فى (منغوليا) و هو لا يزال يعيش فى خيامه (المستديرة) التى عرفها منذ أيام جنكيز خان ؟] و يقولون: ان

الفـلاح المصـرى لـرهين ظروفـه التعسـة علـى الـرغم مـن أنـه عـرف التليفزيـون والتليفون فماذا جنى من الثورة فى عالم الاتصالات و المعلومات !! و ما ذنب هؤلاء البؤساء الذين يتقاتلون بلا هدف فى أفريقيا !! لابد إذن من ثورة على الواقع.. إن دعاة العولمة والأمركة و العلمنة (خلت عقولهم) من النور إذ كيف تأتى هذه الأخلاط (المجتمعة) بجديد يحث على التنافس والتجدد فيما ينحصر الإبـداع (كمـا يقولـون) فى بوتقـة واحـدة بفكـر موحـد و نهـج موحـد و خـط موحـد.. و مصـطلح العَوْلمـة يعتـبر مـن المفـردات الأكثـر رواجًـا فى نهايـة القـرن العشـرين و قـد بـدأ ظهـوره فى أوائـل السـتينات بعـد ظهـور كتـاب للمؤلـف (مارشـال لوهـان) وكتـاب آخـر لمؤلـف يـدعى (كنـتن فيـون) إضـافة إلى كتـاب (زبيفنيـو بريجنسـنكى) والكتـاب الأول ينطلـق مـن تجربـة (حـرب فيتنـام) والـدور الـذى لعبه التليفزيون فيهـا ليسـتنتج بـأن الشاشـة الصـغيرة حوّلـت المـواطنين مـن مجرّد مشـاهدين إلى مشـاركين فى اللعبـة.. الأمـر الـذى أدّى إلى اختفـاء الحـدود بـين المـدنيين و العسـكريين و هـذا نـوع مـن التغـير الإجتمـاعى.. كـذلك كـان التليفزيون فى حرب الخليج الثانية أكثر إيقاعًـا و توضيحًـا للرؤيـة العالميـة.. أمـا بريجنسنكى فقد فضل ضرورة إيجاد (مدينة كونية) وليس قرية لأن مفهوم العودة إلى الجماعة والألفـة المرتبطـة بالقريـة لم يبـدُ مناسـبًا للدلالـة علـى البيئـة الدوليـة.. وإذا كـان مفهـوم العولمـة ظهـر فى السـتينات فقـد راج فى الثمانينـات وتـألق فى التسعينات و هذا يعبر عن حقيقة قديمة تمتد جذورها فى عصر النهضة الأوربية عندما بدأت القوى الأوربية تنشر نفوذها خارج القارة القديمة فتظهر أشكال الإمبرياليـة الغربيـة كمـا هـى متجليـة فى أنـواع الاسـتعمار المختلفـة ومـن هنـا يـرى

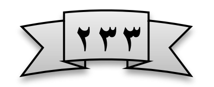
بعض الباحثين أن العولمة هى: (امتداد لما بعد الاستعمار) وأنها أيضًا استثمار مكثف للتفوق الغربى (لتدمير) التنوّع الثقافى العالمى بنيّة تسهيل السيطرة و لم يعد الأمر يقتصر على إسهامات الاقتصاديين وعلماء السياسة أو المهتمين بالشئون العالمية بل تعدّى الأمر ليشمل إسهامات الاجتماعيين و الفلاسفة و الإعلاميين و الفنانين و علماء البيئة والطبيعة ولاغرو فى ذلك فإن قضية "العولمة " لها من الجوانب و الزوايا الكثير مما يثير اهتمام كل هؤلاء جميعًا.. و مثلما تأثرت سيادة الدولة بفاعليات العولمة وتداعياتها تأثر مفهوم الدولة كذلك ليخرج عن نطاق المحلية إلى نطاق أشمل.. مما دفع مؤسسات القطاع الخاص و منظمات المجتمع المدنى إلى الاضطلاع للقيام بهذه المهمة والمشاركة فى مواجهتها مما يعدّ تحوّلاً خطيرا و تطورًا مهمًا فى مفهوم الأمن وآليات مباشرته.. وفى مجال السياسة ثمة ظاهرة تشكل (العولمة) وهى ظاهرة تكوين حركات سياسية تعمل على مستوى عالمى.. ولم يعد سور الصين العظيم أو سور برلين (لو كان قائمًا حتى الآن) مانعًا من الامتداد حتى نهاية العالم فقد تكوّنت أممية اشتراكية على مستوى العالم جنبًا إلى جنب مع حركات سياسية أو منظمات أعمال ومنظمات إنسانية عالمية كل هذا له صلة فى نهاية التاريخ أو الصراع بين الشعوب وبمفهوم (المجتمع المدنى العالمى) والعولمة السياسية.. و رغم ذلك فإن الواقع السياسى والاقتصادى والثقافى فى العالم فى بداية الألفية الثالثة كشف زيف كثير من الأفكار السابقة و التى دعا إليها مفكروا (العولمة) فى مؤتمرات التجارة العالمية ومواثيقها فضلاً عن تمثلها فى الاختراق الأمريكى الثقافى (فى سباق محموم) لتوسيع هذا الدور.. و هنا فإن الحديث عن الهوّية و المحافظة



عليها والأصالة و ضرورة الإبقاء عليها أصبح ذلك فى مهب ريح العولمة وأثار كثيرًا من التساؤلات لأننا فى الحقيقة سنعانى من أزمة التبعية زمنًا دون أن تتبلور هوّية المجتمع لتبنّى أساس جديد يشكل خصيصة هذا المجتمع الذى كلما حاول التحرّر من التبعية كلما استطاع أن يبنى نموذجه الخاص و الملائم لواقعه أما التصميم الثقافى الذى تروّج له العولمة فإنه فعلاً سيفرض ثقافة الأقوى.. ومن هنا أولى الإسلام عناية فائقة لشحذ العقل والفكر الانسانى تجاه ما يحيط به من موجودات ومخلوقات و سنن كونية وكذلك تجاه نفسه.. فالإنسان (فى المفهوم الدينى) لا يعد كائنًا سلبيًا بل هو فاعل ايجابى يتأثر بما يجرى حوله ويؤثر فيه.. و بهذا تتكون شخصية الإنسان و منها تتبلور هويته.. فالهوية ليست جموداً و لا تحجرًا بل على العكس من ذلك هى نظرة فاعلة مع الذات والإنسان والكون والطبيعة التى أمرنا الله تعالى بإعمال النظر فيها قال تعالى:﴿ **قُلِ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لاَّ يُؤْمِنُونَ** ﴾ يونس، الآية ١٠١.. ومع استحالة العزلة عن المجتمعات نظرًا لسرعة تناقل المعلومات والثقافات عبر وسائل وشبكات الاتصال إلا أنه بتفعيل العادات والقيم النبيلة يمكن أن نفرض على الآخر احترام هويتنا وثقافاتنا ولن يتحقق ذلك (حتمًا) إلا بقراءة جيدة للواقع العالمى. و بكل المقاييس فإن (العولمة) مقلقة بالفعل حيث تهدّد بالكثير من التجاوزات على مستوى العالم وخصوصًا فيما يتصل بدول الجنوب و العالم النامى ومن بينها العالم العربى والاسلامى لأنها (أى العولمة) تتضمن زيادة الفجوة الاقتصادية و الحضارية القائمة (حاليًا) فى العالم بين الدول الغنية التى تزداد غنىً والدول الفقيرة والتى تزداد فقرًا.. كما



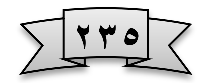
أنها مقلقة لأنها تتضمن هيمنة ثقافية واحدة وتهميش الثقافات الأخرى فى العالم مما يؤدى الى مزيد من الغربة و فقدان الهوية.. وبما أن العولمة بهذا الشكل (المتوحش) فإنها ستجد الرفض كله من سائر شعوب العالم.. و لذا كان هناك حذر شديد من قبول الباب مفتوحًا على مصراعيه لتلقى (طلبات) الدخول فى هذا العالم المريب.. يقول الدكتور مصطفى عبد الغنى فى كتابه: الجات و التبعية الثقافية: انه على كثرة التعريفات التى تطلق على العولمة فإنه لا يتبقى أمامنا غير تعريف واحد لا يحتاج الى جهد كبير للحاق به (لأن العولمة لا تعنى إلا الأمركة) بكل وضوح و هى تشير إلى التشابك بين الاقتصاد و الاعلام وفى آخر تفسير لها عبرلجنة اليونسكو العالمية لمؤتمر السياسات الثقافية من أجل التنمية والذى عقد فى سنة ١٩٩٨م الى ما يسميه علماء الثقافة و فلاسفة المعرفة.. (التنميط) أو (التوحيد) وهذا التنميط الثقافى للعلم يتم باستغلال ثورة و شبكة الاتصالات العالمية الجبارة و هيكلها الاقتصادى الإنتاجي بعماده المتمثل فى شبكات نقل المعلومات والسلع و تحريك رؤوس الأموال.. كما يرون أن ذلك التنميط الثقافى رغم أنه يعكس تصور صناع (العولمة) فإنه يمكن أن يحدث أيضًا التفاعل والتمايز بين الثقافات.. واتفاقية (الجات) ومنظمة التجارة العالمية. تظل إحدى الآليات التى تستخدمها العولمة لممارسة العنف الثقافى و يأتى هذا الاتجاه بآليات كثيرة أخرى مثل [الشركات متعددة الجنسيات و الحلف الأطلسى الجديد – وصندوق النقد الدولى – ومجلس الأمن الدولى – ووسائل الاتصالات والاعلام والمعلومات وحقوق الأبحاث فى الإلكترونيات والأبحاث الكيماوية وشبكات الإنترنت..] ثم يطرح المؤلف سؤالاً و هو: هل هى



مصادفة أن المواقع الاسلامية يدخلها اليهود ؟ و هل هى مصادفة – أيضًا – أن يدفع بقوانين الحماية الدينية أو جلب أسباب الطائفية عبر الإنترنت.. أو هى مصادفة أن نجد أربع مجلدات عن (فيفى عبده) و اثنين عن (عمرو دياب) ثم عن (الساتليت) ثم عن منظمة التجارة الخارجية (الجات) سابقًا ولأن منظمة الجات تتضمن قسمًا كبيرًا عن (حقوق الملكية الفكرية) فإنها تظل فى مقدمة هذه الآليات التى تعمل على السيطرة الثقافية والتى يدخل فى بندها (المعرفة والتكنولوجيا بأدواتها المتنوعة) على الثقافات الأخرى بعديد من الوسائل الأخرى.. انتهى كلامه !! لقد أصبح الولاء للعولمة ومنظماتها أكثر من الولاء للدولة و قوانينها – ومن هنا – أصبح الطريق مفتوحًا أمام الشركات متعددة الجنسيات التى تفعل كل شيء بما فيه (تجنيد مفكرين وكتاب من مختلف البلاد ينظّرون و يروّجون لأفكار العولمة والكونية.. و يؤكدون أن الشعور بالولاء لأمة أو وطن قد أصبح من مخلفات الماضى السحيق) إن نَذُرَ الدّمار لم تعد وشيكة لأنها بالفعل قد (وطّدت) أركانها و غرست أوتادها وأصبحت كل قوانين (اللعبة المفضوحة) مكشوفة عالميًا.. و يا ليت أحدًا نادى بعولمة (المقاطعة) مع الأعداء بل و مع أصدقاء الأعداء الذين (مهّدوا) الوضع لكل ما من شأنه (إعلاء) شأن وكلمة هؤلاء وهؤلاء لدرجة أشعلت (شبق) الأمريكيين و شهوتهم لاقتلاعنا من أى ذاتية و نزع أى خصوصية.. وتبًا للقوادين فى كل أمة (لاسيما) فى أمتنا والذين لا يشعرون بالسعادة إلا إذا استذلوا و تأمركوا و تعولموا و تعلمنوا.!! يقول صاحب كتاب: (عولمة أم أمركة..؟) الأستاذ حسن قطامش: [لم يبق لأمريكا لأمركة العالم بالقوة غير هذا الطريق (طريق العولمة)

لإحكام حلقة السيطرة و الزعامة فكثير من دول العالم خرجت حديثًا من تحت وطأة الاستعمار الأوروبى سواء فى أفريقيا أو آسيا أو حتى من دول أوروبا التى خرجت حديثا من تحت الحكم الشيوعى (والولايات المتحدة يصعب عليها وجود دولة لا تدور فى فلكها) فالدولة إن كانت تحكمها مجموعة مدنية فلابد من المباركة الأمريكية حتى تحظى بالقبول والعضوية فى المحافل الدولية]..!!

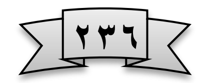
لم يعد العالم إذن يحكمه القانون أو النظام ما دامت اللغة السائدة الآن هى لغة القوة.. فى الاقتصاد و الاعلام و الثقافة و السياسة و لم يعد فى الإمكان أن تصبح الولايات المتحدة أقوى دولة فى العالم لو لم يكن لها اقتصاد قوى يلبى الاحتياجات الداخلية للدولة وأى دولة لا تتحكم فى سيادتها أو قراراتها فبديهى أنها دولة فقيرة تعيش على المنح والمساعدات و القروض.. ولقد كانت الحرب العالمية أعظم فرصة اغتنمتها أمريكا.. فكان انقسام العالم الى معسكرين: رأسمالى واشتراكى حافزا قويا فى جعل الدول الغربية ذات النظام الاقتصادى الحرّ تقبل الانضواء تحت المظلة الأمريكية و ترتضى ذلك مع إدراكها لخطورة ما تحمله الهيمنه الأمريكية فلقد خرجت الولايات المتحدة أقوى دولة اقتصادية وأكبر دولة دائنة و أوروبا بكاملها كانت مدّمرة من آثار الحرب.. إن خيوط (العولمة) وإن بدا نسيجها يخلب العقول و يلفت الأنظار إلا أنه لم يكن جديدًا أو طارئًا.. إن هؤلاء يخططون لمئات بل و آلاف السنين.. ففى عام ١٩٤٧م أعلن ترومان:(إذا لم تتحرك الولايات المتحدة للزعامة تعرّض السلام العالمى للخطر)..!!



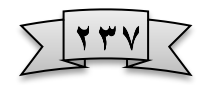
قال أستاذ السياسة الدولية (بنجامين سوارتز) فى أحد تصريحاته العالمية: [نحن نريد العالم سوقًا ضخمة أو (سوبر ماركت) فيه كل شيء و نحن الذين نسيطر عليه " مختصرًا بذلك السياسة الأمريكية و مبسطًا منهجها و مجلّيًا للناس دون خجل أو مواربة.. وأضاف قائلاً: الاستراتيجية الاقتصادية الأمريكية – منذ خمسين سنة – هى أننا نريد العالم كله سوقًا تحت سيطرتنا ولا بأس أن نأخذ من هذا.. و نعطى هذا..] !! و لقد أصدرت منظمة أمريكية رئيسية تقريرًا أدرجت فيه ٦١ قانونًا ومرسومًا أمريكيًا صدر بين عامى ٩٣، ٩٦م منحت فيه الحكومة الأمريكية سلطة فرض عقوبات من جانب واحد خدمة (لأغراض سياسية) وهذه الإجراءات تستهدف ٣٥ دولة.. تضمُّ ٢.٣ مليار نسمة من مستهلكى السلع و الخدمات الأمريكية أى ما يعادل ٤٢% من سكان العالم و تتخذ أمريكا هذه الإجراءات و هى على قناعة تامة بالقدرة على تنفيذها.. وانصياع تلك الدول لها.... (نقلاً عن كتاب عولمة أم أمركة).

إن العالم لا ينسى يوم الأربعاء التاسع من أبريل ٢٠٠٣ م يوم سقوط (بغداد) فى أيدى الأمريكيين دون مقاومة وإسراع القوات (الأنجلوأمريكية) على زرع قواتها حول جميع آبار البترول العراقى كما تركت (الدهماء) من الشعب يسلب و ينهب كل شيء ولم تقم بحماية أى وزارة (إلا وزارة البترول) إنها أمريكا.. إنها العولمة.. العالم كله سقط من نظرها فأغراها هزاله و موته.

إننا فى ظل (العولمة) نعيش مذعورين خائفين لأننا بالفعل لا نملك مقدرات الصمود. بل إننا فى (أحسن حالاتنا) لا نستطيع أن نوفر طعامنا و شرابنا لثلاثة أشهر عند حدوث الكوارث و الحروب و أمريكا تريدنا هكذا (محتاجين)



متسولين (راغمين) معّوقين.. إن الأصوات المنادية بالاستسلام (لعدم وجود أى بديل آخر) لو أن ذهنها (تفتق) عن فكرة تصلح الاقتصاد أو صرخة تمنع أن تمتد أيدى (اللصوص) الى مقدرات الشعوب.. لو أن هذه الأصوات نادت بجمع الشمل للقيام بإنشاء سوق عربية مشتركة أو حتى إقليمية و طالبت بالتعفف عن طعام وشراب و سلاح الأعداء لكان أولى وأجدى.. و إذا حاولنا الاعتراف بخطئنا فلابد أن نصّرح بأننا (عجزة) وعالة.. نتسول كل شيء وأى شيء فى مقابل أن نستريح و نُتْرَكَ للكسل دون العمل حتى نسقط تحت أقدام الديناصورات إياها (لتدهسنا) بأقدامها النجسة دون مقاومة كبغداد و التاسع من أبريل و تهدّدنا (بالسحق و المحق) كما تهدّد سوريا و إيران و تلغينا من الوجود (ثقافيًا و إيديولوجيًا) كما ألغت أفغانستان.. إنه ثوب (العولمة) الأسود (ونابها الأزرق) و لسانها السام وعينها الوقحة.. و حقدها الدفين.. إن الزهد هو الوسيلة السهلة التى قد تصيب عدوّنا بالعجز و الإحباط.. والقناعة هى الإجابة على كل سؤال يتردد بين الحين و الحين منْ مَنْعِ المساعدات و قطع المعونات..إننا لو طالبنا بحقنا فى تركنا نزهد و نقنع ونتوارى فهل يضير ذلك أحداَ أم أنهم يريدوننا قططًا سمينة حتى يستمتعوا بقتلها أو يريدوننا أبقارًا (معمّرة) حتى يسوقوننا الى حيث يطلقون علينا الرصاص ؟.. إن جميع مسلّمات الإسلام تجعلنا أقوياء.. أعزّة بل تجعلنا سادة ولنا السيادة.. و هم يعرفون ذلك ولذا فقد قاموا بمسخ العقول ومسخ التاريخ ومسخ الذات.. حتى مسخ أنفسهم.. هذا حقاَ مصير البلهاء !! النزلاء.. فى غابات الذئاب و



الثعالب.. فليقولوا ما شاءوا !! و ليفعلوا ما أرادوا !! فلن يدوم ذلك طويلاً و لسوف (يلتقون) حتما عند الحق.. فى (عَوْلَمَةِ) الآخرة:

كأنــى إذْ أكفكــف دمــعَ عيــنى ... وأنهاهــا.. أقــول لهــا: هريقــى

سأصــبر للقضــاء فكــل حــىّ ... سـيلقى سـكرة المـوت المـذوق

فمــا الــدنيا بقائمــة.. وفيهــا ... مـن الأحيـاء مـن عـين رَمُـوقٍ

فأغناهــم كأعــدمهم إذا مــا ... تقضّــتْ مــدة العـيش الرقيـق

كذلك – يبعثون – و هم فرادى ... ليــومٍ فيــه توفيــة الحقــوق

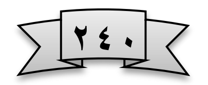
وأخيراً: حصاد السنين..

فى التاريخ عبر و مواعظ.. ومواقف مشهودة و مثالب.. و للزمان موقف متفرد لأنه الشاهد الوحيد الذى ينظر الى (الكل) بنظرة محايدة و صادقة واذا كان التاريخ هو الراصد للأحداث و المواقف فإنه أيضًا (ذاكرة) الكون والشعوب فلقد بادت أمم وولدت أمم أخرى.. و أقيمت شعوب و حكومات.. وأزيلت أيضًا شعوب و حكومات.. وعند عرض الصور والأحداث (تختلط المشاعر) والحقائق و يذوب الباحث فى (دوامةٍ) لا نهاية لها بَيْدَ أن بدايتها كانت فى عالم المجهول و عالم الأساطير و تبقى ذاكرة التاريخ هى (المنصفة) وهى الشاهد العدل لتروى لنا (نحن ضيوف) التاريخ فى جزء من أطواره وأدواره قصة ما مضى من قرون.. و ما لحق من بداية قرون.. تبقى تلك الذاكرة لتؤكد لنا أننا جزء من هذا التاريخ و لنا أن نعتبر و نتعظ وندرك ونستعد لمجرياته وأحداثه الجليلة — فى كل النواحى سياسية كانت أو حربية أو اجتماعية.. وسواء كانت رياضية أو فنية أو اقتصادية.. أو حتى غرامية.. وقد تزداد الغرابة اذا لاحظنا سرعة الأحداث و توالى الأخطار و تكرار المواقف فى صور مختلفة يتصل القديم فيها بالحديث و الغالى بالرخيص والقوى بالضعيف و هذه سنة الله — جلت قدرته — فى هذا الكون.. وتلك أيام الله يخلق لها عبادًا و يشق لها بحارًا ويرسى لها جبالاً و يحدّد لها مُدَدًا.. ثم يبددّها بَددًا يقول الله تعالى: { و تلك الأيام نداولها بين الناس } آل عمران، الآية ١٤٠.... و قال كذلك: { و ذكرّهم بأيام الله } إبراهيم، الآية ٥.. و قال جل شأنه: { و إن يومًا عند ربك كألف سنة مما تعدون } الحج، الآية ٤٧.. إن مرآة التاريخ

تظهر على صفحتها الحقائق بلا تزييف و لا تعقيد.. مرآة تتكلم.. وتحكى.. وتناجى كل قادم الى الواقع.. الى الحق.. الى الأرض التى تشهد بالأخبار موثقة فى ظاهرها و فى باطنها فى أصولها و حواشيها ومشارقها ومغاربها.. إنها قرون تمضى وأحداث تُـرْوىَ و مواقيت تُوَقّت قال الله عز وجل: ﴿ **إِذَا زُلْزِلَتِ الأَرْضُ زِلْزَالَهَا * وَأَخْرَجَتِ الأَرْضُ أَثْقَالَهَا * وَقَالَ الإِنسَانُ مَا لَهَا) يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا * بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا *** ﴾ الزلزلة من الآية١:٥.. ثم تكون العاقبة و الحساب و الجزاء المبين: ﴿ **يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ * فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ * وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًا يَرَهُ** ﴾ الزلزلة من الآية ٦:٨.. و إذا كنا نقرأ التاريخ لنعتبر و نتصفح أوراقه لنتدبر و نعيش مواقفه لنتعظ..فلنعتبر ولنتدبر ولنتغظ !!.. و التاريخ يفتح لنا (على استحياء) هذه الصفحات: فى السياسة:

فى مطلع عام ١٩٠١م وفى فجر القرن العشرين.. اعتبرت أمريكا نفسها القوة الوحيدة التى تقود العالم.. وقال الرئيس الأمريكى (تيودور روزفلت) و الذى دامت فترة رئاسته من ١٩٠١م و حتى ١٩٠٩ م.. (هناك قول مأثور يجرى على ألسنتنا: تحدث فى هدوء و احمل عصًا غليظة و سوف تصل الى ما تريد).

فى عام ١٩٦٣م قاد (مارتن لوثر كينج) زعيم السود الأمريكيين مظاهرة سلمية أمام البيت الأبيض فى واشنطن بعد أن أعلن الرئيس الأمريكى آنذاك (جون كيندى) قوله المأثور: (إذا كان الزنوج يأتون الى واشنطن للتعبير عن أحزانهم فدعوهم يأتوا) قال (مارتن لوثر كينج): (لدّى حلم بأن أطفالى الأربعة



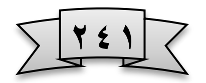
سوف يعيشون فى يوم من الأيام وسط أمة لن تحكم عليهم على أساس لون جلدهم.. ولكن على أساس أخلاقهم وتصرفاتهم)..

فى نوفمبر عام ١٩٥٦م ألقى الزعيم السوفيتى (خروشوف) كلمة أمام الدبلوماسيين الغربيين فى موسكو قال فيها: (و سوف ينصفنا التاريخ سواء رضيتم أو لم ترضوا و سوف ندفنكم !) و فى عام ١٩٦٠م خلال حضوره أحد اجتماعات الجمعية العامة للأمم المتحدة قى (نيويورك) خلع (خروشوف) فردة حذائه وراح يدقّ بها على المنصّة الموجودة أمامه وهو يصيح فى عصبية: (سوف ندفنكم أحياء أيها الرأسماليون)..

فى الثالث و العشرين من مايو ١٩٤٠م تولى (ونستون تشرشل) رئاسة الحكومة البريطانية عقب استقالة رئيس الوزراء (تشمبرلن) وقال فى أول خطبة له: (لا أملك شيئًا أقدمه سوى الدماء و الدموع و العمل و العرق) وذلك أمام البرلمان أثناء حربهم ضد ألمانيا.

اعتبرت الأوساط السياسية العالمية أن الزعيم الصينى (ماوتسى تونج) هو السباح الماهر الذى ركب جميع الأمواج لنهضة بلاده و قد ولد فى ٢٦ ديسمبر ١٨٩٣م.. واجه الإقطاعيين لصالح الفلاحين وأعلن جمهورية الصين الشعبية عام ١٩٤٩م وانتهت حياته بأزمة (قلبية) فى عام ١٩٧٦م..

الزعيم (المهماتما غاندى) الأسطورة المولود فى ٢ من أكتوبر ١٨٦٩م بدأ صراع التحرر ضد بريطانيا (المحتلة) منذ سنة ١٩١٥م وقاد مظاهرات من آلاف الهنود احتجاجًا على ضريبة (الملح) عام ١٩٣٠م وأثمر جهاده عن جلاء بريطانيا عن بلاده عام ١٩٤٧م.



ولـد (سـوكارنو) أول رئـيس إندونيسـى عـام ١٩٠١م فى جزيـرة (جـاوة) وتخصص فى الهندسة و بعد جهاد طويل ضد الاستعمار الهولندى من عام ١٩٣٣م: ١٩٤٢م تولى الرئاسة من عام ١٩٥٥: ١٩٦٨م.

فى ٢٨ من أبريل ١٩١٩م وافق الحلفاء المنتصرون فى الحرب فى فرنسا على إنشاء (عصبة الأمم).

فى ٣٠ من سبتمبر ١٩٣٨م تم توقيع اتفاقيات ميونيخ و التى وافقت فيها فرنسا وبريطانيا على تقسيم (تشيكو سلوفاكيا) استرضاء للألمان..

فى ٨ من أبريل ١٩٥١م وافقت ٦ دول أوربية على تشكيل (اتحاد الفحم والصلب) فى أول خطوة نحو إيجاد مجتمع أوربى يواجه القوتين العظميين..

فى ٢٠ يونيـو ١٩٦٣م وافقـت الولايـات المتحـدة والاتحـاد السـوفيتى على انشاء الخط التليفونى الساخن.

فى ينـاير ١٩٧٩م تـرفض إيران الرأسمالية الأمريكيـة و الشيوعية السـوفيتية وتؤسس نظامها الإسلامى المطلق (واستطاعت اقناع العالم بنجاح هذا النظام).

فى نـوفمبر ١٩٨٩م تم إسـقاط حـائط (بـرلين) و انتهـاء الإنقسـام بـين الألمانيتين وبدأت ديموقراطية (ليبرالية) يوجهها السوق..

فى عـام ١٩٦٧م نُفِـىَ الملـك اليونـانى قسـطنطين عـن بـلاده. وفى عـام ١٩٦٩م لقـى الملك محمد إدريس السنوسى (الليبى) نفس المصير. ثم محمد ظاهر شاه افغانستان عام ١٩٧٣م. وتلاه الإمبراطور (هيلاسلاسى) فى إثيوبيا عـام ١٩٧٤م وأطيح بـالإمبراطور الإيـرانى (الشـاه: محمـد رضـا بهلـوى) عـام ١٩٧٩م بعد الثورة الإسلامية (الخومينية) و مات ودفن بمصر.

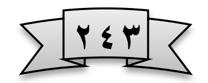
فى ١٢ من نوفمبر ١٨٩٥م تشكلت أطول وزارة فى تاريخ مصر واستمرت ١٣ عامًا و انتهت فى الحادى عشر من نوفمبر ١٩٠٨م.

فى ٢٨ من فبراير عام ١٩٢٢م أعلنت بريطانيا إنهاء الحماية على مصر وتولى عبد الخالق ثروت باشا رئاسة الحكومة فى الأول من مارس عام ١٩٢٢م.

فى ٢٤ يوليو عام ١٩٥٢م اندلعت ثورة يوليو و انتهت رابع حكومة يتولى رئاستها على ماهر باشا فى ٧ سبتمبر ١٩٥٢م وقد شهدت هذه الحكومة تنازل الملك فاروق عن العرش لابنه الأمير (أحمد فؤاد) ثم خروجه من مصر متوجهًا الى إيطاليا حتى توفى فى منفاه بها.. و تولى الرئيس جمال عبد الناصر حكم مصر عام ١٩٥٢م.

شهد القرن الماضى عدة اغتيالات لعدد من رؤساء الوزارة فى مصر فقد اغتيل بطرس غالى أول رئيس للحكومة المصرية يوم ٢١ فبراير ١٩١٠م.. واغتيل (أحمد ماهر باشا) يوم ٢٤ فبراير ١٩٤٥م فى البهو الفرعونى بمبنى (البرلمان).. واغتيل (محمود فهمى النقراشى) فى ٢٨ ديسمبر ١٩٤٨م على يد طالب بكلية الطب البيطرى. و فى ١٢ أكتوبر اغتيل الدكتور (رفعت المحجوب) رئيس مجلس الشعب من عام ١٩٩٠م فى هجوم مفاجئ.

بعد أن حققت مصر انتصارها على إسرائيل فى السادس من أكتوبر ٧٣ أعلن الرئيس السادات يوم ٩ نوفمبر ١٩٧٧م فى خطبة له أمام مجلس الشعب.. أنه مستعد للذهاب الى (إسرائيل) لعقد (السلام) مع إسرائيل وسط دهشة (عالمية) و فى ١٩ نوفمبر ١٩٧٧م سافر الى إسرائيل و ألقى خطابًا فى (الكنيست) و تم توقيع اتفاقية (كامب ديفيد) فى ٢٦ مارس ١٩٧٩م.



وعادت كل الأراضى المصرية للوطن وتوفى الزعيم السادات فى ٦ أكتوبر ١٩٨١م بعد أن اغتاله (خالد الاسلامبولى) فى ساحة العرض العسكرى (الجندى المجهول الآن).

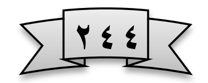
فى الرابع عشر من أكتوبر عام ١٩٨١م عقد مجلس الشعب برئاسة الدكتور (صوفى أبو طالب) جلسة فى الساعة الثانية عشرة و خمس دقائق أعلن عن تسليم مقاليد الأمور للرئيس محمد حسنى مبارك بموافقة شعبية عارمة..

فى فبراير و مارس و أبريل من عام ٢٠٠٣م شهدت الكرة الأرضية مظاهرات حاشدة و قوية لم يسبق لها مثيل فى التاريخ ضد أمريكا وبريطانيا لضرب العراق وتقسيمها.. دون أى انصياع منهما.

وفى الحروب:

استهل القرن العشرين أيامه الأولى بحرب (البوير) و التى بدأت فى مطلع عام ١٩٠٠م بين دولتى (الترانسفال و أورانج) فى جنوب أفريقيا الحالية من جهة.. وبين بريطانيا من جهة أخرى.. و انتصرت فيها بريطانيا بقيادة المارشال (هوراسيو كتشنر) واعتقلت فيها النساء والأطفال وأحرقت الحقول وانتهت الحرب فى ٣١ من مايو ١٩٠٢م بهزيمة البوير وسيادة بريطانيا على المنطقة....

فى ٨ فبراير ١٩٠٤م.. اندلعت الحرب اليابانية الصينية بعدما شنت القوات اليابانية هجومًا مباغتًا على الأسطول الروسى المرابط فى ميناء (بورت آرثر) بشمال شرق الصين كانت روسيا تستخدم الميناء بموجب عقد ايجار موقَّع فى ١٨٩٨م. وخاضت (طوكيو) الحرب بدعم من بريطانيا لوقف محاولات التوسع الروسى فى الشرق الأقصى و خصوصًا فى منشوريا و كوريا وانهزمت روسيا.



فى الخامس من أكتوبر عام ١٩٠٨م ضربت إمبراطورية (النمسا و المجر) عرض الحائط باحتجاجات (صربيا) و أعلنت ضم (البوسنة و الهرسك) واشتعلت الساحة الأوربية بثلاثة حروب متتالية للنزاع على الأراضى..

وفى السابع عشر من أكتوبر عام ١٩١٢م قامت حرب البلقان الأولى عند إعلان بلغاريا و صربيا و اليونان و الجبل الأسود الحرب على الإمبراطورية العثمانية بهدف تقطيع أوصالها مما اضطر الإمبراطورية للتخلى عن منطقتى (طرابلس و برقة) فى ليبيا لصالح (إيطاليا) لتنتهى الحرب يوم الخامس والعشرين من مايو ١٩١٣.

ثم كانت حرب " البلقان " الثانية فى نفس اليوم الخامس و العشرين من مايو ١٩١٣م بسبب الأراضى التى تخلت عنها تركيا فى أوربا.. لتهاجم (بلغاريا) كلاً من اليونان و صربيا.. وتتدخل رومانيا و تركيا فى الحرب ضد بلغاريا.. لتضطر الأخيرة للتخلى عن (مقدونيا) لصالح اليونان و صربيا بمقتضى اتفاق (بوخارست) الموقع فى العاشر من أغسطس عام ١٩١٣م.

فى الثانى من يوليو عام ١٩١٤م بدأت (الحرب العالمية الأولى) بين إمبراطورية (النمسا و المجر) ضد (صربيا) للحد من خطرها – واشتركت ألمانيا والنمسا والمجر و حلفائهم من جهة – و الحلف الفرنسى و البريطانى وحلفائهم من جهة وشاركت الولايات المتحدة فى الحرب عام ١٩١٧و بعد تنازل (القيصر الألمانى) عن العرش سكنت الحرب و هدأ العالم يوم ١١ نوفمبر عام ١٩١٨م.. ثم حدثت حروب أخرى بين ألمانيا و روسيا – ثم بين ألمانيا من جهة و فرنسا و صربيا من جهة ثانية – ثم ألمانيا ضد بريطانيا و بلجيكا – ثم بريطانيا و فرنسا ضد النمسا.. ثم بين روسيا ضد تركيا – ثم الصين ضد ألمانيا

وكان ذلك كله فى الفترة من عام ١٩١٤م.. وحتى ١٩١٨م..

فى عام ١٩٣٨م اجتاحت قوات (هتلر) فى الثانى عشر من مارس أراضى النمسا ليعيدها الى ألمانيا فى الحرب العالمية الثانية.. و فى الخامس عشر من مارس عام ١٩٣٩م اجتاح الألمان (براغ) ثم غزا الجيش الإيطالى (ألبانيا) واجتاحت فى نفس العام ألمانيا – بولندا – ثم أعلنت فرنسا و بريطانيا الحرب على ألمانيا فى الثالث عشر من سبتمبر ٣٩.. و فى ١٧ سبتمبر من العام نفسه حاربت ألمانيا والاتحاد السوفيتى (بولندا) و فى عام ١٩٤٠م غزت ألمانيا الدانمارك و هاجم الاتحاد السوفيتى (فنلندا).. و بعدها أعلنت ايطاليا الحرب على بريطانيا وفرنسا.. ودخلت أمريكا الحرب عام ١٩٤١م ضد دول المحور..

فى النصف الثانى من القرن الماضى (العشرين) سقطت أمريكا فى حروب خاسرة ضد (فيتنام).. ثم اندلعت حرب الهند وباكستان – وبين السلفادور وهندوراس بسبب مباراة لكرة القدم كانت نتيجتها موضع خلاف بينهما و قتل خمسة آلاف شخص و غزا السوفيت أفغانستان عام ٧٩– و فى ٩١ دارت حروب يوغوسلافيا المدمرة بين صربيا و كرواتيا – ثم بين صربيا و كرواتيا من ناحية ضد البوسنة والهرسك من ناحية أخرى،ثم بين صربيا ضد كوسوفا.. وفى الفترة من ٩٤: ٩٦ خاضت روسيا حربًا ضد الشيشان..

ودارت حروب على مدار ٨ سنوات بين العراق و إيران فى أوائل الثمانينات ثم غزت العراق الكويت فى ٢ أغسطس عام ١٩٩٠م.. و دارت حرب الخليج ضد العراق سنة ١٩٩١م ثم دارت حرب أمريكية مع الحلفاء ضد أفغانستان عام ٢٠٠١م وفى ٢٠ مارس ٢٠٠٣م غزت أمريكا وبريطانيا



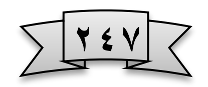
(العراق) وفى الأربعاء ٩ أبريل ٢٠٠٣م استسلمت لها بغداد و تم القبض على صدام حسين فى مخبئه فى تكريت يوم السبت الموافق ١٤ديسمبر ٢٠٠٣م ..

(وخاضت مصر أربعة حروب عام ٤٦ و ٤٨ و ٦٧ و ١٩٧٣م ضد الدول المعتدية)..

وفى المجتمعات: **تحت عنوان: دراسات حديثة فى التطور الثقافى:**

جاء فى كتاب (التغير الاجتماعى) بعد منتصف القرن العشرين: ارتكزت النزعة (التطورية) فى القرن التاسع عشر على الإيمان بفكرة سير التطور فى خط واحد وهى الفكرة التى ترى أن كل الثقافات تمر فى الحقيقة بنفس مراحل النمو.. وأنه من الممكن أن تدرج كل ثقافة – على أساس مبلغ التقدم الذى وصلته – تحت واحدة من الفئات الأساسية الثلاث: التوحش أو البربرية أو الحضارة.. إلا أنه أصبح من الصعب اليوم الدفاع عن مثل هذه الفكرة – فالمعلومات الحديثة لا تؤيد قضاياها الرئيسية.. وإنما تشير على العكس إلى عديد من أنماط و عمليات التغير الثقافى المتنوعة تأليف د / محمد الجوهرى، د/علياء شكرى، د/ على ليلة.

هناك عنصران لعبا دورًا حاسمًا فى إحداث التغير الاجتماعى فى الهند إبان التحرير.. وهما: الأول: العلوم والتكنولوجيا الغربية.. والثانى: التخطيط الاجتماعى و قد اتضح تأثير – التكنولوجيا فى مجالات مختلفة من الحياة الاجتماعية وقد أدى تحسين ظروف المعيشة و الرعاية الطبية إلى خفض معدلات الوفيات مما أدى إلى النمو السريع فى سكان الهند -كذلك أدّى ادخال الصناعة الرأسمالية إلى إحداث تغيرات فى نظام الملكية و فى تقسيم

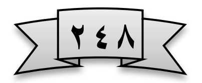


العمل – أدت الى ظهور فئات وطبقات اجتماعية جديدة لعبت دورًا هامًا فى التطور السياسى فى الهند.. (نفس المصدر).

عاش المجتمع المصرى فترة حاسمة فى حياته خلال الحروب التى خاضتها مصر.. ومنذ ثورة ١٩١٩م وثورة ١٩٥٢م.. حيث لم تفلح القوى (المستعمرة) فى اشعال فتيل (الفتنة الطائفية) بين المصريين.. كما تم تأميم قناة السويس بعد الثورة وبعد نفى الملك – فاروق – و كانت معركة ٧٣ والذى تحقق لمصر فيها النصر وكان ذلك من فضل الله على الأمة كلها حيث (كسرت) الذراع والأسطورة الإسرائيلية فى عصر الرئيس – السادات – ثم حدث الانفتاح الاقتصادى و الثقافى و العلمى والاجتماعى و تطورت – قدرات – الشعب المصرى و حصل عالم وأديب على جائزة نوبل، د/ أحمد زويل فى الكيمياء – والأديب نجيب محفوظ فى الآداب و أثبت المصريون تفوقهم فى كل المجالات.

وفى العلم: فى سنة ١٩٨٠م – إكتشف العلماء ان مركز (الذرة) هو النواة و أنها تختزن طاقة أكبر بكثير مما كان متصورًا.. و فى سنة ١٩٣٠م وضع عالم الفيزياء الألمانى (هانز باتيو) مشروعًا عن ردود الفعل النووية التى تحدث داخل الشمس وتمدها بالطاقة التى (تكوّن) الضوء.. كما قام (الفلكى) الدانمركى (أنبا هرتز سبرانج) فى عام ١٩٠٥م والفلكى الأمريكى (هنرى راسل) فى عام ١٩١٤م بعمل مقارنة بين درجات الحرارة لعدة نجوم مختلفة الى (كمية الضوء الذى ينبعث منها) وقاما بعمل رسم بيانى بالنتائج التى توصّلا إليها ووجدا أن جميع النجوم تقع فى خط متصل وأسموه (التسلسل الرئيسى).

فى عام ١٩٠٥م توصل (ألبرت انشتاين) إلى أنه عندما يوجد ضوء ذو موجات طويلة على معدن ما فإن (الكونتا) لهذه الأطوال الموجبة تكون من



الضعف بحيث لا يمكنها التغلب على (الإلكترونات) فكلما صارت الأطوال الموجية أقصر قذفت الكونتا الإلكترونات.

فى عام ١٨٩٦م قام (بوخز) بطحن الخميرة و ترشيحها ثم درس العصارات تحت (الميكروسكوب) و تأكد من عدم وجود خلية خميرة واحدة حية وكانت مجرد عصارة (ميتة) ثم أضاف (محلول السكر) فبدأت تخرج (فقاقيع) ثانى أكسيد الكربون.. وتحول السكر ببطء الى (كحول).

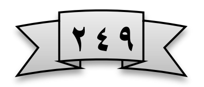
فى عام ١٩٩٩م حصل الكيميائى الدكتور (أحمد زويل) المصرى من أبناء دمنهور على جائزة (نوبل) فى الكيمياء. واعتبر هذا إنجازًا حضاريًا و نقطة تحول كبرى للزمن بـ (الفيمتو ثانية).

فى نهاية القرن العشرين و مع بداية الواحد و العشرين تحقق لدى العلماء التوصل الى اكتشاف جهاز (الكمبيوتر) و (الإنترنت) واكب ذلك طفرة علمية فى ثورة الاتصالات.

توصل العلماء فى بداية القرن الواحد و العشرين الى تصميم وتصنيع أقراص (الفياجرا) وهى أقراص تعالج (بالهرمونات) الأجهزة العصبية و تعيد لأصحاب الأمراض المزمنة و الشيوخ القدرة على (التعامل الجنسى) و إعادة الحيوية والشباب إليهم من جديد و قد تنافست أكثر من دولة على صناعة (الفياجرا) وهو غالى الثمن. لذا فقد لجأت (الهند) لصناعته للجنسين.. وقد حذر أطباء أمراض القلب من تعاطيه.

وفى الإقتصاد:

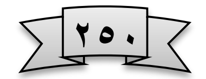
يعتبر الاقتصادى الكبير (طلعت حرب) نقطة تحول كبرى فى تاريخ اقتصاد مصر فقد حاول أن يجعل كل أسهم بنك مصر لا يملكها سوى المصريين إذ



كان هو المؤسس لبنك مصر مما أحدث ثورة اقتصادية حقيقية فى البلاد – إذ استغل انشغال الشعب بالثورة السياسية – و لعل عبقريته السياسية أهلته لمواجهة التحدى الاقتصادى والذى أثبت فيه (عبقريته) كذلك.. وأحدث ما يسمى بالبناء (الاقتصادى) مع ثورة ١٩١٩م.. و عندما تعرضت مصر لأزمة ١٩٠٧م استطاع أن يؤسس عام ١٩١٠م شركة مالية مصرية وهى شركة (التعاون المالى) لتمارس بعض العمليات الصغيرة.. وفى سنة ١٩١م طرح مشروع بنك مصر وقد سافر الى أوربا لإعداد الفكرة.. وبإنشاء البنك حقق لمصر الاستقلال الاقتصادى ليكون سندًا للاستقلال السياسى. وكان أول من قام بعقد التأسيس ثمانية من ذوى الأملاك (المصريين) و المتمصرين وهم:

١- أحمد مدحت يكن باشا.	٢- يوسف أصلان قسطاوى (باشا).
٣- محمد طلعت حرب بك.	٤- عبد العظيم المصرى بك.
٥- عبد الحميد لاسيوفى.	٦- الدكتور فؤاد سلطان.
٧- اسكندر مسيحة.	٨- عباس بسيونى الخطيب افندى.

وكان ذلك فى ٨ مارس عام ١٩٢٠م وسجل فى الوقائع الرسمية يوم ١٣ من أبريل وأقيم حفل (التأسيس) يوم ٢٠ مايو من ذات العام:.. و بدأ رأسمال البنك بمبلغ (٨٠ ألف جنيهًا مصريًا) موزعة على عشرين ألف سهم و قد بلغ عدد المساهمين بما فيهم المؤسسون ١٢٤ مساهمًا بمتوسط ملكية ١٦١ سهمًا للفرد وكانت كلها اسمية.. واتجه بعد ذلك الى الصناعة و أنشأ ١٤ شركة كبرى وكان شديد الإصرار على عدم تمليك الشركات و تأسيسها إلا على أيدى مصريين فقط.



وقد ولد طلعت حرب فى ٢٥ من نوفمبر عام ١٨٦٧م بقصر الشوق بالجمالية بالقاهرة و حفظ القرآن و حصل إلى شهادة الإدارة و الألسن و درس الحقوق فى عام ١٨٨٩م.

وفى الرياضة ..

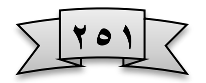
حقق الرياضيون فى رحلة القرن الماضى إنجازات كبيرة فى مجالات و أنواع رياضية مختلفة و كان على القائمة رياضيون نالوا شهرة كبيرة و خاضوا بطولات ومنافسات عديدة مثل:

الملاكم العظيم – المسلم – الأمريكى الأسود (محمد على كلاى) الرياضى الأول فى هذا القرن كما أجمع النقاد و المحللون الرياضيون فى العالم.. و هو بطل الملاكمة للوزن الثقيل فى الفترة من ١٩٦٤م و حتى ١٩٨١م.. وفاز بالضربات القاضية وأشهرها التى فاز بها على (ليتسون) و كان قد سجن لرفضه الخدمة بالجيش الأمريكى بسبب معاركه الظالمة ضد (فيتنام) و كانت قوة ضربته بقوة ٢٤ حصان وهو حاليًا مريض (بالرعّاش).

يأتى بعده ساحر الكرة البرازيلية النجم (بيليه) رجل الألف هدف و الذهبيات الثلاثة لكأس العالم – و لعب مع فريقه (سانتوس) البرازيلى فى مصر ضد النادى الأهلى فى الربع الأخير من القرن العشرين و هزم الأهلى ٥ – صفر فى إستاد القاهرة.

ثم (نادياكو مانيش) الرومانية ملكة (الجمباز) وبسببها انتشرت هذه اللعبة.

من رياضيي القرن أيضًا (عالميًا) نجم كرة السلة (مايكل جوردان) والعدّاء الأمريكى (كارل لويس) أسرع رجل فى العالم لأطول فترة زمنية (أوليمبيًا).



وفى رفع الأثقال جاء التركى (نعيم سيلما نوغلو) الملقب بـ (هرقل الصغير) وهو أقوى رجل فى التاريخ و هو الذى رفع وزنًا يساوى ثقله ووزنه ثلاث مرات.

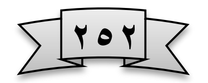
أما نجم سباق السيارات فهو (فور ميولا) و بدأ وعمره ١٣ عامًا و مات وعمره ٣٥ عامًا.

وفى رياضة السباحة حقق سمكة القرش الأمريكى (مارك سبيتز) و سجّل سبعة أرقام عالمية وحصل على سبع ذهبيات فى دورة (ميونيخ) ١٩٧٢م.

وجاء فى هوكى الجليد واين جريتسكى – ومن فرط عظمته قررت لجنة الدورى حجب رقم ٩٩ و هو رقم فانلته الشهير نهائيا عن أى لاعب آخر فى العالم..

أما لاعبو كرة القدم – المحترفين – و الذين اشتهروا طوال القرن الماضى بعد (بيليه) فهم: بيكنباور و بوشكاش وكرويف واللاعب الفذ (مارادونا) لاعب الأرجنتين والذى أحرز أهدافه الكروية بلمسات فنية بديعة و هو الآن مصاب بالإيدز كما أنه من مؤيدى الصهيونية العالمية.

وعلى مستوى مصر فقد لمع نجوم و لاعبون وأندية كروية خرّجت الكثير من (الموهوبين) فعلى مستوى الكرة جاء الأهلى و الزمالك – على القمة – ثم أندية الإسماعيلى و الترسانة و الأوليمبى و السكة الحديد.. كما كان من فصيلة – الموهوبين – كرويًا فى الأندية المختلفة الكابتن (صالح سليم) ورفعت الفناجيلى وعادل هيكل ويكن و رفاعى وحسن شحاته و الشاذلى ومصطفى رياض و محمود حسن وابراهيم الخليل و على أبو جريشة و السيد عبد الرازق



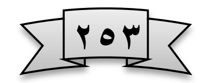
وشحته الاسكندرانى والبورى والقزاز والجارم والبابلى وغيرهم وبعدهم الخطيب وحسام حسن وعبد الستار ومحمد رمضان وأبو تريكة.. إلخ.

وظهر نجوم فى شتى الألعاب الرياضية – فى مصر– منهم الكابتن (مرسال) فى ألعاب القوى و حقق ميدالية (برونزية) و لم يستطع أحد غيره تحقيق هذا المكسب فى ألعاب القوى.. و الكابتن إسماعيل الشافعى – فى عالم التنس و حصل على البطولة فى (الويمبلدون) عام ١٩٦٤م وكان إنجازًا كبيرًا عربيًا و مصريًا غير مسبوق..

وفى مجال رفع الأثقال حصلت مصر فى (الأوليمبيات) على خمس ميداليات ذهبية ومن أبطال هذه الرياضة: حامد موسى.. وسيد نصير.. وخضر التونى.. وأنور مصباح.. ومحمود فياض..و ابراهيم شمس.. ولكن هذه اللعبة تقهقرت منذ عام ١٩٩٩ م.

– و خاضت مصر رياضة – عبور المانش – و نجحت ٤٠ مرة بفضل براعة الكابتن عبد اللطيف أبوهيف.. و نبيل الشاذلى و محمد على محمود و سيد عبد الجليل وحنفى محمود و شادية الزغبى و سهير عبد الباقى.. وبدأ المانش عام ٢٨ على يد (إسحاق حلمى).

وفى الملاكمة والذى تأسس اتحادها عام ١٩٢٣م برئاسة جعفر والى (باشا) ونال الأبطال ميداليات عدة –كان آخرها الميدالية البرونزية للكابتن (قبارى عبد الكريم سنة ١٩٨٩م.



وفى المصارعة – كان لمصر على الخريطة – العالمية موقع هام منذ حصول البطل الأوليمبى (إبراهيم مصطفى) على الميدالية الذهبية فى دورة (امستردام) عام ١٩٢٨م.. و لكن لم يتكرر هذا لمصر بعد ذلك على مدى ٧٥ عامًا من عمر اللعبة..

ثم كانت (كرة اليد) عروس التسعينات بفضل الدكتور (محمد فضالى).. وفازت مصر بعدة ميداليات ذهبية.. و اطلق الدكتور حسن مصطفى هذه اللعبة الى العالمية الآن.

ثم الختام:

ويفنى العمر.. و تفنى فيه مآثره.. و أوجاعه.. تفنى فيه ثوابته و متغيراته وأصوله و فروعه.. كل بصمة و كل كلمة و كل حركة تتحدث باسم صاحبها أمام الله عز وجل وكل حركة وكل سكنة تنبئ عن مكنون حقيقتها.. وكل جارحة تنطق بالحق أمام الواحد الحق.. التاريخ هو اللسان الناطق.. والمرآة الصافية.. و الانسان فيه عرض زائل.. لكل دولة رجال.. و لكل قرن أجيال.. و لكل حقيقة مآل.. و عن كل موقف سؤال.. تلكم هى الحقيقة.. وهذا هو الحصاد.. و لن يجنى أحد إلا ثمرة كان قد غرسها فى دنياه:

أرى علـــل الـــدنيا علـــيّ كثـــيرة وصـــاحبها حـــتى الممـــات عليـــل

ذكـــرت أبـــا أروى فبـــتّ كأنـــنى بـــردّ الهمـــوم الماضـــيات وكيـــل

يريـــد الفـــتى أن لا يـــدوم خليلـــه ولـــيس لـــه إلا الممـــات ســـبيل

فلابـــدّ مـــن مـــوت و لابـــدّ مـــن بلـــى وإن بقـــائى – بعـــدكم – لقليـــل

لكـــل اجتمـــاع مـــن خليلـــين فرقـــة وكـــل الـــذى دون الممـــات قليـــل

وإن افتقـــادى واحـــدًا بعـــد واحـــد دليـــل علـــى أن لا يـــدوم خليـــل

إذا انقطعت – يومًا – عن العيش مدتى فـــإن غنـــاء – الباكيـــات – قليـــل

ســـيُعرَض عـــن ذكـــرى و تُنسَـــى مـــودتى ويحـــدث بعـــدى للخليـــل خليـــل

انتهت المقالات والحمد لله....


الحمد لله رب العالمين